كتاب الرؤية

تأملات في الذات، الطبيعة والكون

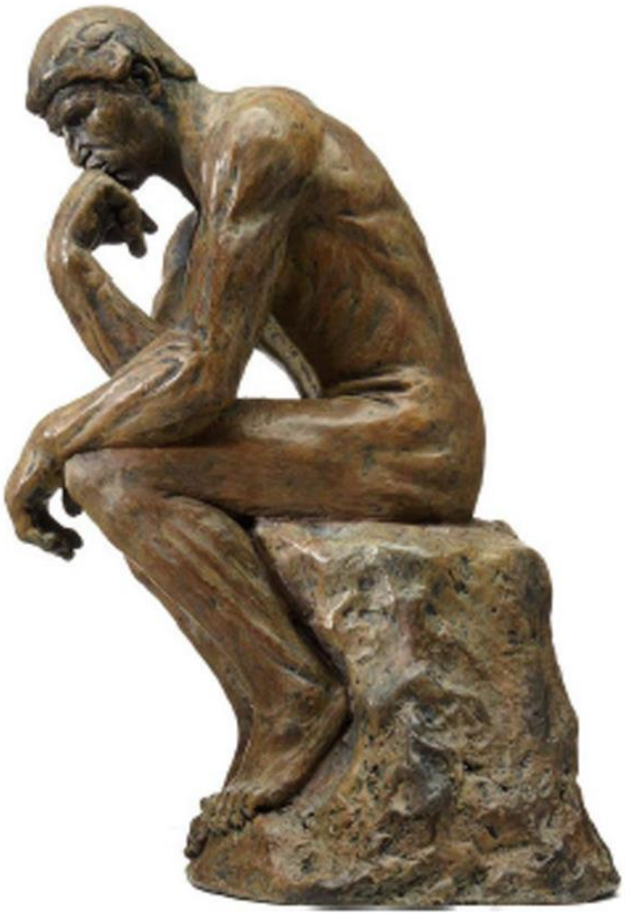

تأليف: محمد العمصي

"لا تصدق شيئاً مهما كان النص الذي قرأته منه ومهما كان القائل حتى لو كنت أنا القائل،إنما صدّق الشيء الذي يتفق مع العقل والتفكير السليم"

بوذا

مقدمة:

هذا الكتاب هو عبارة عن مجموع المقالات التي كنت أكتبها إلى موقع بيت الصفا-الكويت لمدة عام تقريباً ٢٠٠٨-٢٠٠٩،وهي أول تجربة لي في الكتابة القصيرة المتنوعة المجالات لذا يطغى عليها عناصر العفوية وأحياناً أخطاء في الكتابة والإستدلال والمراجعة العلمية،ولكنها كأي كتابة محاولة للتعبير عن ما يجول في خاطر كاتبها ومحاولة للتواصل الفكري،إستخدمت في الكتابة هنا المعلومات العامة التي كنت أحب مطالعتها في الكثير من المصادر أثناء الطفولة والمراهقة،وآرائي الخاصة وبعضها ما أزال مقر بها حتى الآن ،وآخرى تغيرت وتطورت مع الأيام،مهما يكن فهذه الكتابة يمكن إعتبارها برغم عشوائيتها وبساطتها محاولة إختراق نحو السعي للنهوض من حالة القصور الفكري ومجهود بسيط متواضع أسأل الله أن يقبله مني إن أصبت فيه وأن يعفو ويتجاوز إن أخطأت.

ولأنه من حق القارىء أن يعرف شيء عن من يقرأ له،فقد أحببت أن أسرد بعض المعلومات الوجيزة للتعريف بنفسي.

إسمي محمد كمال العمصي فلسطيني الجنسية من مواليد دولة الإمارات العربية المتحدة ، باحث وكاتب في العديد من الموضوعات والمجالات وخاصة العلمية منها،أقوم منذ العام ٢٠٠٨ بالكتابة والتأليف لمقالات تنشر مجاناً في مواقع إلكترونية ثقافية و مواقع الإتصال الإجتماعي مثل موقع بيت الصفا.

للتواصل

mrmohammedalamasy@gmail.com

إهداء إلى أحرار الفكر والعقل........

محمد العمصي

غزة

٢٠١٢

الفهرس

مقدمة ٣
ثنائية الإدراك البشري ٦
قوة خفية ٩
مبدأ الشك ١٠
الحقيقة ١١
السعادة ١٢
الخير والشر ١٤
الحرية ١٦
المعرفة الفطرية ١٧
أصل الفطرة (الوعي الصافي) ١٨
مبدأ التوازن ١٩
حقول الأفكار ٢٢
مستويات الوعي الكونية ٢٣
كيف تطوّرت أنواع الوعي ٢٣
في الأزل -لاوعي (العدمية) ٢٣
(الوعي الوجودي) ٢٦
(الوعي الطبيعي) ٢٨
الوعي الغرائزي (العقل البدائي) ٢٨
الوعي العقلي (العقل المتسامي) ٢٩
الوعي النفسي "القوة المتخيلة" ٣٠
المستوى الأخير(الوعي الصافي) مرتبط بالروح ٣٤
تعريف المالانهاية، إتحاد القطبية، و تعددية الحقيقة ٣٨
المالانهاية ٣٨
إتحاد القطبية ٤٠
الخيال ٤٣
الوصول إلى النهايات الإدراكية ٤٦
من أين يحصل العقل على المعرفة؟ ٤٧

القدرات الخارقة للعادة (خرق النسيج الطبيعي).. ٥١
المعجزة كمثال ٥١
بداية الطريق..كيف نرتقي بوعينا؟ ٥٧
مفارقة أينشتاين ٥٩
إستيقظ!!!.. ٦١
البداية.. ٦٣
شجرة الحياة ٦٥
القدرات الإدراكية وعملية التحرير الذاتي ٦٦
السيطرة على الجسد "المرحلة الأولى"... ٦٨
السيطرة على العقل هي المرحلة الثانية ٧٠
التغير كيف تجعل حياتك ذات معنى ٧٠
الطريق إلى التغير الحقيقي.. ٧٣
ماهو التغير؟ ولماذا نريد أن تغير؟.. ٧٥
الاستيقاظ من الحلم ٧٧
داخل الحلم.. ٧٩
عندما نستيقظ من الحلم ٨١
المسرح الزمني وقانون الجذب.. ٨٥
ما هو الزمن؟ وأين يقع المستقبل؟ ٨٦
قانون السر... ٩٠
لكل فعل رد فعل... ٩١
الوحم ٩٢
التجربة الحياتية.. ٩٢
صياغة جديدة لمفهوم القدر.. ٩٤
معنى من أجل الحياة؟.. ٩٤
الحياة من أجل المعنى؟ ٩٩
تحقيق معنى الوجود... ١٠١
المعنى النهائي... ١٠١
الالتزام بالمسؤولية ١٠٣
التحدي والاختبار ١٠٥

الحب ١٠٦
الدّين ١٠٧
لماذا خلق الله الإنسان ١١٠
مقدمة عن الطريق الجديد والإسقاط النجمي ١١٢
الاستيقاظ... ١١٣
مبدأ فصل الوعي عن الجسد ١١٥
التحرر من الموت ١١٦

ثنائية الإدراك البشري

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) البقرة ٢٣٥

يتحكم في إدراك الأفراد عاملين مهمين ...العقل والإيمان..الثنائية الخاصة بالإدراك ،لفهم آلية الإدراك هذه يجب تحليل جميع كل ما نفكر به حسب وجهة النظر هذه، نحن في حياتنا نقبل المنطق كآلية لإدراك حقائق الأشياء والخبراء يؤكدون أن التكنولوجيا الحديثة ستبقى إلى مدة طويلة في الزمن لأنها مبنية على أسس قوية من المنطق والمعرفة...فالأشياء المنطقية بالنسبة لنا هي أشياء متماسكة وقوية.وهذه حقيقة واقعة فمثلاً نادراً ما نسمع أن حاسوبا ما أخطأ..وهي (أي الأخطاء الحاسوبية)وإن حدثت تكون نتاج أخطاء بشرية سواء في الصيانة أو التوصيل...الحواسب أجهزة منطقية و المنطق بالنسبة لنا هو الطريق الوحيد للعصمة من الخطأ...أما الإنسان فليس "ملتصقاً" بهذا المنطق المجرد طوال الوقت لذلك يرتكب الخطأ...الخطأ هي الحالة التي تصبح فيها تصرفاتنا مبنية على أسس غير منطقية...والبشر بطبعهم غير منطقيّين تماما وكثير من التصرفات التي تصدر منهم ليست ذات أسس منطقية ...لذا فالبشر يخطئون وهذه التصرفات أو الأفعال تؤدي إلى نتائج غير متوقعة وقد تصبح كارثية أحياناً.

المنطق هو الركن الأساسي للفلسفة وبالتالي هو الركن الأساسي لجميع العلوم الطبيعية والهندسية كالفيزياء النظرية والرياضيات وغيرها،المنطق هو قوة حقيقية تحكم الكون المرئي فمعظم الظواهر الكونية ظواهر تخضع للقوانين والمعادلات الفيزيائية والتي تتكون من كميات فيزيائية يمكن جمعها وطرحها إشتقاقها وتكاملها وإستخراج كميات آخرى منها و التنبؤ بنتائج التجارب قبل القيام بها والقوانين الفيزيائية تستمد قوتها من كونها قوانين واحدة وثابتة في جميع أرجاء الكون المرئي طبعا ذلك لا يشمل مناطق الثقوب السوداء أو أطراف الكون المظلمة أو عند الوصول إلى سرعات قريبة من سرعة الضوء حيث تبدأ تلك القوانين بالتكسّر و الإنحدار نحو الصفر المطلق، المنطق يستعين أحياننا بالحواس الخمس المادية كمداخل للإدراك ولكن العقل أو المنطق قوة أكثر رقياً من ذلك فهو يتوغل في قلب النسيج الطبيعي ويصل بالإدراك إلى مناطق موغلة في الصغر أو موغلة في الكبر مناطق ما كانت الحواس لتصل إليها أبداً.ولكن المنطق يمكن أن يتحطم في تلك الحدود المتطرفة ،والوصول إلى حالة الصفر المطلق التي بيّنها أينشتاين هي إحدى تلك الحالات ،لسبب ما مجهول حتى الآن فإن الوصول بالأشياء إلى الحدود الدنيا العظمى أو الحدود الكبرى العظمى يجعل القيم الناتجة تبدو غير منطقية وتبدأ القوانين الفيزيائية والمعادلات بالتصادم ببعضها،قد يتسائل البعض ما المشكلة في ذلك،بالنسبة إلى الفيزيائي هذه كارثة،فالعلم المنطقي كله قائم على هذه القوانين وعلى إفتراض أن هذه القوانين المنطقية ثابتة،والمبدأ السائد في علوم مثل الكوزمولوجيا (علم نشأة الكون) أو ميكانيكا الكم هو مبدأ اللايقين ، فالنتائج هي عبارة عن إحتمالات فقط،ففي ميكانيكا الكم يمكن أن يوجد الإلكترون مثلاً في مكانين في نفس الوقت ،كما أن مفاهيم مثل الإتجاهات أو الزمن أي قبل وبعد لا قيمة لها وتصبح مشوشة تماماً السبب في ذلك أن الكون أو الفضاء الذري بحد ذاته ممزق ضمن ذلك الحيز شديد الضيق.

المشكلة تكمن في كيفية التصديق بأن تلك العوالم الفوضوية تصنع العالم المرئي المنتظم الخاص بنا،وفي الكوزمولوجيا عند البحث في شكل الكون أو طريقة نشأته أو ما هو الفراغ ،فإن النتائج عبارة عن ترجيحات وافتراضات وليست حقائق ...

المشكلة في كل النظريات الحديثة أن فيها الكثير من الإفتراضات وبعضها يبدو غريباً،فنحن نفترض وجود عوالم متوازية وأبعاد إضافية فقط لجعل النظريات والمعادلات تعطي قيم منطقية،والحقيقة أننا نلجأ إلى الإفتراضات المسبقة بشكل كثيف في حياتنا اليومية ، إن معظم المعرفة التي نختزنها هي افتراضات غير مثبتة فأنت عندما تستيقظ من النوم صباحاً لا تتسائل عادةً إذا كانت الأرض لازالت في مكانها،بل تفترض جدلاً أنها لم تتحرك من مكانها،كم ستكون الحياة صعبة إذا لم نستعن بكل تلك الإفراضات والمفاهيم المخزنة في عقولنا كحقائق مسلم بصحتها،العلوم الطبيعية والهندسة بشكل خاص مليئة بالمفاهيم والإفتراضات التي يسلم بصحتها ،ككون الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين ،وفي الفيزياء يقضي العلماء قروناً يفترضون وجود أشياء كمسلمات لابد منها كالأثير مثلاً أو الوجود الحسي للجاذبية دون تفسير آلية عملها.والعديد من المسلمات قائم كحقائق ناتجة عن تراكم المحاولات الفاشلة لدحضها،مما يجعلها حقائق صحيحة مؤقتاً والنظرية النسبية العامة والقائمة على إفتراضات ومسلمات ككون الضوء الحد الأعلى للسرعة في الكون وثبات سرعته في نفس الوسط هي حقيقة لم يتم إثباتها إلى اليوم ،وبالرغم من هذا فالنظرية النسبية تعتبر من النظريات القوية والمتماسكة والتي تعد من الأركان الأساسية في الفيزياء الحديثة.

نحن مكرهون على التصديق بصحة الإفتراضات والمسلمات لا لشيء سوى أن وجودنا يعتمد على صحتها.وهذا ما يضيف مفهموم جديد لطبيعة الحقيقة الخاصة بالكون المرئي.

كل ما لا يمكن إدراكه بشكل واضح بالمنطق أو الحواس يدخل في دائرة الإيمان ،فنحن نصدق بوجود تلك الأشياء، فهذا الإيمان أو التصديق قائم على الحدس و التوقع وليس قائم على الإدراك المباشر ،نحن نقول في أنفسنا يجب أن يكون ذلك الشيء هناك يجب أن يكون كذلك ليصبح الأمر منطقياً ويعطي صورة مقبولة للأمور،فلا بد من وجود جزىء الجرافتون الإفتراضي لوجود الجاذبية و يجب أن توجد الأبعاد الإحدى عشر لتتمكن الأوتار الفائقة من الإهتزاز وتكوّن المواد والقوى الطبيعية من حولنا،ولابد من وجود النقطة لنبني المستوى الإحداثي .

ولابد للكون من إله ليوجد،والبشر منقسمون إلى صنفين.صنف يعطي الأولوية للعلم والمنطق وصنف يعطي الأولوية للإحساس والشعور.ولكن من الصائب؟....في الحقيقة نحن بحاجة لكلا القوتين قوة المنطق وقوة الإيمان ،قوة المنطق والمعرفة تساعدنا في البقاء، وقدرتنا الإيمان تساعدنا على تجاوز قدرتنا البشرية والإنجاز والإستقرار النفسي.

وداخل كل كائن بشري توازن حساس بين المنطق والإيمان،وهذه النقطة هامة جدا،ويجب إدراكها بشكل واضح ،التوازن الخاص بالمنطق والإيمان يبني الإدراك الفردي،إن طغت قوة الإيمان على المنطق فنحن أماما أشخاص يعيشون في مكان آخر غير هذا العالم ،وهم بطبيعتهم يسلمون إدراكهم إلى الحقائق التي يؤمنون بها ويصنعون في ذهنهم صورة للعالم توافق تلك الحقائق وكل ما يعترضها يعتبرونه غير حقيقي ولا يستحق الوجود، وهي تجعلهم يشعرون بالطمأنينة و الراحة،وفي الحقيقة هم يرون العالم ليس العالم الحقيقي بل العالم الذي يبدو من خلال تلك القناعات و الحقائق الإيمانية،كم هم مثيرون للشفقة أولئك الذين سلموا وعيهم وعقولهم لقناعات دون التفكر بها،لا يتحقق الإيمان دون العلم...فمن لقي الله على جهالة فكأنما لم يؤمن به،فالعلم وسيلة للوصول إلى الإيمان الصحيح بالله عز وجل.

يقول الله عز وجل (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٨ آل عمران

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)الزمر ٩

ولقد عاب الله على المشركين العرب عبادتهم لما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي أصنامهم ...فهم لم يستخدموا عقولهم للإستدلال على خطأ إعتقادهم وإيمانهم...بل إتبعوا أهوائهم وشعورهم.وفي المقابل فإن نظرة مجردة إلى المنطق كقوة وحيدة مسيطرة على العقل تجعل المرء يستمر في طرح الأسئلة إلى مالانهاية.لكن إذا إستمررنا في طرح الأسئلة هل سندرك كل شيء؟ إن إختلال الإتزان نحو المنطق المجرد ودفع العقل إلى إدراك ما لايمكنه إدراكه...يصل بالعقل إلى حالة الإنهيار الذاتي على نفسه ويمتص الإدراك أو المنطق إلى حالة تسمى " الجنون " فالمجنون غير قادر على الإدراك وهو بذلك غير قادر على الإيمان أيضاً. وحالة الانهيار تلك نراها في الأجهزة والحواسيب "آلات المنطق " السبب الوحيد الذي يجعل تلك الأجهزة تتلف أو تتوقف هو جعل معالجاتها تتعامل مع كميات كبيرة جداً من البيانات تفوق قدرتها...وإرتفاع حرارة تلك المعالجات مع الوقت ...يوصل النظام إلى النقطة التي ينهار عندها المعالج وهي اللحظة التي يتوقف الجهاز فيها عن العمل...وهذا ما يقابل حالة الجنون عند البشر...الجنون بحد ذاته منطقة موجودة داخل كل إنسان فكل إنسان له القابلية للإمتصاص نحو الجنون...ما يحفظ الإدراك بعيداً عن تلك الفجوة المظلمة هي المنطلقات الإيمانية...الإيمان يردع المنطق عن الوصول إلى المناطق التي يبدأ عندها بالإنهيار...ونحن نلجأ إلى الإيمان بوجود الشيء لأننا ببساطة غير قادرين على إدراك وجوده بالمنطق المجرد.

يقول الله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا مسؤولاً) الإسراء ٣٦

(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) النجم ٢٨

والإيمان دون وعي هو إيمان المقلّد والذي يهتز عند اول شبهه.ومن يريد إيماننا صحيحاً فعليه بالعلم.

لذلك فإن الطريق الوحيدة لإدراك الأشياء إدراكاً صحيحاً يتمثل بالموازنة بين الإيمان والمنطق.

إن الفرق بين الإيمان والجهالة وبين المنطق والجنون هو فارق رفيع جدا...لا يدركه إلا الفكر الصافي والوعي المستنير.

قوة خفية

هنالك قوة أخرى تلوح من بعيد و هي قديمة قدم الإدراك البشري بحد ذاته وهي ليست ظاهر لمعظم الناس ...وهي القوة الكامنة في الخيال...نحن نعتقد أن الأطفال أو الفنانون المحترفون هم فقط من يستطيع التخيل...في الحقيقة جميع البشر بلا إستثناء قادرون على تحقيق مستويات عالية من الخيال...قوة الخيال لا محدودة لذلك قال نابليون بونابرت مرة :الخيال يحكم العالم!...وقال ألبرت أينشتين "الخيال أفضل من المعرفة" المعرفة جامدة بالأرقام والمعادلات والقوانين أما الخيال فواسع لا يحده قانون أو قيد...قوة الخيال تدفع الإبداع البشري إلى أقصى حدوده ...هو الفضاء القديم الذي تنشأ منه جميع الإدراكات والمفاهيم....ما ندركه نستطيع تخيله ...وما نتخيله يمكن أن ندركه...وكما يقول روبرت بروس فإن ٩٩% من الناس لا يتخيلون ...ليس لأنهم غير قادرين على ذلك...بل لأنهم ببساطة يعتقدون انهم غير قادرين على التخيل..فقط قلة من الناس يستطيعون التخيّل دون مصاعب كبيرة...الخيال يمتلك القوة الكافية لصنع الحقائق ...الخيال يقود العزيمة ويعطي الأهداف والتطلعات ...الخيال ينجز المستحيل.وهذه القوة الكامنة في النفس البشرية تبقى قابعة في الظلمات لا تَدرك ولا تَعرف .إن الوصول إلى هذه القوة الهائلة وإستغلالها في صالح الفرد والبشرية إحدى الأهداف الرئيسية لعلوم مثل البرمجة اللغوية العصبية وبرامج توسيع الإبداع والتطوير الذاتي ....وتوسيع الخيال والقدرة على التحكم به هو السبيل الوحيد للسيطرة على العناصر الآخرى في الإنسان كالجسد والعقل. القدرة على تصوير الأهداف والطموحات كصور مرئية واضحة في العقل وجعلها حقائق يؤمن العقل بوجودها...تدفع الإنسان إلى بذل أقصى طاقاته في الطريق إلى جعلها حقائق في الكون المرئي أيضاً....

الخيال هو القوة المحركة للعالم...والعديد من العباقرة الذين أنتجتهم البشرية هم متخيّلون ماهرون ...

مبدأ الشك

المبدأ المذكور هنا مغاير لمبدأ اللايقين الخاص بميكانيكا الكم...نحن لا نتحدث هنا عن علم بل عن فلسفة .خلال الملاحظة الدقيقة للإستجابة البشرية للمؤثرات القادمة من الكون المرئي...يمكننا أن ندرك أن الصورة التي نكونها لهذا الكون في عقولنا هي صورة ناتجة في الأساس من بوابات الإدراك الحسية...نحن نتحدث هنا عن الحواس الخمسة كالسمع والبصر والإحساس ...نحن نبني صورة العالم من حولنا بناءاً على هذه الحواس.ولكننا في الحقيقة قاصرون حسياً،فبصرنا لا يرى إلا مجموعة محددة من الموجات الضوئية وسمعنا لا يلتقط إلا مجموعة محدد من الموجات الصوتية ولا يمكننا أن نشعر بجميع درجات الحرارة والضغط ...وبناءاً على ذلك فإن الصورة المتكونة في عقولنا حول هذا العالم هي صورة ناقصة أيضاً...في الحقيقة نحن لا نرى من العالم الحقيقي سوى من شريحة ضيقة ...نحن لا نرى سوى قطعة صغيرة من الحقيقة الكامنة. وهذا ما أطلق عليه الكذبة...الحقيقة التي نراها في الحياة ليست كذبة ...الكذبة هي أن نعتقد بأن ما نراه هو الحقيقة...نحن نرى فقط جزءاً صغيراً جداً من الحقيقة المطلقة...

وهذا يعطي مقولة أن "حواسنا يمكن أن تخطىء" معنناً جديداً...

إن جميع حالات الوهم هي حالات تخفق فيها حواسنا عن إدراك الأمور على حقيقتها.كما أن هناك فشل أيضاً في الربط بين العقل مركز الإدراك وبين هذه الحواس ومنها نحصل على نتيجة خاطئة لحقيقة الشيء. ولا يمكن أن نجزم أيضاً بأن مبدأ الشك لا يمكن ان يصل إلى المنطق وهذه ستكون كارثة للفلاسفة الذين ينظرون للمنطق كإله لا يخطأ وكشيء ثابت وقادر على التماسك في وجه تيارات الزمن.ورغم أن حالات إنهيار المنطق نادرة وهي ما يجعل هذا العالم مستقراً إلا أن هذا لا يعني أنه كذلك في الحقيقة ...بل إن مفاهيم مثل الحقيقة تبدو مفاهيم فضفاضة فكل شخص يرى جزءاً من الحقيقة الكاملة...ولذلك تنتج الآراء والتقديرات المختلفة...فنحن عاجزون على الإدراك الكامل للمفاهيم التي تبني العالم من حولنا..إن الخطوة الأولى والأساسية نحو تحرير الذات هو بإدراك حقيقة هذا العالم ...وهو أننا لا ندرك حقيقته ...إن الإفاقة من حالة السُكر الجماعي التي يعيشها معظم البشر هو الأساس و الطريقة الوحيدة التي قد توصلنا إلى الإدراك الصافي وحقيقة مكنون الأشياء.

وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) سورة الروم

ورغم مرور أكثر من ١٤٠٠ عام على آخر عملية تحرر للعقول بنور الإسلام فإن الناس بحاجة اليوم إلى التحرر مرة آخرى ...التحرر من عبادة المادة ...إلى عبادة الله الخالق لكل مادة.

الحقيقة

إن نظرة إلى حال العالم اليوم تعطي فكرة واضحة عن طبيعة الوعي البشري، وصحيح أن متوسط أعمارنا ومستوانا المعيشي وتغذيتنا وصحتنا بالإضافة إلى معرفتنا وإدراكنا قد تحسّن بشكل كبير عمّا كان عليه قبل ألفي عام.إلا أننا لم نصل إلى تلك النقطة التي نشبع فيها كامل رغباتنا،بل دائماً نبحث عن المزيد والمزيد، وإن كل ما يتمحور حوله فكرنا هو إشباع المزيد والمزيد من الرغبات فنحن نتحدث عن المال – الطعام – التسلية وغيرها،وكأننا بتداول المال وجمعه وتناول الطعام وهضمه وإشغال الوقت وقتله نحيا!

هل هذه الحياة؟

إن الاستمرار بالحياة على هذا المنوال هو الجنون بعينه..إن جميع الحاجات التي نركّز كل احتياجاتنا عليها هي في الأساس احتياجات جسدية...فكل شيء في حياتنا أصبح يتمحور حول الجسد.ورغم إدراكنا جميعنا بأننا سنموت يوماً ما وسيضمحل عندها كل ما أنفقناه على هذا الجسد إلا أن ذلك لا يغير من وتيرة هذا الاتجاه الأعمى نحو الجسد.

ونحن كبشر تمادينا في الاهتمام بهذا الجسد فاتجهنا كلياً نحو مادته...مادة هذا العالم...المادة المنظورة.

وبهذا نحن صرفنا النظر عن عناصر وجودنا غير المادية..وأصبحنا ننظر إلى أنفسنا على أننا مجرد أجسام عضوية لا أكثر...ويمكن أننا وبدافع "الحنين" إلى الماضي عندما كانت الجوانب الروحية هي الطاغية على عقول الناس قديماً ،نميل إلى الاعتقاد بوجود روحيّة ما حول هذا "الجسد العظيم" كنور خافت لا نشعر به ولا ندركه..والحقيقة نحن لا نعتقد أن في إدراكنا لهذا النور أي فائدة.

إن مراكز إدراكنا مركزة دائماً نحو الخارج.ونحن لذلك لا نستطيع رؤية الحقيقة الداخلية لأنفسنا.ورغم أن الباطن البشري يبدو مكاننا غامضاً . إلا أن طبيعة هذا الغموض راجعة في الأساس إلى خوفنا من سبر ذلك العمق.نحن ننفق المليارات من الدولارات سنوياً لسبر أعماق الكون والبحث في الفضاء.وكأن النظر إلى نجم في السماء سيخبرنا من نكون أو ما هدفنا في هذا العالم، ونحن اليوم نعرف عن سطح النجوم أكثر مما نعرفه عن أعماق أنفسنا.

نحن هنا لا نتحدث عن جسم الإنسان المرئي الذي تدرك جوانبه العلوم ، نحن نتحدث عن الإنسان "غير المنظور" من أحاسيس ومشاعر وأفكار وخيال وروح!

أعتقد أن معرفة الذات وحقائقها هي ما سيخبرنا من نحن وما هدفنا في هذا العالم،واعتقد أن العلم بمكونات الذات أولى وأهم من العلم بمكونات العالم الخارجي.وإدراكنا لعالمنا الداخلي أساسي لفهم طبيعة العالم الخارجي.

لكن هذا لا يحصل ،بل بالعكس نحن اكتسبنا طبيعة تفكير مادية جداً...الانغماس في المادية يؤثر بقصد أو بغير قصد على توجهاتنا الفكرية..فما يوائم طبيعة تفكيرنا المادية نقر بوجوده وما يتنافى معه نحرمه الحق في الوجود.وربما هذه الماديّة تمنحنا الشعور بالآمن لفترة.ولكنها على المدى البعيد تجعل حياتنا بلا معنى.اليوم وفي فروع الفيزياء المتقدمة أصبح العلماء يتحدثون عن "ما بعد المادة"و عن "ما بعد الطبيعة المادية للعالم" ويبدو أن الماديّة لم تعد تكفي لجعل هذا العالم حيّاً ،نحن إذاً نتحدث عن علم قادم لا محالة وعن ثقافة متقدمة..وقديمة في نفس الوقت..وخلال الخمسين سنة الماضية حققت التنمية البشرية والعلوم الباطنية وعلم النفس نجاحات كبيرة تتحدث عن نفسها...فقد عالجت العديد من المشكلات والأمراض التي فشلت "المادية" في إيجاد الحلول لها.وأيضاً تبقى علوم الباراسيكوجي هي الوحيدة القادرة على تقديم تفسيرات للظواهر غير المادية..ويزيد الاعتقاد يومياً بأن العالم الذي نعيش فيه يمتلك جانباً روحيا وليس مادياً تماماً...وتلك فكرة بدأت تؤيدها العلوم والفلسفة والأحاسيس.ويبدو أن المذهب المادي بدأ أخيراً بالانهيار على نفسه.

السعادة

وكجميع الأشياء في هذا العالم فإننا نتحدث عن السعادة كشيء مادي أيضاً...وهي كشيء يمكن الوصول إليه بسهوله.ويجيد الناس الحديث عن هذه السعادة وكيفية الوصول إليها.

والحقيقة أن السعادة تتغير بتغير الشخص .فالشخص المادي(بقصد أو بدون قصد) يجد السعادة في اقتناء المادة.أمّا الذين تقل لديهم هذه النزعة المادية فلا تعد تلك الأشياء جالبة للسعادة...بل تصبح نقمة عليهم أحياننا.فالوصول إلى السعادة لا يمكن في أن البعض مخطئ والبعض مصيب

فالجميع مصيب وقد يجد الجميع السعادة في ما يتمنون الوصول إليه . وإن كان أحدهم مقتنعاً بأن اقتناء سيارة أو الفوز في مسابقة أو صدم رأسه في الحائط سيجلب له السعادة فبالتأكيد سيجدها هناك..

السؤال الحقيقي هو أي تلك السعادة هي الحقيقية؟ بالتأكيد فإن أنواع السعادة المتأتية من الطبائع المادية لابد زائلة ولو بعد فترة من الزمن..والسعادة الحقيقية هي القادرة على البقاء مع صاحبها إلى النهاية.

لماذا لا يجد الناس السعادة؟،ولماذا لا تستطيع المادية مساندتهم في هذه المحنة؟،السعادة الحقيقية متأتية من الطبيعة الداخلية للبشر فهي كيان غير مادّي ولذلك فالمادية لا تعترف بها فكيف تتعامل مع شيء لا تعترف بوجوده.

والطريق الحقيقي نحو السعادة يكمن في فهم طبيعتنا البشرية الحقيقية تلك الطبيعة التي لا تتكون من مادة فقط..بل من مادة وروح وتفاعلات بينهما ..وعند فهمها بشكل صحيح يمكن فهم حقيقة السعادة المطلقة.

وهناك ربط أحياننا ما بين السعادة وما بين إشباع الرغبات الجسدية أو الرغبات العلمية والعقلية أو التنسّك والتعبّد...

وهناك من ينقل الأمر برمّته إلى معاني فلسفية تربوية أو دينية...وكل ما يقوم به هؤلاء هو مجرد التحدّث والتحدثّ وفقط التحدّث وأمر سهل للجميع...والهدف الرئيس من كل حديثهم هو رفع معنوياتك قليلاً ومساندتك عاطفياً دون أن يخبروك عن حقيقية السعادة ولو أنهم فعلوا لما شعرت بالحزن مجدداً..

انظر مجددا ...الأطفال سعداء بطبيعتهم..وهم بالتأكيد لا يدركون الشهوات الجسدية ولا يدركون العلم والفلسفة وبالتأكيد لا يعرفون المفاهيم الدينية..ومع ذلك فهم أحباب الله ،و ضحكاتهم تجلب السعادة حتى إلى أتعس الناس،وهي تدفع الجميع بشكل لاواعي إلى الابتسام وكأنها عدوى من السعادة،فما مصدر هذه السعادة؟.

عندما نكون أطفالاً فإن إدراكنا يكون متصلاً بشكل مباشر بفطرتنا ، وهذه الفطرة هي نور إلهي أودعه الله في قلوب جميع البشر ،فالسعادة لا تكون إلا بإدراك هذا النور ..وعندما نأتي إلى هذا العالم نكون متصلين بهذا النور بشكل كامل ومع تقدم السن نبدأ بفقدان هذا الاتصال تدريجياً نحو العقل والجسد.فنحن نتخلى بشكل تدريجي عن طبيعتنا الروحية لصالح طبيعتنا المادية..وعند اكتمال النضوج الجسدي والعقلي ،تكون المادة والإدراك قد أحكمتا السيطرة على طبيعتنا وبالتالي نبدأ بالتأثر بالطبيعة المادية للعالم.فإذا ما أصابنا مؤثر سلبي مادي ...نحرن ونتألم وإذا ما أصبنا شيئاً من المادة نفرح.وعندما نكون ماديين تماماً فإننا نتجاهل فطرتنا بشكل تام فنصبح مستعدين للكذب والاحتيال و للسرقة و حتى القتل لأجل المادة وكلها أمور تخالف الفطرة .وهنا تكون الطبيعة المادية قد تغلبت على الطبيعة الفطرية.

فالسعادة الحقيقية لا تكمن سوى في إدراك هذا النور الإلهي الموجود في نفوسنا جميعاً.والحقيقية الكاملة لا تكمن في الكون المرئي فقط بل في تأمل نفوسنا وأسرارها.

يقول الله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) سورة فصلت

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ٥١ سورة الكهف

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨ سورة الروم

فهناك العديد من الآيات والأحاديث التي تحدث على التدبّر في النفس و إدراك طبيعتها لأنه إن فعلنا أصبحت السيطرة علي أنفسنا أسهل وهذا ما يسمى "جهاد النفس" وبإدراك بديع خلق هذه النفس يدرك المرء عظمة الله ويدرك هدفه في الحياة و يعرف معنى السعادة الحقيقية.

إن تأمل النفس هو أرقى أنواع التأمل وهو الذي يوصل الإنسان إلى حقيقة الوجود وأصله وهو الله،إن توجيه مراكز إدراكنا نحو الداخل هو أمر غير مألوف لمعظمنا ،فنحن كائنات اجتماعية بطبيعتنا وإدراكنا ينصب دائماً نحو العالم الخارجي وحول الآخرين ولذلك نفترض أن السعادة يجب أن تأتي من هناك، ودائماً تتغلب طبيعتنا الاجتماعية على طبيعتنا الانعزالية ،ورغم ذلك فجميع الأحداث المؤثرة والجليلة والاكتشافات والاختراعات في العالم تمت في جو من التأمل والعزلة ، وجميع القرارات المهمة في حياتنا تأتي من داخلنا ، فنحن في النهاية خاضعون لتأثيرات واستقرار عوالمنا الداخلية.

الخير والشر

نحن نقسم المؤثرات حولنا إلى جيدة وسيئة وخير وشر وهذا تقسيم خاطئ،فكل ما يأتي من الله خير ،والشر لا ينسب إليه[١]،لأن حكم الله قائم على الحق والعدل والحكمة، المصائب والشرور لا تأتي إلا من أنفسنا ،قد نتساءل كيف نكون السبب في تعاستنا بما يصيبنا وهو آتٍ من الخارج؟

إن السبب الأول والأخير لكل الشرور والمصائب في هذا العالم هو نقص وعينا الداخلي.

إن جميع الأشياء والأحداث التي تصيبنا في هذا العالم وتؤثر فينا هي أمور قضى الله حدوثها قبل وجود العالم بحد ذاته وهي أمور ضرورية لوجوده ونحن بقصور وعينا البشري وكمستقبلين لهذه الأحداث والمؤثرات نصنّفها إلى جيدة وسيئة...وكأننا نفترض بأن العالم كان يمكن أن يُخلق بصورة أفضل...

[١] انظر شيخ الإسلام إبن تيمية مجموع الفتاوى ٩٤١٨-٩٥

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) سورة آل عمران

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) سورة النساء

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(٣٠) سورة الشورى

والمشكلة الحقيقة لا تكمن في حقائق هذا العالم وما يرد منه بل في طبيعة تفسيرنا لتلك المؤثرات.والله بعلمه المطلق يعلم أن جميع تلك الأحداث والمؤثرات هي خير والأفضل لنا.ولكننا أحياننا بوعينا الناقص لا نستطيع أن نرى الحكمة والخير في تلك الأحداث.

جميع البشر الواعيين متصلون بهذا العالم بآلية ما لا يعلمها إلا الله بحيث يؤثرون فيه و يتأثرون به.يقول الله تعالى:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) سورة الروم

فالعالم يفسد بفسادنا ويصلح بصلاحنا ...فالأمر بأيدينا إن كنّا نرغب بالعيش بسعادة أو شقاء.والشيء الوحيد الذي يجب أن نفعله لإزالة جميع المؤثرات السلبية من حولنا هي بأن نغيّر وعينا الداخلي اتجاهها وبالتالي نغير نظرتنا إليها فنغير العالم الحقيقي من حولنا!.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) من الآية ١١ سورة الرعد

فالقدرة على تغير أنفسنا أساسي لتغير العالم من حولنا ...وتحرير أنفسنا ضروري لتحريرنا من المؤثرات السلبية تحريراً حقيقاً وليس مجرد أوهام أو إنكار.

التعاسة والشقاء لا تنبع إلا من قصور وعينا...فالشخص الذي سلبك حقاً لو أيقن أن الله سيعاقبه ما أقدم على فعلته..وهذا ينطبق على كل من يكذب يسرق يحتال أو يقتل ..وكل ما يجعل العالم مكاننا قذراً هو نتاج لقصور وعي مليارات البشر حول العالم.فالعالم اليوم فاسد نتيجة فساد وعينا الداخلي .

فالسعادة هي وفقط بالارتقاء بوعينا الصافي .فنغير أنفسنا ونغير العالم من حولنا إلى عالم أفضل ...وعندما يصل الجميع إلى حالة الوعي الصافي فسينتهي الشقاء نهائياً من هذا العالم وسيصبح الجميع سعداء.

الحرية

إذا علمنا بأننا لن نحقق السعادة إلا بتحرير وعينا نحو الوعي الصافي فعلينا أن ندرك ماذا تعني الحرية في الحقيقة.

الحرية هي الأخرى ذات معاني فضفاضة..ولها دلالات عديدة.

والحرية برأي هي استعادة السيطرة..فالسجين مثلاً يفقد السيطرة على حرية حركته لصالح الجهة التي تحتجزه،وعندما يستعيد تلك السيطرة مجدداً يصبح حراً..فالحرية نوع من السيطرة وكلما زادت الحريات التي تمنح للفرد زادت مساحات السيطرة المخصص له.

وتطوّر مفهوم الحرية خلال الزمن،ففي الماضي كانت الحرية من العبودية هي الفكرة السائدة ثم انتقل الأمر إلى الحريات الشخصية والعامة وحرية المعرفة و غيرها في العصر الحديث،إلى مفهوم جديد نريد أن نصل إليه وهو تحرير أنفسنا.ويحق للشخص هنا أن يسأل كيف نحرر أنفسنا ومما نحررها؟.

أعتقد أن البشر اليوم ليسوا أحراراً بأنفسهم ..فنحن نخضع للمؤثرات الخارجية وهي التي تقرر من نكون و كيف تكون أحوالنا،تحرير أنفسنا يعني أن نستعيد السيطرة عليها بدلاً من أن تبقى هي أو المؤثرات الخارجية صاحبة القرار،ثم السيطرة على كل ما يعيق تقدم سيطرتنا من شهوات أو مطامع أو مفاسد.

الإنسان مكون من عناصر أربعة هي الجسد والعقل ..النفس والروح ،ونحن نأتي من العالم غير المرئي إلى هذا العالم ونحن لا نسيطر على أي من تلك المكونات .فالطفل لا يسيطر على جسده بشكل كامل ويترنح في المشي..ولا يسيطر على وعيه وعقله فلا يكون مكتمل الإدراك .والنفس لا تكون قد امتزجت بعد بهذا العالم ومادته فلا يدرك الأطفال الطمع أو الحقد أو الجشع..فالأطفال يكونون مجرد أرواح طاهرة لا تدرك عقولهم المنطق أو الجدال فهم متصلون بفطرتهم اتصالاً تاماً ما يجعلهم مؤمنين بالفطرة كسائر المخلوقات كالشجر والحجر والسماء والأرض..فالأطفال أحباب الله لنقاء فطرتهم وهم يتصفون بصفاتها كالفرح والسعادة،..وهذا ما يجب أن يكون عليه الوجود.وعندما نتقدم في العمر نبدأ في سيطرة وهمية على عناصر وجودنا وبالتالي تفقد الفطرة السيطرة تدريجياً نتيجة ميل الإدراك نحو الصورة الماديّة في العالم.ونؤمن بعد فترة(بوعي أو بدونه) بأشياء عديدة،فيلجأ البعض إلى المنطق لتّعامل مع الأمور ...ويلجأ البعض إلى الإحساس ويلجأ البعض إلى آراء وأقوال الآخرين والبعض لا يتعامل مع الأمور بل الأمور تتعامل معه فيبقى متأثراً فقط بهذا العالم ولا يؤثر فيه.وفي خضم تلك الفوضى يفقد معظمنا السعادة بوجودنا وينساها.

فكل ما يحصل لنا هو ناتج عن فقد الفطرة السليمة التي هي أساس الفرحة والسعادة بأن نكون مخلوقات الله ونتاج مشيئته،فبعد أن كان إدراكنا وفطرتنا متصلين معاً في مرحلة الطفولة فكنّا متصلين تماما بالسعادة الفطرية افترقا (أي الروح والإدراك) عن بعضها ونشأت حول الروح ثلاث جدران أو بوابات هي النفس ثم العقل ثم الجسد ويتمركز الإدراك في مرحلة البلوغ عند

نقطة بين العينين في أعلى الرأس وتقبع الروح ومعها الفطرة في أعماق قلب الإنسان،وكلما إزدادت هذه الجدران الثلاثة امتزاجا بالعالم الحسي زاد البعد بين الإدراك والروح ،فيغلب المنطق والتحليل على الفكر إذا اتجه نحو العقل، ،وكلما اقترب الإدراك إلى الجسد يزداد الجسد تخمة والعقل شكاً والنفس فساداً، وكلّما اقترب الإدراك إلى الروح زادت قدرته على فهم المفردات الروحية وإدراك مكنوناتها والوصول إلى اتصال تام بذاته ...فيصبح قادراً على السيطرة على نفسه وعقله وجسده..وهذا ما يطلق عليه في الإسلام جهاد النفس.فلا تسيطر شهواتها ورغباتها على إدراكنا وأفعالنا بل نحن الذين نسيطر عليها ونوجهها.

والفطرة لا يمكن أن تقتلع من قلب المرء

ولكن يمكن أن تُحرّف أو أن تدفن حيّة داخل الجدران الثلاثة،فالسيطرة على هذه البوّابات الثلاثة نحو الفطرة (المعرفة الروحية) هي الطريق نحو السعادة الحقيقية والتي تتحقق بالاتصال بالمعرفة التي أودعها الله في أنفسنا.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) سورة الروم

المعرفة الفطرية

يمكن النظر إلى المعرفة الفطرية كتحضير للتأمل،المعرفة الفطرية أو المعرفة الصافية ضرورية للوصول إلى درجات عالية من الوعي والإدراك،هناك شيء يمكن ملاحظته عند النظر إلى جميع المؤلفات أو الآراء في مجالات العلوم الباطنية،جميع الفلاسفة أو المفكرين أو حتى الأفراد العاديون يصلون وعند التفكير بالمفاهيم الباطنية إلى نتائج متقاربة أو صور متشابه،هذه الوحدة في الإدراك البشري تدل على وجود وحدة للوعي البشري...أو مصدر واحد لجميع الأفكار،ينظر البعض إلى هذا المصدر كشبكة عالمية للإدراك هو نوع من الفضاء الأثيري حيث تقبع جميع الأفكار التي تخطر على البال البشري...مستودع من المعرفة المتراكمة ونحن بعملية التفكير نجذب الأفكار التي نبحث عنها ...فالتفكير هنا عبارة عن عملية بحث في الأثير وبقدر قوة إدراكنا وعمق وعينا نستطيع الوصول إلى معرفة أعمق وأوسع...وهذه الطريقة في تفسير وحدة الوعي البشري جذابة نوعاً ما ولكنها ضعيفة فكرياً و هي تفترض قدرة تخاطرية لا واعية كبيرة يفتقد معظم الناس لها،لا أنفي إمكانية وجود مثل تلك "الشبكة" لكن لا أعتقد أنها قادرة على حمل الفكر والمعرفة الإنسانية والقيام بدور الوسيط بين الفكرة "التي يفترض وجودها سابقاً" والمفكّر وفتح قنوات اتصال تخاطري عالمية وصافية هي أمور بالتأكيد لا يمكن إثباتها أو مناقشتها علمياً،أعتقد انه يمكن افتراض وجود شبكة مماثلة ولكن للمشاعر،وفي العديد من الحالات عند الوصول إلى درجات معينة في التأمل فالبعض يتحدث عن مشاهدات لأحداث تبدو واقعية لأشخاص يتألمون أو

يشعرون بالخطر أو القلق أو مشاهد تضم مؤثرات ومشاعر قوية و حالفني الحظ في اختبار بعضٍ من هذه الظواهر ولا استطيع هنا التأكيد بأن تلك الصور أو المشاهد كانت مشاهدات من نسج الخيال أم هي رسالات تخاطرية تطلق في الأثير بشكل لاواعي ولكنها كانت تبدو واقعية جداً لدرجة أنك تستطيع أن تقرأ رقم لوحة سيارة أو عنوان منطقة أو ما شابه ولكن من المستحيل التأكد من الوقت أو حقيقة حصول تلك الأحداث وترتيبها ،ولكن بالتأكيد يمكن الافتراض بأن هناك نوع من الوسط أو المجال التي تتحرك فيه الأفكار والمشاعر الإدراكية بحرية،ونظرية "الشبكة الإدراكية" تعطي أيضاً تفسيرات حول سبب "الانفجار الإدراكي" الذي شهدته البشرية خلال ال٢٠٠ عام السابقة وذلك عند زيادة السكان وتطور الوعي الجماعي،كما أن هذا التطوّر هو نفسه الذي يدفع عدد متزايداً من الأفراد في الحاضر إلى التوجه نحو العلوم والمجالات الباطنية،فهي نوع من أداة أو بوصلة لتوجيه الفكر البشري،وفي ظل غياب أي دليل أو نظرية متكاملة حول آلية عمل هذه الشبكة فهي تبقى مجرد افتراضات، لذا فالبديل الوحيد حسب رأي هي المعرفة الفطرية،فهي عالمية يشترك بها الجميع كما أن الاتصال بها يكمن في الوصول بالإدراك أو الوعي إلى درجة معينة كافية للوصول إلى المعرفة المخزنة وهي مقدرة متوفّرة للجميع.فنحن نتحدث عن مورد داخلي ولكن عالمي في نفس الوقت،يجعل جميع أفكارنا وآرائنا تتوجه نحو اتجاه عام مشترك.

أصل الفطرة (الوعي الصافي)

إن الوعي الصافي كمصطلح يصف قمة الإدراك البشري متأتي في الأصل من مصدر غير بشري،ونحن كمسلمين نؤمن أن هذا المصدر هو الله ،فالفطرة بالنسبة لنا ليست تفاعلات جينية نشأت مع الزمن وليست تراكمات من الذاكرة والخبرة القديمة لأسلافنا بل هي معرفة أودعها الله في نفوسنا جميعاً وهي معرفة كانت لدينا حتى قبل أن نظهر في هذا العالم المرئي ونطلق عليه الفطرة.الفطرة هي ذاكرة موغلة في القدم بل هي تتجاوز الزمن بحد ذاته،الفطرة هي اللحظة التي وقفنا فيها جميعنا أمام إله جميع العوالم ليشهدنا على أنفسنا بأنه إلهنا ونحن مخلوقاته ولحظتها أجبنا بلا تردد :بلى شهدنا،وهذه اللحظة برأي هي الحقيقة الكاملة والنهائية ، ونحن عندما شهدنا هذه اللحظة الصافية كنّا في هيئة روحية في عالم الذر،فعند دخولنا إلى هذا العالم وإمتزاجنا بمادته بدأنا ننسى تلك الذاكرة وتلك المعرفة،

يقول تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. **الأعراف: ١٧٢-١٧٣**

و قوله تعالى: وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا المائدة: ٧،

و قال مجاهد: "وميثاقه الذي واثقهم به، هو الذي واثق به بني آدم ، وهم في ظهر آدم -عليه السلام-، ونحن وإن لم نذكره فقد أخبرنا الله تعالى به.

فالفطرة هي هذا العهد والميثاق المذكور في الآية،لذا فهدف وجودنا الحقيقي هو إستعادة تلك المعرفة وتذكرها ..

وجميع الرسالات السماوية جاءت لهذا السبب ،لتذكرنا بتلك المعرفة وذلك العهد

يقول تعالى: وَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ الغاشية: ٢١-٢٢.

وقوله سبحانه: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ الذاريات: ٥٥..

وقوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ المدثر: ٥٤.

وقوله تعالى: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ المدثر: ٤٩

وهذا يدل على أن الإنسان كانت لديه هذه المعرفة الصافية بحقيقة وجود الله وأنه المعبود الوحيد..،وكانت مهمة الرسل ليست إنشاء معرفة جديدة بالله لم تكن في نفوس البشر بل تذكير الناس بالمعرفة القديمة التي بداخلهم والتي نسوها...

يقول تعالى:

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ الانعام ٤٤

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ المجادلة ١٩

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ العنكبوت: ٦٣..

مبدأ التوازن

نؤمن بأن ديننا الإسلامي هو دين كامل وشامل وهو دين الفطرة،وهو يلبي كافة احتياجات الجسد والعقل والنفس والروح...وحسب اعتقادي فإن اختلاف جميع الفرق والجماعات الإسلامية قائم على أمر واحد وهو أن كل فرقة او جامعة تنظر إلى الدين من زاوية واحدة...أي تأخذ بعضه وتترك بعضه،وهنا أيضاً يبرز المبدأ الذي تحدثنا عنه وهو قصور الوعي البشري فالبعض يهتم بالآداب دون الأحكام أو الزهد دون العمل والبعض ركز على العقل والمنطق والبعض إعتمد فقط على النقل فأدخلوا الكثير من الأحاديث الموضوعة والبدع والخرافات

والبعض ركّز على الرياضة الروحية والوجدان وإهمال النص والبحث الشرعي فضاع منهم العلم ...وهذا القصور هو الذي يؤدي إلى ظهور جماعات وفرق كثيرة من جميع الأديان ..فالطريق الوحيد لتوحيد كل تلك الفرق والجماعات هي تجنّب هذا القصور والبحث عن الأصول...وبالوصول إلى الوعي الصافي والذي يشترك به ليس جميع المسلمين فقط بل جميع البشر يمكن الوصول إلى توحيد الفكر البشري نحو دين واحد وفطرة واحد وأمة واحدة.

ولذلك فالوصول إلى الحقيقة الكامنة والصحيحة قائم على الأخذ من الأمور كلها والموازنة بينها،فيجب علينا النظر إلى الإنسان كجسد وعقل ونفس وروح،وتنمية جميع تلك العناصر بإتزان.

ولا يمكن الموازنة بينها جميعاً دون وعي صافي ،عندما تشعر أحياننا بأنك غير سعيد فإن ما يحصل لك بالتأكيد هو إختلال في التوازن بين هذه العناصر و المتطلبات.

يقول الله تعالى:

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) من الآية ١٤٣ سورة البقرة

والعبادات في الإسلام مقسمة إلى عبادات جسدية كالصلاة والصوم وبعضها عقلي كطلب العلم الشرعي،وبعضها نفسي كتزكية النفوس من الحسد والبغض،وبعضها روحي كالدعاء والخشوع في الصلاة و استحضار عظمة الله ومعظم العلوم التي ترعى الجانب الروحي رفعت إلى السماء...وإن أول هذه العلوم هو علم الخشوع،اليوم تستطيع أن تقرأ العديد من الكتب حول الصلاة وهي جميعها تتحدث عن أهمية الخشوع في الصلاة ،لكن لا يوجد الكثير أو لا يوجد شيء حول كيفية الخشوع ؟...وماذا وما هي المراحل التي عليك تجاوزها لتصل إلى حالة الخشوع الصحيحة.

ولو فكرت قليلاً لأدركت أن معظم صلاتنا هي صلاة بلا خشوع ، فما أن نبدأ في الصلاة حتى تبدأ الأفكار اليومية في مهاجمة تفكيرنا ومهما حاولنا التخلص منها نجد صعوبة في ذلك،

وقبض العلم يكون بقبض العلماء،لذا لدي قناعة بأن إعادة بعض تلك العلوم إلى الأرض هي مسألة ممكنة،وهذا يعني أن تلك العلوم مخزنة في قلوب العباد (فطرتهم) ويمكن إعادة بنائها بشكل مقبول،

يقول الرسول ﷺ :

(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد،ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسَُئلوا فأفتوا بغير علم فضّلوا وأضلوا) أخرجه البخاري ومسلم.

وهذا حسب رأي ما حدث عبر العصور...فمع قلة العلماء العارفين بمسائل القلوب ماتوا وبقي علماء الظاهر والمنطق والعقائد و لجهل الناس بالعلوم الوجدانية أو الباطنية و استخفافا بقدرها

والزعم أحياننا بأنها بدع أو ضلالات ضاعت تلك الثروة العلمية و عندما أمسك الصوفيون بتلك العلوم زادوا عليها بعض الفلسفة والمناقشات التي برأي أخرجت العلوم الباطنية من مكانها الصحيح فإنتشر الجهل والضلال وأصبحت تلك العلوم ومنها علوم تشخيص النفوس ينظر إليها بريبة وكأنها بوابات للانحراف والضلال وبذلك ضاع العلم،إن إيمان المسلمين الأوائل كان يستمد قوته من رؤية النبي (ﷺ) و رؤية المعجزات أمامهم ،ولو قرأت ما في الأرض جميعاً عن أخبار الرسول (ﷺ) وصفاته وأفعاله فذلك لن يعدل لحظة واحدة تراه فيها،ورؤية الرسول (ﷺ) في المنام هي من الكرامات العظيمة التي قد ينالها الفرد المسلم في حياته لأنها تزيد من إيمانه.وعند وفاة النبي (ﷺ) بدأ الفتنة والمصائب تتالى على أمة الإسلام.ولو كانت الفتنة قد دبّت في خير القرون بمجرد وفاة النبي(ﷺ) فكيف بنا نحن وقد ابتعدت بنا الأزمان عن سيرة القرن الأول من أهل الإسلام،بالتأكيد فإن قراءة المراجع الإسلامية والكتب "الناجية من تلك الحقب التاريخية السابقة" سوف تكسبنا إيماننا وثقافة إسلامية بقدر معين،وذلك القدر يختلف بقدر ثقتنا بتلك الكتابات والمخطوطات وهي تبلغ قمّتها عند صاحبها ثم تقّل تدريجيّاً حسب ثقة القراء بذلك الشيخ أو العالم ولا ينسى الناقلون لعلم الشيخ أن يعطوك موجزاً عن سيرته ويذكرون فيها الفضائل والحسنات وأحياننا الكرامات التي تمتع بها لتبني عليها ثقة قوية تساعدك على قبول أقواله أو نقله والإيمان بها،و هذا كل ما لدينا في هذا العصر المتأخر "الإيمان بالنقل"، إن الحقيقة عندما تكون متأتية من نفسك فإنها تكون ذات مصداقية عالية،ولا يعدها أي شيء آخر خارجي ولو كنت تثق به كثيراً... والعديد منا سيفاجأ في مواقف معينة ويجد نفسه تنهار أو تضعف بشدة و تتزلزل معه معتقداته عند وقوع مصيبة أو عند مناقشة أحد المتكلّمين وهذا أمر نراه في حياتنا اليومية ،وتجده يقول "لم أعد اعرف شيئاً!" ويلقي باللوم على الله أو القدر أو ما شابه من الحديث الذي ينم عن ضعف الإيمان وحالة الصدمة هذه ناتجة في الأساس إلى ضعف في معرفة الذات ...ولمن لم يعرف ذاته وحقيقتها فكيف سيبقى متماسكاً عبر الزمن وكيف يديروها،إن ضعف الأساليب الخارجية نابع في الأساس عن ضعف الإدراك الذي يحاول زرع الأفكار في باطن النفس بشكل إجباري ،وإذا لم تلقى الأفكار القبول من النفس فإنها تبقى هناك حتى تضعف قوة الإدراك أكثر وتنسى تلك الأفكار مع الزمن وتعود للخارج...ولذلك يفشل العديد من الأفراد في التغيّر والتخلّص من العادات القديمة ...فالتغيّر إن لم يكن نابعاً من قلبك فكل ما تفعله هو مجرد هدرٍ للوقت،لذلك فجعل الوعي الصافي أو الفطرة كشمس مضيئة في داخلك يضمن أن التغير الذي تحدثه في حياتك هو تغيير دائم ومستمر....

وجميع الرسل عليهم السلام من سيدنا إبراهيم إلى سيدنا محمد (ﷺ) ...كانت لهم تلك الأوقات التي يخلون بأنفسهم ليحاولوا تأمل حقيقتها فأصبحوا جميعاً سليمي الفطرة وعندها توجهوا إلى شعوبهم ليساعدوهم في تحرير أنفسهم وليضعوا فطرتهم في مكانها الصحيح من الحياة.

فمعظم الناس لا يدركون حقيقة الفطرة التي أودعها الله في قلوبهم لذلك فهم تعساء، ومهما حاولوا تغيير أنفسهم بدوافع خارجية فإن التغيير يكون مرتبط بمدى قوة تلك الدوافع ثم ما يلبث أن يقل ويضمحل في النهاية.

أعتقد وبشكل متزايد بأننا قادرون على إدارة أنفسنا بكفاءة والتحكم في دوافعنا و رغباتنا وطموحاتنا دون الرجوع إلى البرمجة العصبية أو غيرها من العلوم ودون إنكار تأثيراتها،

واعتقد أن بناء الذات بطرق فطرية أكثر كفاءة من العلوم الخارجية، فجزء كبير من فاعلية تلك العلوم يعتمد على مدى ثقتنا بها ،لكن المعرفة الفطرية لا تعتمد على شيء من الخارج.لذلك ستكون برأي ذات مفعول دائم ومحل ثقة،والأكثر جمالاً أننا لم نعد نقلق إن كان ما نستخرجه من معرفة أو حقائق يتماشى مع معتقداتنا الدينية أم لا لأن الدين والفطرة هما شيء واحد...وإن الصورة التي تتشكل في فطرتنا هي الصورة التي أرادنا الله أن نكون عليها....

حقول الأفكار

إن القناعة بمبدأ وحدة الوعي البشري يجعلنا أكثر تفهماً لمسألة تنوع الآراء والأفكار حول طبيعة المفاهيم الباطنية،فنحن يجب أن ننظر إلى تلك الآراء والأفكار كصور عديدة لنفس الأصل،والأمر أشبه بأن نطلب من عدد من الرسامين المبتدئين القيام برسم تفاحة،فسنحصل على الكثير من صور التفاح ،ولابد أن توجد بين كل لوحة و الأخرى بعض الفروق الشكلية حسب مهارة الرسّام أو خياله وهذا هو الحال في العلوم الباطنية،كل فرد يمكن أن يمتلك صورة مختلفة ومتميزة حول تلك العلوم والحقائق، والصور التي نرسمها بتفكيرنا الذاتي هي نماذج متعددة لنفس الأصل ،قد يميل البعض إلى التفصيل و التوّسع، وقد يميل البعض إلى التبسيط ، ولكن الجميع في النهاية على حق،ودائماً ما كنّا نفكّر في مسألة حول الذات أو الطبيعة و نظنّها للوهلة الأولى فكرة شخصية مميزة، لنجد أن آلاف من الكتّاب والمفكرين وحتى الأفراد قد سبقونا إليها و رسموها بألف شكل ولون،فالتفكير بالذات هو مجرّد رؤية نحو الحقيقة الكاملة ودقّة تلك الرؤية يتعلق بدرجة الوعي أو الإدراك لحقيقة ما نراه ،وإذا أردنا أن نبحث عن نماذج حول نظام الوعي سنجد عدد كبير منها ذات أسس علمية أو فلسفية أو روحية.وكل نموذج هو إثراء نحو الحقيقة الكاملة.

لنبني نموذجنا الخاص ،النموذج الذي سنتبعه يتعلق بالأساس الذي افترضناه حول طبيعة التكوين المتعدد للإنسان ،وقد تختلف نماذج أخرى في عدد الطبقات أو التقسيمات، لكن هذا النموذج هو الأبسط والأوضح فلسفياً ومنه يمكن التفرّع إلى تقسيمات أو درجات أو نماذج ذات مستوى أعلى.أعرف تماماً أن كل شخص قد يرغب بإضافة أو إنقاص أو تعديل جزء منه حسب تقدم وعيه، و لكن لنترك الجدال حالياً ،ونرى كيف يعمل هذا الشيء.

مستويات الوعي الكونية

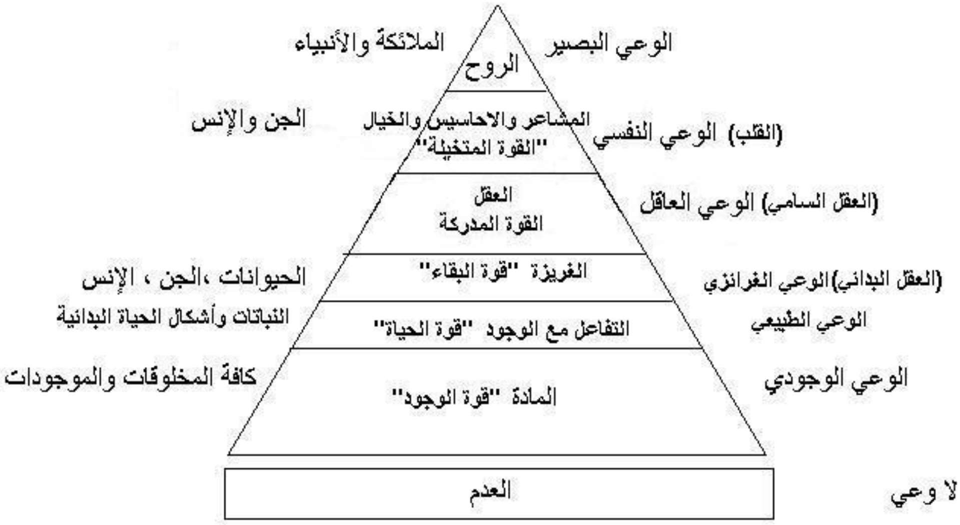

توجد مستويات عديدة للوعي داخل الإنسان،منفصلة لكن متراكبة،لتشكل في النهاية وعيه الخاص،كوعي منفصل ومتميز وسائد على بقية المستويات الأدنى منه ،وبما أن للإنسان سبعة مستويات للوجود فإن له سبعة مستويات منفصله من الوعي،وكل وعي متصل بمستوى محدد،وكل ثنائية من "الوعي والمستوى الوجودي" تشكل وحدة منفصلة،حواجز بين العوالم العديدة،الظاهرة والخفية،و هذه ليست فلسفة شرقية،بل نظرتي الذاتية الخاصة.

كيف تطوّرت أنواع الوعي

في الأزل -لاوعي (العدمية)

هناك العديد من المسائل الشائكة هنا،كيف ينشأ الوعي و ما طبيعته؟ كيف يتفاعل و يتغير وكيف يمكن التحكم به.

من أين ينشأ الوعي ،لنعد إلى البداية أو الأزل، في العدم هل هناك وعي ،لو تخيلت أنك أغمضت عينيك فهل تشعر بنوع من الوعي ،بالطبع ستشعر بإستخدام حواس آخرى كأن تسمع أصوات محيطة أو تشعر بالحرارة والضغط أو غيرها ،لنفترض أنك فقدت الحواس جميعها،هل تشعر

بوعي الآن،قد تلجأ إلى التخيل أو التفكير فهي الطريقة الوحيدة لتشعر بنوع من الوعي في غياب الحواس المادية، ولكن هناك أمر هام، الخيال والفكر هو متأتي من العالم الخارجي بواسطة الحواس،هل كنت لتتخيل أو تفكر باللون الأزرق لو ولدت كفيفاً؟ طبّق الأمر على مختلف الأشياء،في مستويات عميقة من التأمل حيث فصل تام للوعي عن الحواس أو الأفكار أو الخيال لا يمكن الإحساس بإنعدام الوعي بشكل تام لكن يمكن عزله،عزله إلى صورته الحقيقية المجردة،لا يمكن أن نسمي هذا عدماً،النظرة العامة التي يفكر بها الناس حول التأمل أنه محاولة للوصول إلى الفراغ أو العدم، هذه فكرة خاطئة،الذين مارسوا التأمل لفترة كافية يفهمون ما نتحدث عنه هنا ،لو أنفقت جزءاً كبير من الوقت في تحليل مستويات التأمل العميقة لإكتشفت أن ما تحصل عليه دائماً ليس "عدماً" بل شعور أعمق بالوعي ،السبب في ذلك أن الوعي يتم عزله(عن الحاسة والفكر) وتستطيع النظر إليه هناك بشكله المجرد لذلك يصبح متميزاً وسهل الملاحظة وعندها تصبح "واعياً بوعيك" ،لذا فالوعي والشعور به لا يستلزم القدرة على إستقبال المؤثرات الحسية أو القدرة على التفكير بل الوعي كيان قائم بذاته،تستطيع هنا تخيل خطوة أخيرة للوصول إلى العدم ،إفناء الوعي بطريقة ما ،وهذا مستحيل،فهناك يتجلى العدم الحقيقي،ففي الأزل داخل العدم ما كنا لنطوّر التفكير أو الوعي داخل العدم،هذا يعني ببساطة أنه لا وعي "بالوعي" كان داخل العدم،ولا عدم ينشأ داخل الوعي،سؤال بسيط لكن مهم قد يطرح نفسه،ما هو العدم؟

نحن نفترض أن العدم هو "عكس" الوجود ،وكأننا نتحدث عن العدم "كشيء" معاكس لشيء آخر ،مع أننا نعرّفه بأنه "لا شيءً"،هنا مسألة يجب أن ننتبه لها،كيف نقصد بالعدم اللاوجودية في حين نتحدث عنه كشيء موجود ونرمز له بالصفر (٠) كما أنه يرد على ذهننا وخيالنا فكيف يكون معدوماً؟ هذا من الأخطاء الشائعة،هل العدم بالفعل معدوم وكيف ينشأ العدم؟،في الحقيقية هناك نوعان من العدم ،نوع في "داخل" هذا العالم ونوع "خارجه" ولا أدري إن كانت كلمة "داخل" و"خارج" ملائمة لوصف الأمر، ولماذا هناك نوعان أو أنواع من العدم وليس نوع واحد، لنراجع الأمر،هذا العالم الذي نوجد به حالياً نشأ ضمن مبدأ "الثنائية"،في جميع أنحاء الكون ترى الثنائية (أي أن لكل شيء نقيض)، مهما حاولت ،فلن تجد شيئاً ما لا نقيض له،لأنه ببساطة كلا النقيضين يعطيان لبعضهما معنى للوجود،فلولا الظلام ما كنا لنفهم النور،ولولا السعادة ما كنا لنفهم الحزن ولولا السالب لما وجد الموجب،وبسبب ذلك أيضاً لا توجد أقطاب مغناطيسية منفردة في الطبيعة،يطلقون عليه التناظر الفائق ،في اللحظة التي يكسر فيها التناظر تنشأ نسختان من الحقيقية متساويتان ومتعاكستان وتلغي كل منهما الآخرى،ولكن لماذا كان التناظر الفائق والثنائية المتعاكسة ولماذا لم تكن ثلاثية متعاكسة مثلاً؟ السبب هو طريقة إيجاد هذا العالم،ففي البداية كانت المساء والأرض متصلتان معاً لا فاصل بينهما،أي كانتا شيئاً واحداً،هو العدم الكلي ثم فصل الله بينهما فنشأت سبع سماوات وسبع أرضين،ومن كل شيء نشأ زوجين إثنين متعاكسين،فكل عملية "فتق" أو فصل للشيء تنتج نوعين متاضين منه.

ﭐأَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا   من الآية ٣٠ من سورة الأنبياء

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) سورة الذاريات

لدينا نظرية مشابه في الفيزياء و الكوزمولوجيا "الإنفجار الكبير"،إن الكون نشأ من إنفجار تفاحة صغيرة الحجم ذات كثافة وكتلة لانهائية،وعندها نشأ الزمن والمكان وتمدد الكون ولازال يتمدد منذ ذلك الحين،هناك سؤال محرج،النظرية الخاصة بالإنفجار الكبير لم تجب عليه بشكل واضح،من أين أتت تلك "التفاحة" المتفجرة؟،وعلينا هنا أن نفهم العدمية كمفهوم لشيء خارج الكون ذاته، أتت منه تلك "التفاحة" أما داخل الكون فلا وجود لما يسمى العدم،لأن الكون بحد ذاته موجود،ولا يستطيع الوجود أن يحتوي اللاوجود، فهو يأتي من العدم وليس العكس،ما نطلق عليه الصفر أو الفراغ أو العدم داخل كوننا هو خرافة آخرى،هذا العدم "المصطنع" عبارة عن حالة تعادل،حالة خفاء معاكسة لحالة الظهور السائدة في الكون ،الصفر مع أنه يبدو فارغاً إلا أنه في الحقيقة يختزن جميع الأعداد الموجبة والسالبة المعروفة والتي عند جمعها كلها تؤلف الصفر،فمجموع الأعداد الموجبة جميعها والأعداد السالبة جميعها ينتج حالة من "التعادل"،نوع من الإختفاء، وليس الإنعدام،لو وضعنا شحنتين كهربائيتين متعادلتين في المقدار ومختلفتين في الشحنة في موضع واحد،ستلغي كل واحدة تأثير الأخرى ولو أحضرنا جهاز لقياس الشحنة الكهربائية في ذلك الموضع لأخبرنا أن الشحنة تعادل "صفر"،فهل يعني ذلك عدم وجود شحنات كهربائية في ذلك الموضع؟ فالعدم الموجود في الكون هو ناتج عن طبيعة "إختفائية" وليست عدمية حقيقية.

وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) سورة الممتحنة

فالشيء عندما يوجد له طبيعتان فقط الظهور أو الخفاء،فلا يستطيع أحد أن يفني ما في قلبه ليستره عن الله.

العدم الحقيقي موجود خارج نطاق الكون الخاص بنا،كعدم سالب،ربما بين الأكوان المتوازية أيضاً،هناك مشكلة آخرى ،المكان و الزمن،لو قلنا من أين أتت التفاحة؟ أو ماذا كان قبل الإنفجار الكبير؟ أو قلنا "ماذا يوجد خارج الكون؟"،فكلها أسئلة لا معنى لها في الحقيقية،لأنه ببساطة لا يوجد مكان أو زمن قبل الإنفجار الكبير،الزمن والمكان نشأ مع الإنفجار نفسه،البعض يتصور الإنفجار الكبير وكأنه حصل في منطقة فارغة فتتطايرت الشظايا "المجرات" هنا وهناك ونشأ الكون المرئي،وهذه فكرة خاطئة،أن ننظر إلى الكون وكأنه نشأ في مكان فراغي،المكان والزمن نفسه نشأ مع الإنفجار ولم يخرج شيء من نطاقه لأن الزمن والمكان نشأ بالتوازي مع التمدد الإنفجاري للكون،فجميع الأسئلة التي تتعلق بالحقبة "ما قبل الإنفجار الكبير"لا معنى لها لأنه في الحقيقية لا "حقبة زمنية قبله".

فكما أشار العالم الإنكليزي ستيفن هوكنغ عندما سأل السؤال: "ماذا يوجد شمال القطب الشمالي؟" نستطيع أن نجيب: "لا شيء"، ليس لأن هناك أرضًا ما غامضة قوامها "لاشيء"، بل لأن المنطقة التي نشير إليها غير موجودة أصلاً. إنها عديمة الوجود، ليس فيزيائيًّا فحسب، بل ومنطقيًّا أيضًا. والأمر نفسه ينطبق على الحقبة التي سبقت الانفجار الكبير. إن هذه المرحلة، بالتعريف، غير موجودة (معدومة عدماً كلياً). وبالتالي، فإن السؤال حول ما حصل فيها هو سؤال فارغ من المعنى بقدر فراغ السؤال حول شمال القطب الشمالي ،وعندما يسأل أحدهم بوقاحة "من خلق الله؟"أو "ماذا كان قبل الله؟"،أجب ببساطة أن السؤال لا معنى له ،لأن الوجود نفسه والخلق لم يكن ليظهر "قبل" الله،بل إن الزمن نفسه لم يكن موجوداً،ما يجعل كلمة "قبل" تختفي

وتبقى كلمة الله وحيدة ومتفردة،ولو كان السائل يقصد المعرفة لتوقف هنا لأن المعرفة ببساطة تنتهي عند هذا الحد.

يقول الله تعالى

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) سورة الحديد

(الوعي الوجودي)

عند الخروج من العدم "الحقيقي" فإن أولى مستويات الوعي هي المستويات الوجودية،عندما يتفتح الوعي إلى الوجود ينشأ لديه الوعي بذاته فقط "المقياس الذري" أو دون الذري فكل ذرة تدرك أنها موجودة ،ولذلك تشترك كل الموجودات في هذا الوعي سواء الحية أو غير الحية،و كل ما إنبثق من العدم،أعرف أنه من الصعب التصديق بأن للذرات "وعي ذاتي خاصة بها" ،أذكر عندما قلتها للمرة الأولى ،صديق قام بركل هذه الصخرة الصغير،"هل لهذه وعي ؟" قال ساخرًا،قلت "نعم،أعتقد ذلك!"،إنضمت إليه مجموعة آخرى ،أخذوا يركلون الصخرة،ولازالوا يركلونها و يلعبون بها كرة القدم،وهم يقلدون صرخاتها بشكل مضحك ليحاولوا إثبات جنون الفكرة،"لا بأس سيختبرون الجنون الحقيقي عند دراسة ميكانيكا الكم" قلت في نفسي،كنا مراهقين في ذلك الوقت،اليوم لم يعد الأمر مضحكاً،أصبحت الصورة أكثر وضوحاً،هذه المرة كان الله يقف في صفي.

ألم يقل :

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) سورة الحشر

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) من سورة الإسراء.

وكان للنبي ﷺ جذع يستند عليه في خطبة يوم الجمعة،وعندما جهز المسلمون له منبراً ،صعد عليه في الجمعة التالية،فخار الجذع خواراً كخوار الثور،وصاحت النخلة حتى كادت تنشق وإرتج المسجد،فنزل النبي صلى الله عليه و سلم فضم الجذع إليه،فجعلت النخلة تأن كأنين الصبي يُسكت،ثم قال:والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه، لما زال هكذا إلى يوم القيامة.

و يبدو أن للصخرة "الجماد" ولكل شيء وعي ما،لأنه لو لم يكن لديه ذلك الوعي لما أدرك ما إنزل إليه،ولما أحدث فيه ذلك الأثر،ولنقبل جدلاً أن الذرة هي الوحدة الأساسية للوجود المادي "هناك جزيئات مادية أصغر من الذرة الآن" فإن كل ذرة تمتلك وعي خاص بها وتستشعر عظمة القرآن أو عظمة الأنبياء ،فتفقد الترابط بينها،ولذلك يتصدع الجبل ويتفتت ،لأن الأثر متوغل في داخله "عند خشوع الذرات وحركتها" أنتج الصورة الخارجية الواضحة "التشقق والتصدع،ويحن الجذع إلى النبي الأمين،مما يعني أنه بشكل ما تمتلك الذرة المجردة الوعي بالوجود،وحيث

تخبرنا الفيزياء أن الذرة أو المادة ما هي إلا تكاثف للطاقة،فالطاقة كيان يؤثر ويتأثر،هنا نوجد الحل لإحدى أشرس المعضلات العلمية "الإنتروبي" أو العشوائية،توكد ميكانيكا الكم بأن المستوى الذري "مستوى مجنون" حيث تتحرك الذرات بعشوائية تامة و دون أي قوانين تحكمها،لو كان ذلك صحيحاً،فلماذا نرى هذا النظام والترتيب في الظواهر الكونية،هذا اللغز لا حل له ،لذلك لدينا في الفيزياء مجموعتان من القوانين،واحدة للأجسام الكبيرة كالمجرات والكواكب وهي النسبية العامة ،وآخرى للمقياس الذري وهي ميكانيكا الكم،ميكانيكا الكم هي الخاطئة،لا عشوائية "بمعنى فقد السيطرة" في المقياس الذري،بل حركة متقنة تماماً ناتجة عن تنسيق تام بين جميع الذرات تنبض نبضات منتسقه كوعي واحد وبآلية يعلمها الله،العشوائية التي يتحدث عنها علماء الكم ناتجة عن تصويرهم الذرة ككيان مصمت لا يمتلك أي قدر من الوعي أو التنسيق،ذرات "غبية" تتحرك دون سبب أو وجهه،ولو إستبدلناها بنموذج "الذرة الذكية" فعندها سيبدو علماء الكم هم الأغبياء،لأنهم ببساطة أخفقوا في ملاحقة ضربات فرشاة الفنان وهي تصنع اللوحة الكلية،فنسبوها للعشوائية،كل ذلك فقط لينكروا التدخل الإلهي على المستوى الذري.لا أنظر إلى الذرة ككرات تتحركة بتخبط و عشوائية،بل أراها "آلات واعية" تنفذ أوامر الله وتتحرك وفق إرادته،ومن تلك الحركة المدروسة لجميع الذرات ينشأ مفهوم القدر،الله لا يلعب بآلة قمار عملاقة،بل ينشأ كل شيء بقدر معلوم،وهذه حقيقية تتجلى في التناقض الواضح بين التصميم النظري الكمي و بين الشكل الظاهري الناتج،ولو أمكن لعلماء الكم التأثير على جميع الذرات الكونية للحظة واحدة لأهلكونها جميعاً،من المحزن حقاً أن ينسب هذا الإبداع والتنسيق على المستوى الذري للعشوائية،التي "لا تعريف لها" ولو كان لها تعريف لما أصبحت عشوائية ،هناك آلاف الكتب في الإحتمالات والإحصاء ،لكن لايوجد سطر واحد يعطي تعريف محدد للإعشوائية،هم ببساطة يرفضون التسليم بأن الظواهر الكونية إذا ما إبتعدت عن التأثير القسري "البشري" فإنها تخضع للتأثير "الكوني" الذي وضعه الله،فالمسألة بمجملها في ميكانيكا الكم ليست حول "الطبيعة العلمية" بل الطبيعة الأخلاقية،وعندما يؤمن علماء الكم بأن العشوائية تسير الكون فهم يؤمنون بال"لا شيء" يحرك الكون،فكيف يحرك "اللاشيء" الكون؟،إن عدم قدرتنا على التنبؤ بالحركة الذرية هي التي تعطي للقدر معنى،وهو أنه غير قابل للتنبؤ،السبب بأننا ننظر إلى الذرات ككيانات مصمتة تنطبق عليها قوانين الميكانيكا الكلاسيكية،بينما كل ذرة تمتلك الوعي الخاص بها،فتتحرك بحرية مطلقة محطمة جميع القوانين الفيزيائية فهي لا تنفذ تعليمات علماء الكم ،بل تتلقى تعليماتها من خالقها،لو طبقنا الأمر على المستوى البشري سيتضح الأمر،فأنت لا تستطيع أن توجد علماً يعرف بالضبط أن سيتوجه كل إنسان هذا الصباح،السبب أن كل إنسان له وعيه الخاص والمتغير و يتحرك من "نوابع داخلية" لا يمكن التنبؤ بها،بالمثل فالذرات جميعها لها وعي خاص بوجودها و تتحرك ضمن "نوابع داخلية" ناتجة من إرادة الله،ولذلك لا يمكن التنبؤ بسلوكها.

ما يجعل ميكانيكا الكم "مجنونة" هي أنها تصوّر الذرات و كأنها لها إرادة خاصة،ليكن لهم ذلك،ربما علينا أن نعيد النظر في هذه المسألة،لأن ذلك سوف يحل الأمر برمته فما المانع أن يتكون العالم من ذرات "واعية".فهذه حقيقة إيمانية.

(الوعي الطبيعي)

مستوى جديد من الوعي ينشأ عند إجتماع الذرات لتكوين كائن حي،خلية حية،السبب الذي يدفع الذرات أو المادة للبقاء ضمن نطاق الكائن الحي وعدم التبعثر في الفضاء المحيط هو أنها تخضع لوعي جديد محيط بها ،وعي طبيعي "وعي الحياة"،يمثل بهالة محيطة بالكائن الحي،يفرض هذا الوعي نفسه على "وعي الوجود" الخاص بالذرات ،عند الموت فإن قوة الحياة ووعيها تختفي ويعود وعي الوجود إلى السيطرة أو بالأحرى تعود السيطرة للذرات فتتحرك بحرية في الفضاء وفق وعيها الخاص مرة آخرى.هذا الوعي ينشأ في جميع الكائنات الحية بلا إستثناء،من البكتيريا المجهرية إلى الإنسان. المادة الحية هي ذاتها ذكية،يظهر ذلك في سلاسل الحمض النووي وطريقة تشكلها،لغز علمي لم يحل حتى الآن،لمذا تتخذ التشكيلات النووية توجهات معينة دون غيرها؟،ما الذي يقرر كيف ولماذا تتصرف بتلك الطريقة؟ ،هذه الطاقة أو الوعي موجود في كل خلية حية،تستطيع الخلايا الحية التكاثر وتنظيم نفسها بنفسها بآلية يجهل العلم معظمها،مما يؤكد وجود وعي خاص بالخلية المنفردة.

الوعي الغرائزي (العقل البدائي)

عند تجمع عدد من الخلايا الحية ينشأ وعي جديد أرقى يوحد قوة الحياة الخاصة بجميع الخلايا..تترجم على شكل غرائز،هي ترجمة للظواهر الحيوية الخلوية على مقياس كبير،فكما تأكل بعض الخلايا الفطرية بعضها،فالكائن الحي (تجمع من الخلايا) يأكل كائن آخر (تجمع من الخلايا)،فما يقوم به الوعي الغريزي هو تكبير "الوعي الطبيعي" المجهري إلى المقياس المنظور ،الهدف الرئيسي من ذلك هو البقاء على قيد الحياة وإستمرار النوع،عندها تلغى الحرية الخاصة بكل خلية،وتخضع جميعاً لوعي واحد ينظمها "وعي غريزي"،فتتخصص الوظائف الحيوية،فبعض الخلايا تصبح خلايا عصبية،وبعضها عضلية وآخرى تجف لتكون سطح الجلد ،أو تصبح خلايا بيضاء تدافع عن "الكيان الحي" من الأعداء،كائنات تحمل وعي أدنى "بكتيريا أو فيروسات".وهنا يبدأ الوعي الإنساني،حيث الجسد،يمتلك وعي وذكاء خاص به،يبدأ عندها بإستعارة مناطق في الدماغ،حيث الغرائز التي أصبحت عمليات معقدة (لأنها تمارس تأثيرها على عدد هائل من الخلايا) تصنع الوعي الجسدي،الجسد هنا أصبح يمتلك وعي خاص به ...وعي للحفاظ على حياته،يظهر عند حالات الخطر حيث يتكرك الجسد "من تلقاء نفسه!"،كما يظهر من التنظيم الداخلي للعمليات الحيوية،كدقات القلب ،تنظيم إفراز الأنسولين والهرمونات وغيرها،عمليات لا واعية،قدرات العقل الباطن،هذا الوعي يختلف بتطور الجهاز العصبي للكائن الحي.

يقول الله تعالى:

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) سورة يس

فأديهم وأرجلهم تمتلك "وعي جسدي" فتحدث بما كان أصحابها يستخدمونها به،فليس الجسد كياناً جامداً لا وعي له،هذا يؤكد الطبيعة الحقيقية للجسد، فهو مكان نسكنه لمدة من الوقت،ثم

يصبح أفضل شاهد على طريقة إستخدامنا له،في الحياة الدنيا نسيطر على الوعي الجسدي بوعينا العقلي فنفرض عليها إرادتنا ولكن ما إن تنتشل تلك الإرادة عنه يستعيد وعيه الخاص فيصبح إما حجة لنا أو علينا.

يقول الله تعالى

ٍلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) سورة الحج

وذكرت هنا بعض الجمادات والكائنات الحية التي لا تمتلك "وعي عقلي" ،فلو كان الوعي مرتبط بالعقل فقط ،لما كانت واعية بسجودها، وعندها لا يتحقق الغرض من السجود،فالصورة الصحيحة عن الوعي هو وجود درجات ومستويات عديدة منه و من عظمة الله أن جميع تلك المستويات تعبده وتسبح بحمده.

الوعي العقلي (العقل المتسامي)

هذا المستوى هو مستوى التكليف لأنه ينشأ القدرة التفريق و التميز،الإستقراء والتبصّر،الفهم والتطبيق،الحرية في الإختيار ،لذلك نصبح مسؤولين عن تصرفاتنا،هنا في هذا المستوى توجد الخلائق الراقية،الإنسان "الصورة الظاهرة" والجن "الصورة الخفية".

هذا الوعي ذو مستويين ، مستوى حسي سطحي ومستوى منطقي عميق،المستوى الحسي مرتبط بالجسد المادي والحواس الخمسة وهو يستقبل المؤثرات الحسية من الخارج هذا المستوى من الوعي سطحي جداً كما أنه يخضع لمبدأ الشك فلا تعتبر النواتج الفكرية في هذا المستوى ذات قيمة حقيقية مطلقة بل خطوط عامة ونسبية،كأن تقول مثلاً أشعر أن هذا الجو ساخن فهو ساخن بالنسبة لك وقد يكون دافئ لشخص آخر وقد يكون لشخص آخر ثقيل الحس بارداً كما أن هذا المستوى ضعيف في اكتشاف مكنون الأشياء ويمكن خداعه (كما في حالة الأوهام البصرية).وكما أنه مشوّش فهو يتأثّر بضعف الحواس الجسدية ويتأثر بعوارض الجسد كالمرض والألم ولهذا السبب فالنتائج المستخلص من هذا المستوى لا تعتبر مطلقة.وهذا الوعي هو الأكثر شيوعاً خلال حياتنا،وهو أكثر مستويات الوعي تأثيراً على قراراتنا وآرائنا في الحالات العادية.وفي الحقيقة فالعالم هو الشريحة الصورية التي نرسمها بإستخدام هذا المستوى المتدني من الوعي،و تتأثر الصورة أيضاُ بالمؤثرات النفسية أو الذاكرة. الوعي الحسي مهم لأنه نافذتنا إلى العالم الخارجي والمصدر الأول الذي نعتمده في بناء تصورنا وإدراكنا لما يحيط بنا. جميع مستويات الوعي الضعيفة تبقى في هذا الجزء ، كوعي النادم ،المحبط ،الخائف ،الغاضب ،الحائر، الماديّ والشهواني،وجميع تلك العناصر هي التي تفسد وعي عالمنا،وتجعله مكاننا قذراً.

المستوى الأعمق من الوعي العقلي ،المنطق،حيث يبدأ عامل جديد أقل تأثراً بمبدأ الشك بالظهور ،وفي هذا المستوى نصل إلى معرفة عميقة لا تصل إليها الحواس أو الوعي الحسي ،والمنطق أساسي في حل المشكلات أو الربط بين الأفكار وبين المسببات والنتائج وجميع إنتاجيات الحضارة الرقمية نابعة من هذا الجزء من الوعي ،وهناك ترابط خفي بين المستوى الحسي والمنطقي، والمنطق جمع الكثير من مبادئه من المستوى الحسي ،وهو أشبه بامتداد له،فناتج ٣+٢=٥ عملية منطقية لأننا في المستوى الحسي عندما وضعنا في الكيس ثلاث تفاحات ثم أتبعناهم بتفاحتين وجدنا خمس تفاحات فالمنطق يرتبط بنظرتنا المألوفة للعالم،والعديد من الأمور غير المنطقية هي أمور غير مألوفة في الطبيعة،فسقوط التفاحة إلى أعلى غير منطقي لأننا اعتدنا على رؤيتها تسقط لأسفل ومن تلك الرؤية و هي معرفة حسية بنينا تصوّر منطقية سقوط الأجسام إلى أسفل بقوة ما أسميناه الجاذبية رغم أننا لا نعلم حتى اليوم كيف تعمل وأين توجد بشكل دقيق؟!...،لا تستطيع أن تفكر منطقياً بشيء ليس لك به أي تجربه سابقة ولا تستطيع بحثه بالعقل وحده ، وإن وصفته هل تستطيع إثبات وجوده ؟ إن أثبت وجوده لاستطعت إثبات وجود أشياء عديدة غير منطقية كوجود طائر الفينيق أو الغول مثلاً ،فمن التأمل والنظر في كيفية عمل الكون يأتي المنطق.هذا المستوى أعمق من سابقه و فيه نستخدم التفكير العميق والاستدلال وينشأ فيه الذكاء.والمستوى الحسي والمنطقي يكوّنان ما يسمى (العقل المتسامي).أو نطاق الإدراك.وخلال المستوى المنطقي تظهر مستويات أرقى من الوعي كأفراد إكتسبوا نظرة أعمق إلى العالم ويلعبون دور أكبر وإيجابي في تطوير المجتمع وازدهاره ويشمل نطاق واسع جداً من الأفراد تغطي مساحة كبيرة من المهن والمجالات... كالفيزيائيين والمعلمين والأطباء والمهندسين وغيرهم.

الوعي النفسي "القوة المتخيلة"

الخيال منطقة عميقة في الوعي وهي منطقة وسيطة بين الإدراك المنطقي وبين المعرفة الصافية (الروحية)،والفكرة قبل أن تصل من المنبع إلى الإدراك المنطقي تخضع لتشويه في هذه المنطقة وهذا ما يسبب الخطأ عادة،دليل آخر على إرتقاء القوة التخيلية فوق القوة العاقلة،الخيال أقوى من المنطق،بالتخيل والإيحاء نستطيع التخلص من عادات قيدمة أو أفكار سلبية لا نتمكن من السيطرة عليها عادة بالتفكير المنطقي،التفكير المنطقي مقيد بالقوانين والمعادلات والحساب،كما أن السيطرة على التخيل تمنحنا سيطرة على الجسد لا يستطيع المنطق فعل ذلك،يسهل السيطرة على المنطق وفهمه،ولكن يصعب السيطرة على منطقة الخيال،فعملية التخيّل صعبة لشريحة واسعة من الأفراد،مع أن العديد من النشاطات الذهنية التي نقوم بها يومياً تعتمد على الخيال،عملية التذكّر هي عملية خيالية،فعندما تحاول تذكر أمر ما فأنت تعيد تشكيل الماضي في خيالك وتراه صور ومشاعر وأحاسيس فهناك ترابط وثيق بين المخيلة والذاكرة،المشاعر تنبع أيضاً من هذه المنطقة ولدينا في الإسلام مصطلح "النفس الأمارة بالسوء" والحقيقة أن النفس لا تأتي إلى صاحبها وتقول افعل كذا وكذا...بل تزّين له الأمر بصور خيالية وإيحائية فالنفس تستعين بالخيال للتأثير،فلو تصورنا أن أحد يستطيع التحكم بهذه المنطقة فهو قادر على التحكم بجزء واسع من الإدراك والتحكم بالمشاعر والأحاسيس الخاصة به.والسبب في أن الحواسيب لا تستطيع تطوير أحاسيس ليس نتيجة قصور في قدراتها المنطقية بل لأنها ببساطة لا تمتلك "خيالاً" وفي قصص

"الخيال" العلمي يحدث أن آلة تمكنت من تطوير "إحساس" بالذات (ولاحظ هنا الاقتران بين كلمتي الخيال والإحساس) فأصبحت تسعى لتدمير البشرية،لذا ارتبط التصوّر البشري بأن تقدّم التكنولوجيا "المنطقية" وزيادة سرعة المعالجات سيؤدي إلى تطوّر أحاسيس للآلة وهذا أمر مستحيل، فالمنطقة التي تعمل فيها الآلة والمنطقة الشعورية مختلفتان فالآلة منطقية والمشاعر خيالية،المشاعر في الحقيقة مسألة عميقة وواسعة لا يمكن إيجازها هنا تماماً ولكن يمكن إيضاح بعض معالمها،يمكن النظر إلى المشاعر كتجسيد خفيف للخيال،أمّا في المشاعر العميقة كالحزن والعشق والخوف تشعر بأن قلبك يضيق أو ينفطر أو يصغر أو يكبر وترى العالم أحياننا سواداً دامساً أو منيراً ومشرقاً وبالتأكيد فالعالم لا يتغيّر من حولك فكل تلك التأثيرات هي تأثيرات "خيالية" ولكن في حالات متطرفة قد تمتد التأثيرات إلى الجسد،كحالات القلق المزمن التي أثبت أنها تساهم في الإصابة بالعديد من الأمراض.،ونرى هنا أن "الخيال" تجسّد أو تحوّل إلى تأثير مادي سلبي،والحقيقة أن المشاعر تؤذي البشر أكثر من أي شيء آخر ،التفكير المنطقي يقول: إن كانت المشاعر كالتضحية والحب تدفع الإنسان إلى الموت فالقلب هو شيء سيئ ويسبب الأذى للناس ويجب التخلص منه ،ولكن من يستطيع التخلص من قلبه؟ وهنا تكمن القوة في الخيال كما يبرز ضعف إنسان المنطق،لا يمكننا أن نتخلص من المشاعر نهائياً فهي جزء من الطبيعة البشرية.لكن يمكن التحكم بها في مرحلة التحرير الذاتي،فعندما نمتلك القدرة على التحكم في الخيال نمتلك القدرة على التحكم بذاتنا،والتحكم بذاتنا يعني التحكم بكافة مشاعرنا وانفعالاتنا ،أي في النهاية نتحكم في عالمنا الذي نراه والذي تتصوّره تلك المشاعر والانفعالات ،تأثيرات الخيال حقيقية ومدهشة،وجميع الأفراد بلا استثناء يمكنهم الوصول إلى درجات عالية من التخيل دون تدريب ودون معرفة خارجية،و تزخر العلوم الباطنية جميعها بمصطلحات مثل التخيل والخيال، فتطوير المهارات الخيالية و الأدوات التخيلية أمر أساسي ، والخيال كمنبع للأحاسيس والمشاعر يمتلك نفوذ كبير على تصرفات الإنسان وإذا ما زرعت فكرة ما في هذا المستوى من الوعي فإنها تجد الطريق دائماً إلى الخارج والتنفيذ ،وهذا ما يحصل في حالة علوم التنويم المغناطيسي فلو قمت بزرع فكرة ما في عقل المتطوّع كأن يقوم بإطفاء الأنوار، فإنه بعد أن يفيق سيبدأ في التضايق من الضوء ويدّعي بأنه ساطع أو ما شابه ثم في النهاية ينهض ويطفئ الأنوار،يطلقون عليها أيضاً قوة اللاوعي أو الوعي العميق أو العقل الباطن ،وهي جميعها مفردات لشيء واحد ،منطقة لا يمكن إدراكها تماماً بالوعي الحسي ولكن تتحرك وتتفاعل بالتصوّر والتخيّل وهي قوية ويمكنها التعامل مع أشد المسائل تعقيداً.وباختصار شديد فإن منطقة الخيال هي منطقة التأثير ،والتغيير الحقيقي لا يكمن إلا بزرع الأفكار فيها ،ولذلك فالرسول (ﷺ) عندما سُئل عن الإيمان قال:" أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فهو يراك".

فلم يقل "لأنك تراه بعينك" أو يقل " لأنك تدركه بمنطقك" أو "لأنك تشعر به بفطرتك" بل "كأنّك تراه" وهذا يوحي بالتصوّر والتخيّل لأن الفكرة إذا ما زرعت في الخيال أو النفس كانت أشد تأثيراً،ثم قال "فإن لم تكن تراه" أي بالوعي الحسي المجرّد الأقل مستوى.فهو"أي الله" يراك.

ومحل النيّة في الإسلام القلب لأن النيّة تكون أشد تأثيراً في تلك المنطقة من الإدراك أكثر من غيرها فيقع بها التوجه المطلوب، فهي منطقة القلب الذي يقبل جميع الأفكار ولا يمحصها ويمنحها شكلاً وتعبيراُ من خلال الشعور. وهو لا يميل لإطلاق الأحكام، ولا يتأثر بكون الأفكار التي يتلقاها صحيحة أم خاطئة بل يقبلها فوراً فهو يتحرر من محدودية المنطق وقصوره ،ويقع

أيضاً في هذه المنطقة تأثيرات السحر والمس الشيطاني كما سنرى لاحقاً،فالشيطان أو القرين عندما يريد إغواء الإنسان يوسوس في صدره فلا يظهر له حسيّاً أو يناقشه منطقياً أو يقتلع فطرته الداخلية بل يلقى بالفكرة إلى قلبه وهناك تقع تأثيراتها التي نترجمها إلى أفعال وهي المعاصي والله أدرى و أعلم. وفي هذا المستوى يظهر وعي راقي جداً كمستوى القادة، والحكماء و العلماء مثل أينشتاين الذي قال "الخيال أفضل من المعرفة".

أفهم تماماً أن قولي بإرتقاء الفكر النفسي على المنطقي ضرباً للفكر الفلسفي،الفلاسفة ينظرون للمنطق على أنه "نهاية الإدراك" ويصورون الله "كعقل مجرد"،وأن كل شيء لابد أن يعطي صورة منطقية،المنطق بالنسبة لهم إله يعبد،إذا أقر المنطق بوجود شيء أقروه وإذا خالفه نفوه،ولذلك ردوا جزء كبير من المعتقدات الدينية لهذا السبب،وقدموا العقل على النقل،ففي الإسلام أخذوا يردون الأحاديث أو الأخبار التي جاءت بصورة لا يرونها "منطقية"،لا أرى في المنطق نهاية المعرفة،أستبدله بثنائية الإدراك،هل الله "عقل" مجرد ،هل يجب على الله أن تكون تصرفاته منطقية؟ عندما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود رفض إبليس ذلك وجاء بحجة منطقية،قال أنه خلق من نار وخلق آدم من طين فكيف يسجد النار للطين؟،لم يهنئه الله بهذا "الإستنتاج المنطقي" بل طرده من رحمه إلى الأبد،وكما يقولون "من تمنطق فقد تزندق"،أؤمن أن هناك شيء ما وارء المنطق،حكمة أو إرادة إلهية،الله خلق المنطق للإنسان ليلاحق السببية في هذا العالم،السببية تعني أن لكل شيء سبب ما،لكل فعل رد فعل،القانون الأول في الفيزياء الكلاسيكية،مبدأ منطقي،لكن السببية تقف عند الله لأن الله هو الذي خلقها،فكيف يخضع الله للسببية؟ هل يحتاج الله لسبب حتى يوجد الأشياء؟ أم يوجد الأشياء تبعاً لمشيئته؟،السببية تعني أننا مضطرون إلى أن نفعل الشيء "لسبب ما"،فنحن نبني البيوت لنحتمي من الشتاء فالإحتماء من البرد كان سبباً دفعنا إلى الفعل وهو بناء البيوت ،سألني أحدهم مرة ونحن ننظر إلى النجوم "ما الهدف من وجودنا؟ " "لماذا خلقنا الله؟" أعرف أن الله خلقنا للعبادة ولكن لماذا ،طالما أن إيماننا أو كفرنا جميعاً لن يؤثر على ملكه في شيء فلماذا خلقنا لعبادته؟"..بصراحة إضطربت في تلك اللحظة ولم أجد الإجابة،مسألة غير منطقية تماماً،نسيت أن الله لا يخضع للسببية،لو قلت أن الكون خُلق لسبب ما ،فأنت تفترض أن الله كان مضطراً لخلق هذا العالم بسبب هذا السبب،و ،وهذه زندقه وشرك في نفس الوقت،الملحدون لا يبالون بذلك،نحن بلى،فالله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،فلو قلت أن الكون خلق لأن مشيئة الله إقتضت ذلك فقط،فأنت تضع الأمور في مكانها الصحيح،الله لا يحتاج للأسباب كي يفعل الأشياء،بل يفعل الأشياء كما يشاء،

يقول الله تعالى:

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) سورة الرعد

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) سورة القصص

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧).سورة المائدة

فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) سورة البروج

أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته،فلا يشترط أن توافق إختيارات الله وقراراته منطق الفلسفة والسببية،والعقل الذي يتصورونه.

السببية والمنطقية هي مفاهيم نمت في عقولنا من مشاهدة هذا العالم الذي يخضع للسببية،السببية والمبادىء المنطقية تتحطم ببساطة عند الوصول إلى مفهوم الله،كما يتحطم الزمن والمكان،ككيان كامل،يضع الله المفاهيم المنطقية و يخلق الأسباب ولا يخضع لها،ومشيئته هي منبع الأسباب وليس قبلها شيء،لا يمكن أن تعرف سبب خلق الله لكل شيء،لأنه ببساطة لا يوجد سبب بل توجد إرادة و مشيئة،وكان الخلق أول نتيجه لهذه الإرادة ثم بدأت تعمل السببية بين طبقات الخلق الأدنى،"أيهما وجد أولاً البيضة أم الدجاجة؟" في الحقيقية لن نعرف أبداً ،لماذا؟ لأننا لا نعرف أيهما قررت مشيئة الله أن تكون الأولى ومهما حاولت الوصول إلى نتيجة بإستخدام المنطق والسببية ستفشل بشكل متكرر ومحزن ،"لماذا خلقنا؟" لو سؤلت هذا السؤال فأجب :أراد الله ذلك ففعل،ولا تفكر "ما هو السبب؟" ،أخفقت المنطقية والسببية مرة أخرى،الفلاسفة أخفقوا أيضاً في فهم هذه النقطة ،آلاف السنين من الفلسفة أجزم الآن أنها فارغة من المعنى أحياناً،أنظر!.. لقد أخذوا يقدمون أسباب وإقتراحات عديدة ومختلفة،وبشكل مضحك أحياناً،هل أبدو سخيفاً بالنسبة لهم؟،لقد قدسوا العقل وسجدوا له ،كما سجد إبليس لمنطقه ورفض السجود لمشيئة الله،لا أرى في المنطق سوى جزء من الوعي وليس الوعي كاملاً،نحن كمسلمين عندما نقاتل في سبيل الله ونُقتل ،ونترك الحياة بما فيها وهذا "غير منطقي" للبعض ،فنحن في نفس الوقت نقتل منطق "الفلاسفة" ونستبدله بمشيئة الله التي أرادت لنا ذلك،وهذا هو الطريق الصحيح.

إن الوعي النفسي ،وعي عظيم، يجعلنا نمتلك إراده وسيطرة حقيقية،الحواسيب لا تمتلك ذلك لأنها متقوقعة في المنطق،ولأنها تتطلب"بالوعي المنطقي" أن تكون الإرادة ناتجة عن سبب منطقي آخر،وما هو السبب المنطقي وراء الإرادة؟!،أنا أعرف،"٠١٠١٠١٠٠١" إن كان ذلك يعني شيئاً!!،يال الأمر المهم.

عند السيطرة على الجسد و العقل لا يبقى للنفس سيطرة وتصبح محاصرة،تسلك هنا أسلوب الإغراء،بالعودة إلى منهج الحياة قبل السيطرة،تزيّن الرغبات والشهوات الجسدية وتدفع العقل إلى الشك والجدال.،لأن تغيير النفس بطيء جداً ومفعول السيطرة هنا لا يسري عليها بنفس سرعة تحرير الجسد والعقل ،وهنا مرحلة تسكين للنفس وتصبير لها، هناك خطأ شائع لدى شريحة واسعة من المؤمنين حيث يستعجلون تحرير الجسد والعقل ليصلوا إلى تحرير النفس ،وفي هذه المرحلة إن لم يكونوا قد تغلبوا نهائياً على الإغراءات والشهوات الجسدية بالإضافة إلى الشك العقلي وهو أخطر، فإن تلك العوامل تعود مرة أخرى وتستخدمها النفس كأسلحة أكثر قوة في ذلك الحين مما يجعل علمية السيطرة عليها تنهار على نفسها، ولا يدوم التغيير ويصبح حالة شبيه بالمسّكن المؤقت أو في حالة التوقّف عند تحرير الجسد (بكثرة العبادة الجسدية) دون تحرير العقل تصبح التجربة الإيمانية مجرّد "غيبوبة" ما يلبث أن يستفيق منها المرء عند أول صدمة.

يقول الله تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) من سورة آل عمران

وتكون مرحلة التصبير أو التسكين بقراءة القرآن والانشغال بالذكر

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨ سورة الرعد

والانشغال بالطاعة و الابتعاد عن التأمل أو السكون العقلي أو الجسدي بل مضاعفة العمل الجسدي في العبادة أو خدمة الآخرين والعقل ب"البحث المكثّف" والتعليم والمساهمة في تحرير و نشر ثقافة التغيير ورسالة الوعي الصافي بين الآخرين.

وبعد فترة معينة قد تطول أو تقصر ،تبدأ النفس بالتعوّد على التغيير الجديد ،وإذا قبلته بشكل تام يصبح التغيير دائم إلى فترة طويلة...وتصبح النفس من "أمّارة بالسوء" إلى "أمّارة بالخير" وهنا نتغلّب على جميع الأمراض النفسية كالحقد أو الكره أو الكبر وغيرها من الصفات الداخلية السلبية.

لدينا عوالم كاملة تمتلك "إرادة" ووعي نفسي،مجتمعات كبيرة من البشر والجن،نستطيع أن نجزم بأن للجن إراده ووعي ،لكن إلى أي مدى؟ ،كيف نعرف ؟،هل أستطيع الإصطدام مع الجن بشكل مباشر،شعور غريب،عليك أن تستوقف أحدهم لتسأله،من المؤكد أنهم طوروا وعياً متقدماً،لو كانوا مسؤولين حقاً عن ظواهر كالصحون الطائرة أو غيرها من الأمور الغريبة،فهم بالتأكيد إكتسبوا معرفة أكبر عن الكون من التي لدينا حالياً،أمر طبيعي،لقد إستعمر الجن الأرض قبل الهبوط الأول لآدم بآلاف السنين،ولانعرف بالضبط كم من الوقت يفصل بين خلق أول جني وبين خلق آدم،أثار الأمر إستغرابي لفترة،كيف يمتلك الجن تلك المعرفة،إلى أي مدى يمكن أن ينافس وعيهم وعينا البشري،عمليات المس تصورهم ككائنات بدائية،غبية ومتوحشة،لكن لابد كيانات تمتلك وعي ما،لو كان الإنسان أكرم المخلوقات خلقاً فلابد أن يكون وعيه أكثر تقدماً،"كيف؟" سألت نفسي؟،هناك وعي لا يمكن للجن وصوله أبداً،أرقى مستويات الوعي."كالمستوى الأخير" ،حقيقة يجب توضيحها.

المستوى الأخير(الوعي الصافي) مرتبط بالروح

و هذا هو آخر مستويات الإدراك ،منبع الأفكار ومستقر الفطرة.

وهذا المستوى حكر على الملائكة والأنبياء من البشر،ولا يوجد من الجن أنبياء لأن هذا المستوى من الوعي متقدم جداً بالنسبة لهم،يمكن أن نعتبر "إبليس" إستثناءاً، قبل كفره طبعاً لأنه كان مع الملائكة،يسميه عبدة الشيطان،"الملاك الساقط من السماء"،يمتلك وعي واسع و معرفة كبيرة بالعديد من مفاتيح الطبيعة البشرية وغيرها ،الغرور جعل تلك المعرفة لا تساوي شيئاً الآن،هنا قصة يجب أن نعتبر منها،الشيطان قبل أن يكون شيطاناً كان من أتقى المخلوقات،لدرجة أنه سكن مع الملائكة عالياً في السماء،لا أعرف إنساناً وصل لهكذا مرتبة،أن يعبد الله مع الملائكة؟!،إنظر إلى أين وصل الإنحدار!،من أعلى السماء إلى أسفل الأرض،هو إبليس نفسه

الذي وقف أمام "برصيص" من عُبّاد بني إسرائيل عند صلبه بعد أن نجح في إغوائه ودفعه إلى الشرك،قال:"أتعرفني؟"،قال :"لا والله"،قال:" أنا صاحبك الذي علمك الدعوات"،أما إتقيت الله أما إستحيت وأنت أعبد بني إسرائيل....ثم قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين،الشيطان لم يعص الله لنقص في العلم أو الذكاء بل لكبر في النفس،فهو يتمتع بمعرفة ودهاء مكنته من إضلال هذا العدد الهائل من البشر ومنهم من كان تقياً،فعندما نتخلص من كبر النفس وغرورها وقبلها وقاحة المنطق،وقبله الغرائز الحيوانية،فإن ما يبقى هي الروح المسلمة لربها دون جدال أو غرور،المفطورة على التقوى و المحبة الإلهية،من يمتلك الوعي الروحي؟،من يستطيع أن يصل بروحه إلى الله؟،فيعبده حق العبادة؟،الملائكة و الأنبياء من بني البشر عليهم السلام جميعاً والقليل جداً من الصالحين.

ولا يعرف على وجه التحديد مادة خلق الروح أو نوعها أو أصلها وكل حديث يتعلق بمكنونها أو ما تحتويه هو من باب الافتراض و الظن ،والظن لا يغني من الحق شيئاً.

يقول الله تعالى:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) سورة الإسراء

ولكن في نفس الوقت هناك الكثير من المعرفة حول طبيعة تأثيراتها نستقيها من العلوم الدينية والأحاديث النبوية الصحيحة، وتلك معرفة كافية وجريئة،كما يمكن البناء على تلك الأخبار والمعرفة ببعض الاجتهادات و التفسيرات المنطقية،وسنحاول التعرّض إلى أكبر قدر منه،إن جميع المذاهب الفكرية والروحية تبدأ بالتصادم في ما بينها عندما تدعّي أنها قادرة على تحليل مكونات الروح وتقسيمها إلى كذا وكذا وكأنها نوع من الفاكهة،ودائماً ما أرمز لمنطقة الروح بنقطة سوداء كدليل على غموض تلك المنطقة،وقوله تعالى " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" يوحي بأننا قد نعلم عنها (الروح) بعض المظاهر العامة أو الشكلية أمّا المضمون والقلب الداخلي فهو أمر يستأثر الله بعلمه،و يمكننا الحصول وفي أشد الحالات تطرفاً على بعض الخطوط العريضة التي يمكننا رسمها حول الروح،فيمكننا القول أن مادة خلق الروح مغايرة للطبيعة المادية وبالتالي لا تخضع لأبعاده المادية أو الزمنية وسنبحث مسألة خلود الروح ،وخروجها من الجسد أحياناً في حالات النوم أو الحالات القريبة من الموت،ويمكن القول أن أشد الظواهر تحدّياً للمادة تكون نابعة من وصول الإدراك إلى عمق الروح وهي حالات نادرة جداً جداً، نحن نتحدث هنا عن أعلى مستويات الإدراك على الإطلاق كمستويات السلام والتنوير ويطلق عليه أحياناً "العقل فائق الإدراك"،الذي أدرك حقيقة هذه الحياة وحقيقية دورنا فيها والهدف من وجودنا.

ولكن كيف تتحرر الروح هنا؟ الروح لا تتحرر نهائياً إلا بالموت.تحرر الروح هنا مرافق لوصول الوعي إلى حالة التنوير...نوع من الحياة الروحية ،نعيش فيها كأرواح وليس كأجساد،لا نبالي بالعوارض البشري أو المادية،يطلق عليها بعض المتصوّفة "النفحات الإيمانية".ليس هناك دليل دقيقة حول كيفية الوصول إلى هذه النفحات الإيمانية ،فهي ترزق من الله تعالى مباشرة،المرء في هذه المرحلة يرغب في البكاء في أي لحظة و يمتلئ قلبه بالمحبة الإلهية والسعادة والفرح الفطري وكأن روحه تطلب الخروج إلى بارئها.وتختلف فترة بقاء هذه النفحة،وعندها يكتسب المؤمن قدرة مدهشة ونشاط كبير ،يصوم الأيام ويقوم الليالي ولا يشعر بتعب،بل و يجد الراحة في العبادة وفي هذه المرحلة تكون عملية التحرير قد بلغت هدفها،بجعل

الروح تستشعر النور الإلهي و تتصل بربها اتصالاً دائماً ،يجعلها تعيش في معيّة الله.وتتغلّب في هذه المرحلة الطبيعة الروحية على الطبيعة المادية في الإنسان.في هذه المرحلة يمكن العودة إلى التأمل ويلحظ الفرد بعد فترة انقطاع طويلة، التغيّر الملموس في الوصول السريع نحو أعمق درجات الوعي .ويصبح الاتصال بين الإدراك والروح قوي جداً.ويعرف الفرد عندها ماذا يعني الخشوع، الخشوع هنا هو الإنصات إلى الروح وهي تتحدث إلى الله بكلمات المحبة والعشق،ويشعر الإنسان أن قلبه ينشق و يخرج النور منه،لا يستسيغ عندها المعصية أو رؤيتها.وهي ما يسمى ب"حلاوة الإيمان".تبدو كتابات المتصوّفين حول هذه اللحظة كتابات غريبة،وكأن القوم فقدوا عقولهم...ومن يستطيع أن يلومهم؟

روي مرة أن المسيح ابن مريم كان يسير في الطريق فقابل رجلاً ،فقال له الرجل:ادع الله أن يقسم لي مثقال ذرّة من محبته،فقال المسيح:لن تقدر عليها!..فقال الرجل :إذن أدعوه يقسم لي مثقال نص ذرّة،فدعا له المسيح بذلك..فقيل أن الرجل بعدها لم يأكل و لم يشرب بل جلس على صخر وأخذ ينظر إلى السماء في هيام تام وعيناه تنظر إلى السماء.

نسأل الله أن يرزقنا و جميع المسلمين هذه المنزلة الرفيعة وأن لا يحرمنا من هذه النعمة،نعمة محبته الصادقة.

الطبيعة الروحية،طبيعة وجودية متماسكة، فهي تكتسب وجودها من مشيئة الله ،فهي موجودة لأن الله أوجدها ولا تفنى إلا إذا أراد الله ذلك،وهذا ما يكسب تلك الطبيعة المناعة الكبيرة ،لأن الوحيد القادر على التحكم بها هو الله فقط ، فلذلك فهي من أمر الله،عندما تقتل شخصاً ما أنت بالتاكيد تفني وجوده المادي أما وجوده "غير الظاهر" الروحي فلا يمكنك أن تلاحق الروح وتقضي عليها مهما فعلت،فأنواع الوجود الأخرى تنبثق من الوجود غير الظاهر "الخفي"،والجسد هو تجلي "للروح" في هذا العالم،وليس هو الروح أو الذات بنفسها،الميت يبقى واعياً بعد الموت،لأنه يرجع إلى تلك الحالة الواعية الخفية (الروحية)،عند الإمتزاج بالجسد نشأ الوعي النفسي ،وهنا يتضح الفرق بين النفس والروح .

وفي مرحلة التنوير وهي نهاية تطوّر الوعي البشري ،يتميز الفرد بحالة روحية عظيمة وهي مرحلة قوة الإلهام ،وهنا يمتلك الشخص طاقة كافية للتأثير على مجموعة كبيرة من الناس،وفي هذا المستوى لا ينفصل وعي الشخص عن الوعي الجماعي ويكون هناك نوع من الإندماج في الكون،ويعيش في حالة روحية تامة ويصبح عندها الجسد مجرد أداة،و الأشخاص الذين وصلوا إلى هذا المستوى هم العظماء في التاريخ ومنهم نبينا محمد ﷺ والأنبياء (عليهم السلام) .

من المهم أن تدرك بأن رحلتك كإنسان في هذا الوجود هي رحلة ذات بعد أسطوري ...وهي الأطول بين جميع أعمار الموجودات الأخرى وهي تقطع جميع العوالم الطبيعية وفوق الطبيعية فأنت بدأت من العدم في عالم الفراغ ثم انتقلت إلى عالم الجمادات حيث الخلق دون الروح وعند

دخول الروح إلى هذا الكيان الجامد دخلت إلى عالم الحياة الدنيا ..ثم ما تلبث أن تموت فتنتقل ،إلى عالم البرزخ وهو بداية العالم الغير حسي أو الفوق طبيعي ...ثم ما يلبث أن ينتهي بك الأمر إلى عالم الحياة العليا وهي آخر مجالا الوجود وعوالمه وفيها المستقر و المنتهى.وعلى عكس الدودة التي تصل إلى عالم الحياة الدنيا وينتهي بها المطاف بالموت.فأنت أيها الإنسان صاحب القصة الأطول بين كل المخلوقات، فالأجدر بك أن تعلم كيف تدير تلك الرحلة .التغيير..والذي يظنه البعض مسألة تدريجية طويلة الأمد ..و هذا و إن صح إلى حد ما ،إلا أن التغيير لا يبدأ إلا بتلك اللحظة الصغيرة جدا ..الصدمة أو المؤثر .ومن دونها لا يبدأ التغييرً أبدا ...

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) سورة النحل

فإدراك كل شيء لا يمكن حصوله بعقل بشري بل يحتاج إلى عقل "إلهي".ولو حاول العقل البشري و بأقصى درجات الإدراك الوصول إلى كل شيء فسينهار على نفسه في النهاية.

.والناس يسعون إلى إدراك كل شيء حولهم .ويسعون بشكل فطري إلى توسيع مداركهم نحو العالم الخارجي . العالم الذي تعيش فيه هو العالم الموجود داخل دائرة إدراكك ..مزيج من المعلومات ،الخبرة..والأحاسيس والمشاعر ..ذكريات وغيرها .وكلّ ما أدخلته إلى عقلك .ولكل شخص في العالم عالم داخلي خاص به .ولا يشترك اثنان في دائرة إدراك أو عالم داخلي واحد.السبب أنه لو كان هنالك شخصان يشتركان في كل الأفكار و الإدراك والأحاسيس بل وفي كل ما ادخلاه إلى عقولهما فلا فرق بينهما فسيكونان شخص واحد وليس شخصين .

إن البكاء عند القبر أو الضريح يظهر لنا مدى ضعف الوعي في هذا العالم،فنحن ننظر إلى الميت وكأنّه فنيَ نحو العدم ،ولكنه في الحقيقة سبقنا إلى مرحلة مختلفة من الوجود،وسوف نلحق به أيضاً في يوم من الأيام.

تعريف المالانهاية، إتحاد القطبية، و تعددية الحقيقة

المالانهاية

المالانهاية مصطلح مربك و مضلل أيضاً،بكل بساطة ما هي ...المالانهاية؟..قد يهز البعض أكتافهم ويقولون هي "المالانهاية!" أي لانهاية لها...مرة آخرى نقع ضحية الأفكار المعلبة التي بالتاكيد لا نفهم المقصود الصحيح منها،كيف نعرّف شيء لا يمكن تعريفه،وكيف نحدد شيء لا يوجد حد له،لنجعل الأمر أكثر نظامية،لنسأل هل المالانهاية موجودة حقاً كظاهرة في هذا العالم؟،

يقول الله تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) سورة الرحمن

فالوجود بأكمله محدود وله بداية و بالتأكيد نهاية،وإن كنا نقصد بالمالانهاية الكمال، فالكمال صفة إلهية وليست وجودية،إذاً هناك مشكلة في الرياضيات، هل هي بالفعل تصف العالم،أم تصف تصورها للعالم؟،عالمها الخاص،المالاناهية متغيرة ومتقلبة،نقابل المالانهاية كثيراً في الفيزياء ،خاصة في الفروع الكهرومغناطيسية والدوائر الكهربائية على وجه التحديد،صعقت عندما رأيت المالانهاية تتكرر بكثافة في هذا المجال،وكأن الكوابيس تحقق،"إنها في كل مكان،هنا وهناك، !"،كانت المالانهاية تجتاح المعادلات التي تصف المجالات والقوى الكهرومغناطيسية،فعلى سبيل المثال،المالانهاية بالنسبة لمجال تأثير شحنة كهربائية، تبلغ أحياننا ٥ أمتار فقط، فبالنسبة للشحنة الكهربائية ٥ أمتار هي شيء كبير بما يكفي لتصفه بأنه لانهائي بحيث أن مجال تأثيرها هناك يبلغ صفر،لكن هل هذا صحيح؟،هل ينعدم تاثير المجال بالفعل هناك؟،الأجهزة الحالية التي نملكها تقول ذلك،هي تقول أن المجال في بعد الأمتار الخمسة (المالانهاية) تبلغ بالفعل صفر،ماذا لو وضعنا ملايين الشحنات في نفس موقع الشحنة السابقة ،نرى أن المجال يمتد إلى مئات الأمتار الإضافية،رغم ان كل شحنة،لم تكن قادرة على التأثير سوى لخمسة أمتار فقط لوحدها،فما الذي حدث،هل يتغير بعد المالانهاية؟،هذه مشكلة عويصة،نحن نهمل الكميات الصغيرة جداً لأنها لا تؤثر على مقياسنا البشري أو لا تتمكن اجهزتنا من رصده فنعتبره ببساطة غير موجود!، ولكن نهمل بذلك "الحذف المتعمد" مقدار يبقى فوق الصفر بالتأكيد،فالحقيقة في مثال الشحنة الكهربائية أن الشحنة يمتد تأثيرها إلى الكون بأسره،لكن المقدار الذي تتمكن أجهزتنا من قياسه ورصده يكمن في الأمتار ال٥ الأولى فقط،وبالتالي نحن نعاني من مشكلة حقيقية في القياس،نحن نعاني في محاولة وضع بداية ونهاية للأشياء،نتحدث عن الكون كشيء ثابت بما يكفي لنضع له صفراً أو ما لانهاية أو حتى نهاية،صحيح أن ذلك يساعدنا في إيجاد حلول على مستوانا البشري لكن ذلك أيضاً يفرض أننا لا ندرك الحقيقة الكامل،فمثلاً أنت لا تشعر بتصادم ذرة ما من الهواء على جسدك و لكن بتراكم ملايين الذرات وملايين الإصطدامات تبدأ بالشعور بالضغط الهوائي وعندها تقول أن الضغط الجوي يبلغ كذا ورغم ان ذلك صحيح تماماً على مقياسك البشري إلا انه لا يصف الحقيقة التي تقول بأن ما تصفه بالفعل ما هو إلا مجرد "متوسطات حسابية"،هذه

المتاهات تجدها بكثرة في ميكانيكا الكم، حيث تخضع تفسيراتنا البشرية للإختبار مرة تلو الآخرى،فالرياضيات بالنسبة لي لا تصف الطبيعة بقدر ما تصف بسطحية نظام آخر باطنياً أشد تعقيداً منها يحكم حقائق النسيج الطبيعي،عالم الغيب مثلاً لا نعني به عالم يغيب عن الحس فقط بل عن العقل و الخيال،وبشكل آخر هو موجود وغير موجود بنفس الوقت،إذا قررنا مثلاً أن الرياضيات هي التي تصف الجوهر الحقيقي للوجود فنحن نقر ببساطة بعدم وجود الغيبيات،فالمشكلة في الأداة و ليس الحقيقة المجردة المقيسة بتلك الأداة،كأن تحاول قياس طول السائل بمسطرة صلبة،عندما نقول أن السائل لا شكل محدد له وحجمه ثابت،فإننا نقول أن السائل يتخذ أشكال متعددة و كثيرة جداً ولكن ذلك لا يعني أنه ليس محدود،وإذا تمكنا من قياس طول السائل بشكل ما ،فالطول أيضاً سيتغير بتغير الشكل،ولكن لا يمكننا الإفتراض بأن القياس الذي أخذنا بناءً على المشاهدة والملاحظة الأولى هو القياس الحقيقي،إلا إذا كان السائل أو الجسم المقيس صلباً،وحتى الأجسام الصلبة معرضة لتغير في الطول نتيجة التغير في عوامل آخرى داخلية،فما الذي يجعلنا نعتقد بشكل ما أن الكون مكان صلب وليس سائل أو مرن مثلاً،وان الصورة التي يظهر بها لنا ما هي إلى صورة واحدة من آلاف الأشكال الممكنة له ؟،لا شكل له وحجمه ثابت،نحن نفترض عند إعتقادنا بصلابته أن قوانينه مطلقه موجودة منذ الأزل،وليست مرنة بما يكفي لتعطي نتائج عديدة،قد تصفها الرياضيات وقد لا تصفها،الأمر أشبه بمحاولة تفسير الجنون بالمنطق،فالمشكلة الأساسية تكمن في الأداة و ليس كون الحقيقة أو الشيء موجود أم لا،محدود أو لا نهائي،تصوري الأول لتعريف المالانهاية يكمن في مشكلة بسيطة،الجمع،لنفرض أن لدينا عددين ٥ و ١٠ ولأن عملية الجمع إبدالية فلن نبالي حقاً بقضية "من تم ضمه إلى من" هل أضيفت ال٥ إلى العشرة أم العكس،لنتصور الآن عدد هائلاً كالمليون مثلاً و نجمعه برقم ١ ،لو تصورت الأمر فستقول أن الواحد أضيف إلى المليون وليس العكس،كقطرة أضيفت إلى محيط،ورغم أن قانون الإبدالية لا زال يسري هنا ،فإننا لا نكف عن تصور العدد مليون كوحش ضخم إبتلع العدد ١ المسكين،مع أنه في الحقيقة يجوز القول بأن الواحد هو الذي إبتلع المليون والعكس صحيح،المهم ملاحظة حالة الجمع الأولى فالفارق بين الرقم ١٠ و٥ فارق واضح فالعشرة عند ضم الخمسة إليها زادت بمقدار النصف "٥٠%" أما في الحالة الثانية أي جمع المليون والواحد فالنسبة تصبح "١*١٠ مرفوع إلى أس سالب ٤ فالمئة" أي نسبه ضئيلة جدا جداً جداً...ماذا لو كان المليون ملياراً أو أكبر من ذلك بمئات أو آلاف المرات،النسبة ستصغر أكثر وأكثر إلى أن تقترب شيئاً فشيئاً من الصفر،ولو وصل الأمر إلى أس مرفوع إلى سالب ١٠٠ ستعجز الآلة الحاسبة العادية عن إكتشافه،لو زاد عن ذلك بمئة مرة سيعجز الحاسوب العادي عن كشفه،ولو زاد عن ذلك بمليون مرة سيعجز أي حاسوب على وجه الكره الأرضية عن كشفه،عندها يفترضون بكل بساطة أن المالانهاية تقع هناك،ماذا يعني هذا ،كيف نضيف عدد إلى كمية ثم لا تزيد شيئاً!،كيف تصبح عملية الجمع هنا غير فعالة؟،علينا هنا إفتراض مشكلة في عملية الجمع ذاتها،إحدى أهم اسس الرياضيات،أي أن المالانهاية قائمة على أمل أن عملية التصغير أو التقسيم ستدوم إلى الأبد وأن ليس لها حد معروف،هل سيدوم الأمر حقاً إلى الأبد؟

إتحاد القطبية

مشكلة آخرى،ماذا يحدث إذا تمادينا في التكبير أو التصغير للشيء،أو بشكل أوسع إذا تمادينا في مشاهدة أبعاد أي ظاهرة كونية،المعروف لدينا مبدأ حسب الثنائية الكونية أن لكل شيء نقيض ما ،وكل منهما يعطي للآخر معنى أحدهما يكون الصورة الأدنى حسب وصفنا أو منظورنا والآخر يكون الأعلى،على سبيل المثال في الرياضيات يبدأ العد من الصفر ويستمر ثم يستمر إلى أن يصل إلى الملانهاية عندها نقول أن الصفر هو الحد الأدنى للعد والملانهاية هي الحد الأعلى(للأعداد الموجبة)،الكيانات الوسطى هي شيء بين هاتين النهايتين (الكبرى والصغرى)،فالوجود يحتل في معظمه هذه الكيانات الوسيطة،فالحالات المتطرفة نادرة،البارد والساخن،النور والظلام،العبقرية والجنون ،الإيمان والكفر،الموجب والسالب ،كلها متناقضات والوجود بأكمله يقع في مكان ما بين هذه المتناقضات ،ظهرت المشكلة للمرة الأولى نتيجة علاقتي السيئة بالرياضيات،في درس شائك للنهايات،كنت أعرف منذ البداية أن الأمر سيتطور إلى مشكلة،كطالب جامعي وشاب متحمس كنت أرفض بعض الأفكار التي أجدها غير متماسكة وملائمة لتفكيري،ومن بين هذه الأفكار "الملانهاية"...ما هي الملانهاية؟،في الحقيقة مهما حاولت الوصول إلى جواب فلن تصل إلى شيء لأنه ببساطة ليس هناك شيء إسمه ما لا نهاية،المسألة قد تظنها فلسفية بكليتها،لكن على الجانب الآخر سترى كم هي " أي الفكرة" متماسكة منطقياً،"ما هو تعريفك للمالانهاية؟" دائماً أسأل هذا السؤال لكل من يعترف بوجود هذا "الشيء" في كوننا،كما أن كوننا لا يمكن أن يحتوى العدم في داخله لأنه موجود فإنه أيضاً لا يمكنه أن يحتوي المالانهاية لأنه محدود،سمعت خلال حياتي العديد من التفسيرات حول المالانهاية بعضها مضحك جداً،البعض زعم أن المالانهاية هي أن تستمر في العد إلى يوم القيامة أي رقم خيالي لا يمكن تصوره،في الحقيقة لا أرى أن ذلك أثبت شيئاً بل بالعكس أثبت أن للمالانهاية حد معين(قبل يوم القيامة بثانية)،لماذا نستخدم الأعداد والرياضيات دائماً في وصف الأشياء ،الظواهر والطباع الموجودة فعلياً في هذا الكون،هل تستطيع الأرقام وصفه حقاً،على المستوى الذري تسري العلاقات الرياضية بكل إنتظام وترتيب ،وفجأة عند تجلي الأمر أو الظاهرة فوق الطبيعية يحدث خلل مفاجئة أثناء التجلي،فتجن الارقام والمعادلات وتعطي قيم غير منطقية ومتصادمة،وبعد زوال التجلي ،تعود المعادلات والأرقام إلى الإنتظام السابق،لندعي لاحقاً بأنه النظام الأزلي....ألا يعني هذا وجود نظام خلف الرياضيات ذاتها،نظام يصبح لجذر الواحد السالب قيمة محددة مثلاً.

كوني مؤمنناً بمحدودية العالم كان علي أن أن أجعل خط الأعداد الرياضي (اللانهائي) يبدو محدوداً أيضًا،إستخدمت في البداية الأداة التخيلية "و سأتحدث عنها لاحقاً" و عند دفع الوعي عميقاً داخل الذرة كنت أصل إلى منطقة سوداء تماماً ،ثم تظهر نقطة بيضاء من بعيد ما تلبث أن تكبر شيئاً فشيئاً لتصف في النهاية "الحدود العظمى للكون"،وفي تجربة آخرى وعند التكبير والإرتفاع في المقياس بعيداً إلى الحدود الكونية العظمى ندخل مرة آخرى إلى تلك "الظلمة" ثم يصبح الكون نقطة بيضاء ما تلبث أن تشكل في النهاية جزء صغير جداً من إلكترون يطوف حول نواة إحدى الذرات ضمن الحدود الدنيا في المقياس الذري،فسرت الأمر في البداية كإخفاق في التخيل،شككني ذلك في مدى نجاعة الأدوات التخيلية رغم نجاحاتها السابقة،لكن عند البحث عن طريقة لتحويل الخط العددي والذي يتكوّن طرفاه من المالانهاية والمالانهاية السالبة ،بدأت الصورة بالتوضح أكثر فأكثر ،كيف نجعل خطاً لانهائيًا في أطرافه يبدو محدوداً؟! في الحقيقة كان الجواب في منتهى البساطة،نغلق طرفيه!،

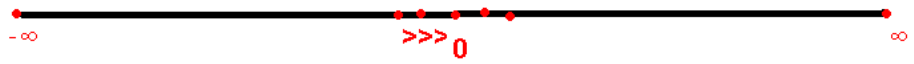

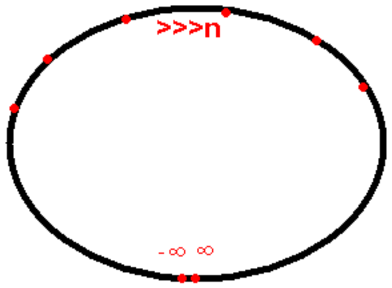

هذا الجواب مع بساطته المفرطة يفرض تحدياً مخيفاً من الناحية الفلسفية،حيث أننا نفترض أنه عند التكبير أو التصغير فإننا نصل إلى منطقة ما ،بين المالانهايتين،أسميتها الفراغ السلبي،ثم وبكل بساطة نقفز من المالانهاية الكبرى إلى المالانهاية الصغرى،أي أن الكون بأكمله متصل بذاته كحلقة مرتبطة واحدة بين الأبعاد،نراه في شعار المالانهاية ذاتها،هل تستطيع أن تفهم الأمر،رغم إبتداعي لتلك الفكرة الغريبة إلا أنني إحتجت بعض الوقت لفهم الأمر على حقيقته،لاحقا حاولت مناقشة مدرس الرياضيات في المسألة، الذي سئم من إعتراضي المتكرر على كلمة "مالانهاية"،وبحكم كونه متديناً فإنه قبل فكرة عدم وجود "اللامحدودية" في العالم الحقيقي أو الإفتراضي،وحاولت من خلال ورقة كثيرة التجاعيد أن أفسر فكرة "تقوقعية" العالم على نفسه وإتصاله ببعضه،وفي الحقيقة أبدى الرجل عاطفة نحوي وساعدني في الوصول إلى مكتب رئيس قسم الرياضيات، وكان رجلاً في منتصف السبعينات من العمر على جبهته تلك التجاعيد المفزعة التي تفوق تلك التي على ورقتي الصغيرة،وكان يرتدي نظارة سوداء غليظة،ومنشغلاً في قرآءة مرجع ضخم،وكأننا قطعنا عليه خلوته الفكرية لرواية نكته ثقيلة الظل،كان مشهداً مضحكاً نوعاً ما،الشاب المغمور يقف مرتبكاً بورقة مجعدة أمام متمكن في الرياضيات،و في عقر مكتبه ليطرح فكرة سخيفة،تدعي أنها ستهدم إحدى أسس الرياضيات القديمة،إستسمحه المدرس ليستمع إليّ قليلا و يعرف ما مشكلة هذا الطالب "المتزندق" الذي لا يؤمن بوجود المالانهاية،حاولت بكلمات يائسة وبرسومات مضحكة أن أفسر بأن المالانهاية تفسير مغلوط لإتصال النهايتين العظمتين و غيرها من الحجج الفلسفية والمنطقية والخدع التخيلية، و قد سمعني الرجل برحابة صدر،حتى لم أجد ما أضيفه،ولم يبدو الرجل مندهشاً مما قلته،بل نظر إليّ في تبلد وقال :"المالانهاية كمية غير معرفة،كيف تعرف ما لا تعريف له!"،وطلب إليّ بدلاً من أشغل فكري بهذه المسالة أن أفكر في المنهج المقرر لتخصصي دون الغوص بعيداً في تلك المتاهات،ثم أعطاني الرجل "فزورة" رياضية وطلب مني حلها بدلاً من التفكير بما في ورقتي المجعدة ،والحقيقة انني نسيت تلك "الفزورة" تماماً قبل خروجي من الغرفة لأنها بدت سخيفة ،كانت التجربة محبطةً تماماً،ربما لم تكن رسوماتي الطفولية أو حديثي يبدو مقنعاًُ له ،ثم نسيت الأمر لفترة طويلة،وبقي الحال هكذا،ولا أعرف لماذا، ولكن كل ما رأيته أو شاهدته لا حقاً أحاول دائماً ربطه (بطريقه غير مباشرة) بتعريفي للمالانهاية،في الماضي البشر تصوروا أن الأرض مسطحة وتمتد أطرافها إلى المالانهاية من جميع الجهات،ليكتشفوا في النهاية أن أطرافها التي ظنوها "لا نهائية"منغلقة على ذاتها،أعتقد أننا بحاجة لقفزة فكرية

كهذه،في أمثالنا الشعبية نقول "كل مازاد عن حده إنقلب ضده" أي لو بلغ نهايته إنقلب إلى النهاية الآخرى المخالفة"،فالنور يسمح لك بالرؤية ولو زادت شدة الإضاءة عن حد معين تصاب بالعمى فتعود إلى عتمة(ضد النور) دائماً،والإيمان إذا بلغ حدوده القصوى يصبح بينه وبين الكفر شعرة أي تقترب النهايتين معاً،فهل هي خصلة طبيعية؟، هل المتناقضات متصلة مع بعضها في نهاياتها العظمة،عند دراستي لنظرية الأوتار الفائقة لاحظت أن أبعاد جديدة تظهر على المستوى مادون الذري،وهذه الأبعاد تتصل جميعها ببعد واحد يحيط بجميع الكون هو البعد الحادي عشر،يطلق عليه غشاء أو brain فهل هذا البعد هو المسؤول عن إعادتنا مرة إخرى إلى الأبعاد الكبرى إذا ما حاولنا الخروج من الكون المرئي؟،ثم هل هذه هي الطريقة لجعل المخلوفات لا تصل إلى الكمال أو المالانهاية؟،لن نعرف أبداً،في الحقيقة تعلمت من هذا الأمر شيئاً واحداً مؤكداً،أن المسالة برمتها نابعة من القناعة الشخصية،لو تصورت نقطة في الفضاء ثم تخيلت أنك تسير في خط مستقيم إلى الأبد فهل ستمر بالنقطة مرة آخرى أم لا؟،هل تؤمن بكون هذا العالم محدوداً أم لانهائياً؟ فالأمر برمته راجعُ إلى طريقة تفكيرك حول طبيعة الخلود و اللامحدودية،وليس الأمر شيئاً يمكن أن يسر به أحدهم إليك في إحدى الأمسيات.

الخيال

إن أغرب ما رأيته في حياتي ،عالم يحكمه الخيال،حيث لا يمكن التمييز بين ما هو حقيقي وما هو خيالي،حالة من عدم الثقة والغرابة والمتعة والخوف جميعها في نفس الوقت،ستشعر أن بعض ما تقرأه هنا خيالي وهذا بالفعل ما هو عليه ،لكن ما هو الخيال بالفعل،وما هو تعريفك له؟ قدرة على تجسيد الوقائع أم قدرة على خلقها؟،هناك في الفلسفة الهندية القديمة أسطورة تقول أن الإله تخيّل الوجود وعند ذلك نشأ الوجود بالفعل،ما يجعل الصور التخيلية ذات تأثير على صاحبها هو أن العقل بنفسه قد يعتقد أنها حقيقية ويقوم بالاستجابة المطلوبة لها أحياناً...هكذا نوع من التفاعل نلحظها عند الأفراد الذين يشاهدون السينما ،لحظة استجابة معينة لمشهد اصطدام أو انفجار،تجدهم يحركون أيديهم أو أجسامهم وكأنهم بالفعل في المشهد، وهذا التفاعل ينشأ لأننا ورغم معرفتنا في الوعي المنطقي بأن المشاهد مزيفة إلا أننا لا نكون في هذا المستوى (المستوى المنطقي)، بل في مستوى الإدراك الحسي حيث نندمج في المشهد ولا يعود العقل قادراً على إدراك زيفها ،ويقوم غريزياً بإنشاء ردود فعل لتلك المؤثرات ظنناً منه أنها حقيقية،ولأننا خلال سيرنا على الأرض لآلاف السينين طوّرنا عن الإدراك الحسي فكرة، الفكرة هي أنه إدراك موثوق به،فالأشخاص الذين يفقدون الثقه به ويثقون بالإدراك المنطقي تجدهم لا يتفاعلون مع السينما بل ينظرون بتبلّد إلى المشاهد وكأنهم يقيّمونها ويحللونها،لذلك لا يتأثرون إلا في مشاهد مفاجئة أو مفزعة حيث تظهر مشاعر أكثر عمقاً في الوعي كالخوف ،نادراً ما يستطيع البعض السيطرة عليها،فكل الحقائق أو العناصر في المخيلة متأنية فالأصل من العالم الخارجي،كما أن أصل جميع الحيوانات التي تعيش تحت الأرض بالكهوف هي في الأساس من السطح،ولكنها تتطوّر وتتغير أجسامها للتكيف مع الطبيعة الجديدة،فتفقد القدرة على الإبصار لعدم وجود ضوء وتزيد حدة سمعها،وتطرأ عليها تغيرات بيولوجية أخرى،الأمر مشابه في حالة الخيال "كهوف الوعي" حيث تتسرّب الأفكار والمشاهدات اليومية نحو ذلك المكان وتبدأ بالتغيّر والتشوّه بالتدريج،فهي في الحقيقة تتحل إلى عناصر أو أجزاء صغيرة.ولكن لماذا يفعل العقل ذلك؟ هذا أساسي في فهم مسألة التعلّم ...كيف نتعلم ولماذا تؤثر قوة التخيل على القدرة في التعلّم.العملية التي تقوم بها المخيلة هي "تجميع" الصور والمشاهدات الجزئية التي نستقيها وتحويلها إلى صور أكبر وذات معنى (الصورة مكونة من جزيئات عديدة) لإعادة خلق الواقع،في التعلّم نقوم بأمر معاكس حيث نقوم بتحليل وتفتيت الحقائق والجزيئات العامة إلى جزيئات صغيرة حيث يقوم الطالب في مخيلته بإعادة ربطها وتكوين الحقائق (الصور الكاملة) ..وعندها يتم "استيعاب الفكرة"، فالفكرة في التعليم تدريجية،ونحن نقوم بهذه العملية ليس لأنها طبيعة في الكون بل لأننا وبكل بساطة لا نستطيع استيعاب الحقيقة الكونية دفعة واحدة،بل نعمد إلى تجزيئها إلى حقائق صغيرة جداً بحيث يمكن تجميعها بالتدريج في المخيلة ، فالذاكرة هنا مجرّد مستودع والموظّف الذي يعمل هناك هو الخيال،وهذا الموظف يعمل في مركز عملاق كمركز البريد ولكن وحيداً، يومياً تصل آلاف الصور والمشاهدات،وهنا يتضح الرابط بين الخيال والذاكرة وبين التعليم و القدرة على التخيل،الأفراد الذي يمتلكون قوة مخيلة "موظف قوي ونشيط" قادرون على تجميع كم أكبر من الجزيئات الصغيرة وبناء حقائق أكثر وأكبر و بذلك هم قادرون على "فهم" و رؤية صورة أوسع و أوسع للكون،بالتالي فهم يستطيعون "التعلم" بكفاءة أكبر،و هذا هو الفرق بيننا وبين الحيوانات الأخرى..فنحن نشترك معها في استقاء المؤثرات الحسّية من العالم وحتى أن بعض الحيوانات تمتلك حواس أكثر حدة من التي لدينا، لكننا نحن كنّا الأكثر "كفاءة" لأننا

استطعنا جمع وتحليل تلك البيانات بشكل أكبر و إعادة ربطها أجزاء أخرى مرة بعد مرة بخيالنا لبناء تصورات جديدة و معرفة للمستقبل ، و على العكس من الحيوانات الأخرى التي تمتلك قدر أضعف من "التفتيت" و "الربط" لتلك المؤثرات، فيجعلها الأمر تبدو "غبية" بعض الشيء،والوعي نشأ أول ما نشأ من هذه المنطقة،و لولا الفيض الذي نستقيه من الخارج لما استطعنا تكوين التصوّر و التخيّل وبالتالي المعرفة،فما لم نختبره أو نختبر أجزاء منه لا يمكننا ابتداع صورة جديدة له، فلن نتمكن من تخيّله أو بناء معرفة له مهما فعلنا ولذلك لا يمكننا تخيّل الجنة أو النار لأن التجربة والحقائق السائدة هناك مختلفة عن تلك التي اختبرناها سابقاً ،وليس لأن خيالنا لا يمكنه الوصول إليها فالخيال لا يذهب ولا يعود بل هو أشبه بمصنع يحتاج إلى مواد خام لينتج "بضاعة" ونحن ليس لدينا مواد خام"تجربة أو معرفة" من العالم غير المرئي فكيف نصنع بضاعة "صورة" من هناك؟!،مثال مشابه في الفيزياء النظرية ، لدى محاولة تصوّر ما وراء الكون المنظور،عوالم موازية أو أبعاد إضافية ،إخفاقات متتالية.وإحباط لأننا ببساطة ليس لدينا ما يمكننا الحصول عليه من هناك ،بيانات أو صور،تجعلنا نبني افتراضات داخلية مشابه لعالمنا ،فنفترض أن شيئاً ما يستند على عالمنا ويضغط عليه من الخارج... شيء ما...قد يكون أكوان أخرى أو "دبدوب عملاق" لا يوجد شخص واحد على وجه الخليقة قد يخبرك،ولهذا أيضاً فشلت جميع المحاولات لتصّور أو تخيّل الله لأننا لم نستطع و لا نستطيع اختباره بحواسنا أو عقولنا،ولذلك افترض البعض أن الله إذا أراد أن يكلّم عباده فيجب أن يتجلىّ في هذا العالم و أطلقوا عليه "التجسيد" ، تعالى الله عمّا يصفون ،وطرق مثل تلك المعرفة هي من باب الإلحاد لأنها تحاول أن تظهر الله بشكل محدد وهي صورته الحقيقية،والأمر مشابه لرؤية الملائكة والشياطين فنحن لسنا بسابق تجربة بعالمهم أو أشكالهم الحقيقية،فحتى لو وقف أحدهم أمامك مباشرة فعند دخول المؤثرات الضوئية الحسية إلى العين ثم وصولها إلى منطقة الخيال ،فالخيال والذي لا يتعرف على هذه المؤثرات يترجمها على أنها "فراغ"،فليس السبب في عدم رؤية المخلوقات الروحية أن أعيننا قاصرة،فالحمار والديك يمتلكان أعين مشابه (تشريحياً)بل أضعف من أعياننا في بعض الجوانب ، ورغم ذلك فهما قادران على إدراك تلك الأجسام السبب أن أرواحهما لها سابق معرفة بهذا العالم الخفي وكائناته بطريقة ما لا يعلمها إلا الله،وكما أن الإبل خلقت من عالم الشياطين فلعل الديك أو الحمار خلق بطريقة مشابه والله أدرى وأعلم،ولذلك فالجن أو الشيطان إذا أراد أن يتجلى بصورة مرئية فهو يظهر بصورة لنا سابق معرفة بها لأنها تنتمي إلى عالمنا كالقط الأسود أو الحيّة أو الكلب أو غيرها ولا يظهر بصورة متميّز لا وجود لها في العالم فلا يأتي هو أو جزء منه بلون أو شكل لا نعرفه سابقاً ولو حصل ذلك فلن تميّزه عقولنا وبالتالي فلن نراه،ولكن عند الظهور بهيئة مميزة عندها يمكن لعقولنا تفسير المشهد و استيعابه كشيء موجود،هل تستطيع تصوّر لون أو شكل ليس موجود أو أجزاء منه في العالم؟،وهذا أيضاً السبب في أن بعض الصحابة أو الصالحين رأى أنوار في السماء وكانت هي الملائكة،والأنبياء قبلهم كان يرونهم بشكل أوضح،السبب في حالة الأنبياء (عليهم السلام أجمعين) حسب رأي هو أن الله يودع في قلوبهم من خلال الوحي معرفة بهذه الكائنات يطلق عليها الكشف .

يقول تعالى

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) سورة ق.

لاحظ في الآية الكريمة الأولى ذكر "النفس" والثانية "كشف الغطاء".

وما يوضع عليه الغطاء فهو مستور ولكنه موجود بالتأكيد،فنحن بسابق معرفة بالعالم السماوي الذي جئنا منه وكائناته ولكن الله حجب تلك المعرفة والتجربة من قلوبنا رحمة بنا،فإذا استقبلته أعيننا لا تبصره قلوبنا لأن الخيال "مصنع الإدراك" لا يستطيع تصويرها ليلقيها على العقل فيدركها. وإذا كشف هذا الغطاء حيث يصبح الأخير قادراً على تصوير المؤثرات القادمة من تلك الكائنات وإلقائها في العقل فيدركها ويراها،وفي حالة الصحابة والصالحين فإن الإطلاع على القرآن وقبوله بالقلب يكشف جزء من تلك المعرفة في القلب ولكن بشكل أضعف و يصبح العقل قادراً على التعاطي مع تلك المؤثرات و المشاهدات وتصويرها،وهنا يجب إدراك مسالة أعرف أن البعض قد يحاول إثارتها،فنحن هنا لا ندّعي أن الأنبياء أو الصالحين خضعوا "للخيال والتوّهم" نعوذ بالله أن نكون فعلنا، بل نعيد تصوير معنى الحقيقة،فالحقيقة المطلقة لا تظهرها الأعين بل القلوب ، ولذلك قال الله تعالى..(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) سورة النجم) ولم يذكر العين رغم أنها أداة الإبصار ،فالحقيقة تكتسب مصداقيّتها ووجودها من داخل القلب وليس من طرف الحواس. ومن هناك يتشكل إدراكنا لمعنى الواقع والحقيقة .

ويقول تعالى:

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) سورة الحج

فالأبصار مجرد وسيلة وليست منشأة إدراك بالحقائق و الذي يرى بالفعل هو القلب و ما يتكون في القلب هو الذي نراه.

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) سورة البقرة

ولاحظ هنا الربط بين الختم على الحواس والختم على القلوب .ولاحظ ذكر القلوب قبل الحواس.كمستدلة على الحقيقة الفعلية.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ١٥١ سورة آل عمران

فيشعر به الكّفار حقيقاً ،أو أشد من الحقيقة.

ومسألة أخرى،فهذا النوع من المعرفة أو التجربة يلقيه الله في قلوب عباده منه مباشرةًَ، ونلحظ الأمر أيضاً في باقي الأديان ولو بشكل أقل حسب صحة كتبهم السماوية أو إعتقاداتهم فالاعتقادات الصحيحة عن الله هي التي تيسّر كشف الغطاء ،فهذه الكتب أو المعرفة الدينية هي نافذتنا الوحيدة نحو "الخبرة بالطبيعة السماوية"، ولذلك فالعلم إذا لم يتعاطى معها فلن يتمكن من إدراك العوالم الأخرى الخارجية.

وذلك أيضاً يفسّر لماذا لا يرى الملحد أي ملائكة أو شياطين خلال حياته.ومن كل هذا الكلام السابق في "الميثولوجيا" لا نريد إلا أن نرى الطبيعة الحقيقية "للخيال" فهو ليس أداة تضليل بل مجرّد "أداة" أودعها الله في أنفسنا تساعدنا في التخيّل فالإدراك فالتعلم.فهي جزء أساسي من ميكانيكا الإدراك.هكذا يعمل الخيال!

الوصول إلى النهايات الإدراكية

هل واجهتك مشكلة فكرية في يوم من الأيام ،وكنت ترغب بالتأكيد في حلها، وحتى بعد التفكير الشديد تحصل على نتيجة معاكسة تماماً لما أردته...وبشكل مأساويٍ أيضاً ،في دروس الرياضيات ،و بشكل عام، نبحث عن حلول للمشاكل الحسابية ،أحياناً لا حل واضح،تعقيد مستمر وإجابات عديدة ومتغيرة!،فما الذي يحدث ؟ سألت نفسي؟ "كيف يتغير الأمر بهذه الطريقة"، هل تتغيّر المشكلة الحسابية في كل مرة؟ ...الأغلب لا،هل نحن الذين ننظر إلى المشكلة بطريقة مختلفة ،إن وعينا يبدأ بالتطوّر في عقولنا ونسلك منحنيات عدة من المفترض أن تقودنا إلى الحل الصحيح،هذا ينتج بالتأكيد إجابات مختلفة في كل مرة، في حالة المسئلة الحسابية لدينا الحل في نهاية المرجع لنقرر إن كانت إجابتنا خاطئة أم صحيحة.لكن في حالة التفكير المنطقي فليست لدينا تلك الرفاهية، ولكن العملية تشمل نفس المبدأ وقد "نصل" إلى الحل بطريقة لم نتوقعها،طريقة جديدة تماماً ...،وعند محاولة إبطال مفهوم فكرة معينة أو بحثها بشكل منطقي نقع أحياناً في نفس الأخطاء أو المطبّات التي يقع فيها غيرنا..مما يجعل النتيجة التي كنا نحاول الوصول إليها ،تتحول للوجه المعاكس ،و تلك النقاط التي نصل فيها إلى مرحلة نبدأ فيها بالتشكيك في مفاهيمنا السابقة و المرتكزات التي انطلقنا منها،تسمى النهايات الإدراكية،وعلى نحو مخالف للرياضيات فهي ليست نتيجة سهو في إجراء إحدى الخطوات المنطقية بل نتيجه قصور الإدراك عن بلوغ حالة الكمال،فهي ضعف في طبيعة الدماغ ،و عندها نشعر بنوع من الضياع والإحباط،قد تكون النهاية الإدراكية في أي مجال:العلم..الفلسفة...الفنون..وغيرها،يخشى البعض من النهايات الإدراكية خوفاً على سلامة مرتكزاتهم الفكرية أو العقائدية ، ينظرون إليها كمجازفة فكرية قد تقودهم إلى "الهرطقة" أو هدر الوقت والجهد الذي أصبح ثمينا،إنهم يحسبون ويحسبون ،النتائج أو المردود،وكأنها عملية تجارية فيها ربح أو خسارة ،والبعض يحب أن يؤمن بوجود افتراضات لا يجب إثباتها ، فذلك يبدو لهم أكثر راحة و "وربحية" على الصعيد الفكري كم هو مثير للشفقة،عندما لا تنفع الحكمة الحكيم،عندما لا ننتفع بعقولنا ككائنات عاقلة،و بشكل عام نجح أصحاب التفكير "الربحي" في توجيه دفة الفكر الإنساني.

فال٩٠% مما تحويه عقول البشر اليوم لا قيمة لها على الصعيد الإدراكي،لأنها إما معلومات "جاهرة" طلب منهم تصديقها ،أو أنها معلومات طلب منهم حفظها،وحتى المسائل المنطقية والتي تحتاج إلى تفكير وفحص قبل "قبولها" أصبحنا نميل فيها إلى البحث عن "وصفة جاهزة"معدة للحفظ بدلاً من الفهم،كل المعارف اليوم تعتمد بشكل هائل على الحفظ ،والجدير بالذكر أن العديد من الحيوانات الأقل رقياً تشترك معنا في هذه المهارة "مهارة الحفظ" وحتى أن بعضها يتفوق علينا، ففي حين أن السنجاب يجيد العثور على شجرة واحدة ضمن آلاف الأشجار ويجد بها ما خزنه كمؤونة للشتاء نقف نحن في المقابل عاجزين عن العثور على مفاتيح الشقة أو السيارة ونمضي ساعات أحياننا في البحث عنها،عندها يصبح من المخجل حقاً أن نطلق على أنفسنا "الكائنات الأرقى على سطح الكوكب" ،وهذا حسب رأي هو سبب تدني القدرة العقلية البشرية ،نحن نكرس أنظمة التعليم "الحفظية"،بدلاً من تنمية مستويات الذكاء المتنوعة،أصبحنا نكتسب المعرفة على حساب القدرة على "إنتاج المعرفة"،ولذلك أصبحنا نحفظ العلوم بدلاً من أن نفهمها ،فلا نستطيع الربط بين ما نتعلمه و ما هو فعلاً في الطبيعة المحيطة ،نحن نتسبب في تدني

قدراتنا العقلية لأننا لا نستخدمها سوى لعمليتين فقط " التصديق و الحفظ"،من أصل كل العمليات اللانهائية التي يتمكن الدماغ من القيام بها،فهذا هدر حقيقي،وكأننا نستخدم حاسوباً عملاقاً للعبة الورق.

توسيع الإدراك والتحفيز الذاتي ،أصبح الآن مجالاً تجاريا، وتدفع الشركات في الولايات المتحدة وأوروبا ملايين الدولارات سنوياً في برامج لتحفيز موظفيها، لتوسيع إبداعهم ..وتطوير شخصياتهم ...ولزيادة الكفاءة والإنتاج ،لم يسبق أن اعتبر أحد المدراء التنفيذيين ذلك إهداراً لرأس مال الشركة بل ضمانًا له ،الأساليب المستخدمة في تلك البرامج لا تتضمن أبداً أي نصوص أو معلومات لحفظها،بل يطلب من الأشخاص "ابتداع"حل لمشكلة "خيالية"،و هذا تقريباً كل شيء ،وأنت على الصعيد الفردي كيف يمكنك الوصول إلى تلك المرحلة من المعالجة ،هل تفترض مشاكل خيالية وتقوم بحلها ..؟ ولماذا لا تحاول حل مشاكل حقيقية ..إن أثر الوصول إلى النهايات الإدراكية هو حالة متطرفة من برامج التحفيز الذاتي،نتائج ممتازة ومجانية،وبالتأكيد تؤثر تأثيراً حقيقياً ،فالمشكلة الخيالية تصبح حقيقة واقعة تؤرقك ،وتدفعك لمحاولة حلها وبأي طريقة،وذلك ليس أثراً نفسياً وخيالياً ،بل يمتد إلى الواقع الجسدي،ففي الدماغ تنشط مناطق عديدة يعلم الله كم من الوقت أبقيتها خاملة دون نشاط ،مناطق مختلفة عن مناطق الحفظ و "الإذعان الفكري "، حالة التنشيط تلك هي التي تدفع كامل الدماغ إلى القيام بجهود كبرى لحل المشكلة ،وتفعيل الروابط الكهربائية داخله،تغيرات كيميائية وحيوية ،كلها تدفع الدماغ إلى العمل لأقصى درجة ممكنة و استخدام مساحات جديدة من سطحه،ومستويات ذكاء عديدة،وهذا هو السبب الذي يجعل الإنسان وعند صرف الكثير من الوقت في التفكير في حل مسألة ما ،يجدها في النهاية ،فالنهاية الإدراكية بحد ذاتها ليست مهمة بقدر ما تحدثه من أثر داخلي في تنمية القدرة الدماغية،كيف نستطيع العيش دون تطوير "عضلات" للعقل ؟،كالجسد تماماً عقولنا بحاجة إلى التمرين ،لنجيد إستخدامها بكفاءة و فاعلية.

من أين يحصل العقل على المعرفة؟

ألم تكن مشغولاً يوماً ما بأي عمل فكري وحولك شيء مزعج من إنتاجيات "الحضارة الحديثة"،صوت أو طنين متكرر ،يقلق البال و يقطع سلاسل الأفكار؟ ألم تشعر أحياناً بالصوت قبل حدوثه بلحظة،وكأنك قادر على التنبؤ بحدوثه؟ وحتى ولو لم تعره أي اهتمام،إن عقلك كان منزعجاً بسبب هذا المؤثر السلبي، لذا حاول التقليل من الأثر الناتج عن طريق تنبيهك قبل حدوثه بلحظة وترجمة هذه المعالجة "الخفية" على شكل إحساس، هناك حيوانات تمتلك قدرة عالية جداً من الإحساس اتجاه أجسام تتحرك بسرعات عالية أو تصدر مجالات كهربائية أو صوتيه.نوع من الإحساس الفائق،لذا لا يجب أن تغفل الأحاسيس ،فهي نتاج حساسية دماغية عالية قد لا تفهما بشكل كامل.

كلمة "نهاية" في مصطلح "النهايات الإدراكية" هي كلمة مضللة فلا نهاية إلى ما يمكن أن يصل إليه خيالك ،فماهي المشكلة؟؟ هل هذا يعني أن أدمغتنا فشلت ،لايكف خبراء الحواسيب والتكنولوجيا حول العالم بإقناعنا بأن الدماغ البشري خارق لدرجة أن حواسيبهم تبدو كألعاب

أطفال أمام القدرة الإبداعى لتلك "الصنعة الإلهية "،وذلك يطرح سؤال أكثر مرارة ،هل أخفقنا كبشر في الوصول إلى قدرات عقولنا الحقيقية ، كما اخفقنا في الوصول إلى قدراتنا الجسدية الكامنة، ماذا نفعل،بالأدلة العلمية يمكن إثبات أن الدماغ يحوي بلايين الخلايا العصبية التي من المفترض أن تكون قادرة على القيام بحل أي مشكلة مهما كانت،نحن لا نستخدم سوى ٥%-١٠ من قدراتنا الدماغية الحقيقية؟!، أمر مضحكٌ حقاً.لعلماء اللغة تجربة يطلقون عليها التجربة المحظورة ،حيث يتصورون حبس طفل صغير في حجرة معزولة عن المؤثرات الصوتية ،ثم يخرجونه منها بعد عدة سنوات،هل سيكون الطفل قد طوّر القدرة على التكلم وإصدار أصوات قد تساعده في تكوين لغة، سؤال وجيه،وحيث أن التجربة المحظورة مستحيلة لدواعي أخلاقية وقانونية فلا يمكن تطبيقها على أرض الواقع.

طوّر أحد العلماء طريقة فريدة لاختبار الأمر ،فجربها على نوع من الطيور المغّردة التي لا تزيد دورة حياتها عن ١٨ شهراً وعزل الفراخ في صناديق عازلة للصوت،هذه الطيور تتعلم التخريد عن طريق تقليد آبائها،ويفترض أن لاتتمكن من فعل الأمر بمفردها ،عند إخراجها كانت المفاجئة،تمكنت الفراخ من الزقزقة ولو بشكل ضعيف،وخلال فترة بسيطة أجادت التغريد بشكل كامل ،إذاً ما الذي حصل، المعرفة والتي كان من المفترض أن تحصل عليه الطيور من مصدر خارجي وهو تقليد آبائها ،حصلت عليه داخلياً ودون خبرة ،وهذا ما نطلق عليه أحياناً الغريزة،والتي لا يوجد لها تفسير علمي حتى الآن .

ولنفكر في تجربة محظورة أخرى شبية بالتجربة السابقة ،ولكن هذه المرة سنعزل طفلاً عن كل المؤثرات الحسية بشكل كامل ،فلا يرى أو يشعر أو يشم أو يسمع أو يتذوق،ماذا ستكون حالة الطفل المعرفية داخل ذلك الصندوق العازل؟ وكيف ستكون عند خروجه، هل تصنع الحواس المعرفة؟؟

كيف يمكننا أن نفهم الأمر،لنفترض ان الغريزة هي مصدر المعرفة الحقيقي ،فداخل الصندوق تكون المعرفة لدى الطفل " إفتراضياً" لا نهائية لإتصاله بالغريزة أو منبع الأفكار إتصالاً دائماً "لغياب الإدراك الحسي"،وفي اللحظة التي خرج منها أصبحت صفرًا منعدماً ،و في الحقيقة هذا هو حالنا كبشر ففي عالم الذر عندما أشهد الله الناس وقد كانوا جميعاً أرواحا لا حواس لها ،فأشهدهم على نفسه بأن الإله الوحيد ،بقيت تلك المعرفة محفورة في كل إنسان،وتلك هي أقصى درجة المعرفة وأوضح صورة يمكن أن تبلغ عقل كائنً حي وهي المعرفة المطلقة ،وعندما بُعثوا إلى الدنيا و اختلطوا بأجسادهم بما فيها من حواس ، جهلوا كل المعرفة ،اليوم يعيدون جمعها،ما الذي تعلمه آدم من الله؟،نعرف بشكل بدهي أن المعرفة تتناسب مع معرفة وخبرة المعلم،فكيف لو كان ذلك المعلم هو الله.

قال تعالى:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) سورة البقرة

ما هي "الأسماء كلها"،أراها هنا أسماء كل شيء ،والإسم يرتبط بالمعرفة،هل تستطيع إطلاق إسم على ما لا تعرفه؟ إن كل المعرفة التي قدر للبشر بلوغها قد وضعت في قلب آدم منذ ذلك الوقت،ولذلك يقول الله تعالى:

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) سورة الإسراء

ولم يقول ما "إكتشفتم" أو ما "إطلعتم عليه" بل شبه العلم بشيء يعطى،والشيء المعطى لا بد محدود.

بقيت تلك "المعرفة" الغريزية أو الفطرة داخل الأرواح ذات الطبيعة "الخفية"،مستويات قديمة من الوعي،وعند الهبوط إلى هذا العالم ، بدئوا في بناء معرفة جديدة من حواسهم على شكل معرفة جديدة،قد توافق المعرفة الداخلية و قد تختلف معها ،والمعرفة الداخلية معرفة لا تمحى ولكن قد تنسى .ولذلك تدوم محبتنا للخالق طوال حياتنا دون أن نراه ،ولكن معارفنا المكتسبة ننساها باستمرار رغم أننا قد نراها بشكل متكرر.

علينا الافتراض أن المعرفة الكاملة موجودة لدينا جميعا ،وأننا خلقنا مع الأدوات اللازم للوصول إليها ،كل العلم الذي قدّر للإنسان أن يعلمه ،وضعه الله داخل حدود مخيلتنا ولذلك،فالأمر أشبه بالوصول إلى الإنترنت ،فهي فيض كبير من المعرفة ،ولكن تحتاج إلى إنشاء إتصال للوصول إلى حقول المعرفة تلك ،والأمر ينطبق علينا جميعاً ،فللوصول إلى المعرفة اللانهائية نحتاج إلى إلى إتصال بمنبع الافكار بإستخدام عقولنا ،والوقت الذي نقضيه في التفكير باستخدام عقولنا وخيالنا هو الذي يحدد القدر الذي نحصله من المعرفة،كم دقيقة نمضيها في التفكير ،أو التحليق في خيالنا ،حلّنا للمشكلة يعتمد على الوقت التي نمضيه في التفكير للوصول للحل .فالحل لابد موجود ولكننا نحاول (الوصول)إليه في أسرع وقت ممكن.والذي يؤخّر الوصول للحل هو التشويش الذي يحصل من حولنا،داخلي وسطحي وخارجي ،الداخلي ينبع من أفكارنا المسبقة ومشاعرنا السلبية و إحباطنا،السطحي يأتي أساساً من حواسنا الجسدية وعوارض الجسد كالمرض والصداع والجوع و الشهوات،والخارجي يأتي من الضوضاء أو مصادر التشويش الآخرى ،فلو أن الضوضاء كانت تعم بالقرب منك أو أن ذبابة تحلق فوق رأسك فلن تصل إلى الجواب بالسرعة التي تكون عندما يتوفر لك جو من الهدوء و الذي يساعدك على التركيز....

وهناك أنواع عديدة للتشويش ولا تمثل المؤثر الصوتي أو حسي فقط ،فهناك العديد من الأنواع الآخرى والتي لا تعد ولا تحصى وأبسطها التشويش الذي يصدر من نفسك،التفكير الدائم بالمستوى الحي والإرتباط بالعالم المادي بشكل لاواعي،الأجهزة الإلكترونية أيضاً توثر بشكل سلبي، وحتى في أنقى أجواء الأرض هناك نسبة من "التشويش"قد لا تشعر بها ،تؤثر على درجة التركيز التي يمكن لأمواج الدماغ الوصول إليها ،وإحدى الموجات الدماغية المشهورة وهي موجة ألفا α والتي تظهر في حالات التنويم المغناطيسي ،أو درجات النوم العميق أو التأمل الفائق هي عبارة عن تغليب للموجة الدماغية على سائر موجات التشويش لتصل إلى حالة شبيه بالاتصال الكامل ،وبما أن الطفل الذي كان في الصندوق كان قادر على التفكير بشكل دائم ودون أي قدر من التشويش فهو قادر على الوصول إلى أي شيء ضمن المعرفة المطلقة المقدرة للبشرية بسرعة مطلقة ،وهذا يفرض أنه قادر على حل أي مشكلة أو معضلة ،ولكن لنوصل إليه المشكلة كان يجب أن نخرجه من الصندوق لنسأله أو بشكل آخر نفصله عن المعرفة الصافية

وننقله إلى المعرفة الحسية التي يجهل أدواتها ،وفي تلك اللحظة،فقد الاتصال بتلك المعرفة ولذلك لن يستطيع أن يجيبنا،هناك نقطة معينة في التركيز البشري يمكن الوصول إليها عند إلغاء التشويش تماماً ،وفيها يمكنك معرفة الخطوط الدقيقة للأشياء،أو طبيعة النسيج الطبيعي ذاته،وحل أي مشكلة مهما كانت، يقال لها أحياناً تجربة الوعي الصافي ، وحتى في الحالات السابقة فلن نتمكن من التغلب على التشويش لفترة كافية ،ولكن نستطيع إختبار أشياء عديدة مثل تحطم حدود الزمن والمكان ،والقوانين الفزيائية كالجاذبية وغيرها وقد تجد صعوبة في تصديق مسألة "المعرفة المطلقة " لقناعتك أن الحقائق تخلق خلقاً داخل الدماغ المادي بطريقة قسرية ،وكأنه مركز كل شيء ومركز الكون ،ولذلك فتقبل فكرة أنه جهاز إرسال واستقبال إلى بعد آخر غير مادي في داخله تبدو فكرة غريبة ،لنرى الأمر ،إبحث في الإختراعات أو الإنجازات المئة الأهم في تاريخ البشري،جميعها كانت بشكل مباشر أو غير مباشر نتيجة الوصول إلى حالة عميقة من الوعي،كأحلام اليقظة أو الخيال،يقول توماس إديسون "قفزت أفكاري من أحلامي" ،العظماء في العالم أمثال نابليون بونابرت، وينستون تشرتشل،ألبرت أينشتين ،فرانكلن روزفلت ماهاتا غاندي،والفنانون أمثال ليناردو ديفينشي ،بابلو بيكاسو كلهم منحوا الفضل في قراراتهم وإكتشافاتهم وإختراعاتهم إلى صورة تخيلية أو حلم أو شرود ذهني،العقل يصل في هذه المرحلة إلى الحالة ألفا التي تصنع الإسترخاء التام ،ثم ما تلبث أن تنتقل إلى الحالة ثيتا حيث يبدأ الدماغ بإنتاج إهتزازات الإبداع،وكأنه يستقبل المعلومات من مصدر ما ،مشابه للطنين الذي يصدره المودم عند تحميل شيء من الشبكة،لماذا تصدر الموجة ثيتا عند إنتاج الإختراعات المبدعة ؟،إنها اللحظة التي تبدأ فيها موجات الدماغ بالتطابق مع موجات العالم الخارجي ،فيتصل العقل الذاتي بالعقل الكوني أو "منبع الافكار"،حيث يتم إيجاد الحل على شكل صورة أو حلم،والأمثلة على ذلك بالمئات،ك(الياس هو) الذي أنتج النموذج الأول لآلة الخياطة من خلال رؤية راودته أثناء غفلته فرى حربة مربوطة بحبل في ثقب قرب نهايتها،ليخترع إبرة الخياطة التي غيرت مسيرة صناعة المنسوجات حول العالم،النسبية التي إكتشفها أينشتين كانت أثناء الإستغراق في التخيّل و كان ذلك الرجل يجيد إستخدام الألغاز التخيلية في إثبات افكاره النظرية،التركيب الذري لجزء البنزين رآه العالم الإنكليزي ميشيل فراداي في منامه، وأسس بذلك فرع الكمياء العضوية،هل كان كل ذلك صدفه،إن كنت تعتقد ذلك فأنت تقر بأن العالم اليوم هو من صنع هذه الصدفة،وهذا يضعنا أمام عالم حزين ينتظر الصدفة لكي تحركه خطوة آخرى إلى الأمام على طريق التطوّر،لا يهم أين ننظر ولا يهم كيف ننظر ،دائماً هناك الشيء الذي يسبق لحظة الإنتاج العبقري،ومضة ضوء سريعة،تقذف الفكرة في عقول العلماء وكأنها لحظة وحي،أسماها إبن سينا العقل القدسي،و يقر العظماء بها ولكن لا يعرفون من أين تأتي.يطلق على هذا في علم النفس "قوة الإستدلال"،

هذا العقل أو هذا المجال من المعرفة مناظر للمعرفة والوعي المادي،يعيد هذا الأمر إنتباهنا نحو قضية ثنائية الإدراك،حيث نسلم بوجود نوعين من المعرفة ،معرفة نعرف بالضبط كيف نشأت ونصدقها على أساس المنطق،ومعرفة آخرى لا نعرف من أين تأتي ولكن نشعر بأنها صحيحة لسبب ما،في دراسة الكون المحيط نخضع لهاتين المعرفتين.

القدرات الخارقة للعادة (خرق النسيج الطبيعي)

١-المعجزة

٢-الكرامة

٣-القدرات النفسية

٤-القدرات الذهنية (العقلية)

٥-القدرات الجسدية

المعجزة كمثال:

حسب التقيم السابق الخاص بمستويات الوعي (راجع هرم الوعي و مستويات الوجود)،فإن تصنيفي للأمور الخارقة يستند على فكرة التأثير على المستوى الوجودي من قبل المستويات الأعلى،فالأمر الخارق للعادة والطبيعة يحصل في الحقيقة على المستوى الذري أو (الوجودي)،وأي ظاهرة في الكون تحصل على المستوى الذري لأنه الأساسي ويتم ملاحظتها لاحقاً على المستويات الوجودية الأكبر،هناك تعريفات عديدة للخوارق،لكن جميعها بلا إستثناء هي فرض سيطرة وتأثير على المستوى الذري لحرفها عن السلوك الطبيعي(الأساسي) من قبل "وعي" يقع في المستويات الأعلى للوجود،وهذا يعني أنه لا توجد ذرة تستطيع صنع معجزة أو أمر خارق للعادة لأنه ببساطة ليس هناك مستوى أدنى منها لتمارس عليه هذه السيطرة،فهي أدوات للخوارق والظواهر الكونية وليس العكس.

إن وجود الخوارق لا يعتمد على كونها ممكنة أو غير ممكنة فكل المستويات فوق الذري يمكنها الوصول إلى درجة الخوارق،لكن تختلف درجة إختراقها للقوانين بإختلاف نوع الوعي المتصل بالمستوى الذري ،إن أعلى درجات الإختراق على الإطلاق،يطلق عليها "المعجزة"،حيث يلزم تدخل أمر الله لتغيير النظام على المستوى الوجودي،فالمعجزة وإن ظهرت على أيدي الأنبياء (عليهم السلام) فهي بالأساس من أوامر الله ولا علاقة للأنبياء بها سوى إحتوائها (كمعجزة اليد البيضاء) لموسى عليه السلام أو حملها (كمعجزة العصا) لسيدنا موسى (عليه السلام) أيضاً،أو الإصطدام بها مباشرة كمعجزة النار الباردة التي ألقي بها سيدنا إبراهيم عليه السلام...ولنتأمل حادثة النار تلك...فالله تعالى يقول :

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) .سورة الأنبياء

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ ،من الأية ٤٤ سورة هود

فأساس المعجزة هنا أن الله يخاطب الشيء(بما فيه من وجود) ويصدر الأمر إليه،ولأن الله هو الذي يصدر هذا الأمر،فالمادة تطيعه إلى أعلى حد ممكن،فلا يصح أن تتجاوز الخوارق الأخرى ذلك الحد،ولذلك عند مبارزة موسي (عليه السلام) للسحرة وقد أتوا بأمور خارقة وسحروا أعين الناس،فإن سحرهم مع أنه يعتبر أمراً خارقاً للعادة (التأثير على أعين الناس وسحرها) لم يبلغ حد المعجزة،لأنه في حالة السحرة فالمادة لا تطيع المخلوق أكثر مما تطيع الخالق بحد ذاته،وهنا يظهر الفرق بين الإله والإنسان العادي،أنه حتى وإن قام الإنسان بإختراق النظام الكوني بإستخدام وعيه وإراته فإنه لا يصل بشي إطلاقاً إلى درجة المعجزة،بسبب الفرق بين وعي وإرادة الإله وبين وعي وإرادة الإنسان،وهو(أي الإنسان) وإن قام ببعض الخوارق لا يقوم بها إلا بسلطان،كسلطان العقل ،أو سلطان النفس أو سلطان الروح على النسيج الطبيعي المادي.

يقول الله تعالى:

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) سورة الرحمن

هناك من ينظر إلى المعجزة كظهور من العدم أي نوع من الخلق،وهناك من ينظر إليها كتأثير إلهي على شيء موجود مسبقاً،وأنا أميل إلى الرأي الثاني،إيجاد الشيء من العدم(الخلق) هو أعظم من التأثير عليه(المعجزة)،ولأن وعي الناس كان متدني في الماضي فكانوا يرون المعجزة أعظم من الوجود ذاته،كمن ينظر إلى السماء فسيتعظم مرور الشهاب وينسى وجود النجوم رغم أنها أعظم حجماً وقدراً،لكن نحن في هذا العصر ومع تقدم وعينا وعلومنا ،علينا أن ندرك أن الوجود ذاته (إيجاد الشيء من العدم) هو أعظم من المعجزة (التأثير على الموجود مسبقاً)وليس العكس.

لذلك يقول الله تعالى:

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) سورة الانعام

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) سورة الرعد

فنحن بوعينا الحالي لسنا بحاجة لرؤية المعجزات كي نؤمن،بل يجب أن نعي ما هو أعظم منها،وجودنا ووجود الكون من حولنا هو المعجزة الحقيقية،فالأيات الأعظم هي أيات الخلق،ومهما بلغ عظم المعجزة فالكفار لا يؤمنون بها لأنهم ببساطة لا يؤمنون بخلق الوجود وهو أعظم فكيف يؤمنون بما هو أقل؟.

هل هناك حد معين تقف عنده المعجزة؟،فلو إستيقظنا صباحاً ورأينا ان شمس جديدة ظهرت ،فأصبح لدينا في السماء شمسان فهل ستصنف الأمر على أنه معجزة أم خلق جديد؟،في الحقيقة أجزم أن الأمر إن حصل فهو إرادة إلهية وليس معجزة،لأنه لا يوجد مخلوق قادر على خلق مخلوق آخر،ولأن مرحلة الخلق سبقت كل شيء وهي أولى المراحل،يقول الله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) سورة البقرة

فكلمت "خلق" فعل ماضي ، فكمية المادة والطاقة في الكون هي كمية ثابتة جداً،القانون الأول في الميكانيكا الحرارية،ولو إفترضت أن عملية الخلق مازالت مستمرة،فأنت تفترض دخول مزيد والمزيد من المادة ،ولأدى ذلك إلى تغيير الكون فيزيائياً وتغير قوانينه،على عكس الملاحظ،وحتى في معجزة المائدة التي نزلت إلى عيسى عليه السلام والحواريين فإنها نزلت من السماء (أي من خارج نطاق الأرض والكون المرئي)،ولم تخلق خلقاً من العدم أمامهم،لأنه لا عدم موجود داخل الكون الموجود أصلاً،مع عدم إنكاري لقدرة الله على فعلها،أي خلق عدم داخل الموجود ثم خلق وجود من ذلك العدم،ثم إعدام وجود العدم الذي نشأ في الموجود السابق،و لكن ألن يكون الأمر أذكى قليلاً لو كان الأمر عبارة عن تحويل المادة والطاقة من شيء إلى آخر؟،كتغيير النسيج الطبيعي الموجود أصلاً؟ فمثلاً فلو صنعت قطعة من القماش و ثم قمت بتغير شيء بها كتغيير تشكيلات النسيج بحيث يتخذ شكلا جديداً ألن يكون ذلك أكثر إبداعاً من مجرد إحضار قطعة ملونة جديدة من قماش آخر ولصقها لصقاً فوق القماش القديم؟ ورغم أن كلا الأمرين مبدع ولكن الإبداع في الحالة الاولى أكبر،لأنه يفترض معرفة مسبقة عن كيفية التعامل مع النسيج والمهارة الناتجة عن تفادي الأخطاء والمشكلات التي قد تقع عن فرض تشكيلات جديدة،لذا فتفسير المعجزة كتغيير في النسيج الطبيعي أو خلق من العدم كلاهما أمر معجز و مبدع ،ولكن التفسير الأول يعطي عمق أكبر وأعظم للقدرة الإلهية،والذين يفترضون أن المعجزة تخلق خلقاً من العدم داخل كوننا هذا هم بالأساس يفترضون أن الله عاجز عن التعامل مع النسيج الطبيعي الموجود أصلاً وتعقيداته كما هو لإيجاد المعجزة منه، مع ان كلاهما معجز،إلا أن تغييرا النسيج الطبيعي الموجود أصلاً إلى صورة جديدة معجزة ،أي خرق القوانين الموجودة أصلاً بدلاً من إيجاد قوانين جديدة للحظات يبدو أكثر إعجازاً بالنسبة لي،ويظهر براعة الإله في التعامل مع النسيج الطبيعي والتحكم به.

فيمكن النظر إلى المعجزة أو الأمر الخارق كأمر ممكن الحدوث ولكن إحتمال حدوثه في الحالة الطبيعة ضئيل جداً إلى العدم تقريباً،وعندما يحدث فإنه لا يحدث لأنه يحدث أو لأن "شيء ما" أتى من "مكان ما" بل لأن القدرة الإلهية جعلت إحتمال حدوثه يصل إلى ١٠٠% فيحدث.

فمثلاً ميكانيكا الكم تفترض أن إختراق اليد للجدار أمر ممكن تماماً،لأن الذرة في معظمها فراغ وكل ما يلزم لإختراقها الجدار هو تساوي تردد ذرات اليد مع ذرات الجدار ،فتمر اليد من خلاله ببساطة،فإحتمال حدوث الأمر ممكن، ولكن إحتمال حدوثه "وحده" ضئيل جداً جداً أي يلزم أن تدفع الجدار إلى المالانهاية ليحدث،من يستطيع أن يعرف تماماً أين توجد كل ذرة وكيف تعمل؟،وكون الله هو الوحيد القادر على الوصول إلى تلك الحقائق والتحكم ،فهو الوحيد القادر على جعل الأمر ممكن الحدوث،ولو رأيت الأمر أمامك "إختراق اليد للجدار"،فسيبقى الأمر

معجزة،ورغم أنك تعرف تماماً كيف حصل الأمر، فإن ذلك لم يقلل من تصنيفك للأمر على أنه خارق،لأنك تعلم أن تنفيذه يحتاج إلى قوة خارقة،فالخارق في المسألة هو الله وليس الشيء المفعول به،فالمعجزة تكتسب إعجازها من تدخل الله لحدوثها وليست خارقة لذاتها،فالنار عندما أصبحت باردة على سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فعلت ذلك لأن الله أمرها بذلك وليس لأنها خارقة أو أن الله إستبدلها بنار آخرى باردة مختلفة عنها من خارج الكون،بل النار غيرت شيء من خطائصها بناءاً على أوامر الله،أعتقد أن ذلك يكفي لإيضاح الفكرة المقصودة،هل الله يأمر المخلوق بشيء لا يستطيع المخلوق فعله؟،كأن يأمر الإنسان بمعرفة المستقبل أو إفناء الكون أو بناء أكوان آخرى؟ ولو حدث ذلك فهل يعني الامر ان الإنسان بالفعل هو من قام بالأمر أم الله؟! هنا تظهر الطبيعة الحقيقية للمعجزة "كأوامر من الله إلى مخلوقاته" أي من الإرادة والوعي الإلهي إلى الوعي الوجودي،وإذا تجاوزت المعجزة القدر الذي يمكن للمخلوق الوصول إليه،لا تعد معجزة بل تعد قدرة إلهية،تدخل مباشر من الإله،إن مفهومنا عن طبيعة المعجزة هو مفهوم مغلوط،حيث نتصورها كشيء قائم بذاته يضعه الله في الأشياء فتصبح خارقة لذاتها،مع انها ببساطة جزء من الطبيعة الحقيقية للوجود (إطاعة المخلوق للخالق).

في الحقيقة أكره الحديث في الإلاهيات وتفصيلها لأنها من بوابات الزندقة، ،من المستحيل أن تعرف كل شيئ عن هذا الأمر لأنه يتطلب معرفة بالطبيعة الإلهية و هذا مستحيل بكل ما للكلمة من معنى ،الهدف من كل هذا الكلام ليس التقليل من قدر المعجزات،بل جعل الأمر أكثر قبولاً للعقل والقلب،فهو محاولة لفهم الإعجاز فيها،ومساعدة الناس في عصرنا على تقبل فكرة وجودها في نفس الوقت،سمعت مرة قصة مشهورة بان أحد المجاهدين الأفغان ألقى بصخرة على دبابة سوفيتية فإنفجرت وتطايرت قطع صغيرة،الذي يؤمن بحدوث هذا الأمر من منطلق الرغبة في الإيمان سيخالجه الشك طوال الوقت،لكن من يقوم بتفسير الأمر يمكن أن يجد إيمان وتقبل أفضل للمسألة،وعندما سمعت الامر للمرة الاولى وكنت صغيراً وقتها صرخ في وجه الذي قالها لي: "يكفي خزعبلات!..هات الدليل!"،لكن بعد أن درست الفيزياء الحديثة بدأت أفهم الأمر،فالحجر مثلاً كمادة هو تكاثف هائل للطاقة،نرى تحرر مشابه للطاقة من المادة في الإنفجارات النووية،حيث تتحول جرامات صغيرة من المادة إلى طاقة هائلة جداً تدمر مدن بأكملها،فالمسألة هنا هي تحرير جزء بسيط من تلك الطاقة المختزنة،من يمكن ان يأمر المادة بأن تحرر نفسها إلى طاقة،يمكن أن تقف أمام الصخرة وتحاول إقناعها بفعل الأمر وتقول "هيا ! تحرري إلى طاقة هيا!" لكن لن تطيعك أبداً،(كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ من الآية ١٤ سورة الرعد)،لكن يمكن ان تفرض إرادتك عليها فرضاً إجبارياً لتطيعك،فتدخلها إلى مفاعل نووي و تقوم بتفتيها إلى طاقة بالقوة الإجبارية،الله لا يحتاج إلى كل ذلك بل يأمر الصخرة فتنفذ بكل بساطة،لذا فالأمر ممكن تماماً بالنسبة إلى الله،ومعجز تماماً بالنسبة للبشر،وفهمنا لميكانيكا حودث المعجزة لم يؤثر على إيماننا بها بل زاده لأننا فهمنا بالضبط أين تدخلت اليد الإلهية،وأي المفاصل قامت بتحريكه عن موضعه الطبيعي لتوجد المعجزة،وأنا أعرف ان السواد الاعظم من البشر يرفض فكرة "وجود معجزات" في العالم المادي والذين يؤمنون بوجودها يرفضون فكرة "دراسة المعجزات"،وتركها معجزات يتم الإيمان بها كما هي ولا يبحث في الطريقة التي حدثت بها،فكيف نوفق بين الإثنين؟!،نحن ندرس الوجود الفيزيائي وأسرار الخلق والإعجاز الإلهي فيهما،لكن نرفض دراسة المعجزات (وهي أقل عظمة من الوجود) وفهمها ،مع ان كلا الأمرين من مصدر واحد هو الله،لا أحاول هنا أن أضع المعجزات الإلهية في المختبر و إلقاء التجارب

عليها،بل محاولة إثبات إمكانية حدوثها بالعلم،فيؤمن العقل و القلب معاً..ولا يؤمن القلب ويكفر العقل،كجزء من نظرية ثنائية الإدراك،أؤمن بالمعجزة بقلبي وأدرسها بعقلي،لذلك أدعو مثلاً إلى تحليل تركيب الحجر الأسود الموجود داخل الكعبة المشرفة لإثبات أنه من مصدر غير أرضي،وإلى البحث عن الصدوع القمرية و سجلات الشعوب والحضارات القديمة لإثبات حادثة إنشقاق القمر،وإلى البحث بين علاقة التركيب الطيني بالتركيب البشري الحالي،والبحث في مراحل خلق الإنسان وحقيقة نظرية النشوء والتطوّر،والبحث عن دلائل الطوفان القديم في الطبقات الجيولوجية وغيرها،وحقيقة الفوائد الصحية في مياه زمزم والطب النبوي والصلاة وغيرها،وكم من البشر آمنوا فقط لأنهم علماء و شاهدوا أدلة علمية على وجود المعجزات،فجمعوا "ثنائية الإدراك"،الإيمان المجرد والعقل،فهؤلاء إيمانهم أصبح أقوى،لأنهم فهموا إعجاز الأمر بشكل اكبر من الذي يطأطأ رأسه مسلماً بالمعجزة عن جهل،ولو كنت حقاً مؤمناً بوجود المعجزة فلا يجب أن تقلق من بحثها علمياً،ضمن معايير معينة،لا تنتهك الحرمة الدينية،لأنك لو كنت تؤمن بصدق الله فعليك أن تعرف بأن العلم لابد أن يتحد مع الدين في النهاية،أمّا إن كنت تخشى أن يثبت العلم شيئاً مخالفاً للدين فعليك أن تراجع مفاهيمك الدينية الخاصة وحقيقة ما تؤمن به،لا يمكن ان تجلس هكذا تعيق البحث العلمي بحج القصور العقلي.

الخلاصة أنه يجب أن تعتقد بأن كل أمر مهما بلغ بالغرابة حداً كبيراً فهو ممكن الحدوث إذا أمر الله المخلوق ذلك وكان ذلك ضمن إمكانات المخلوق،وعندها يسمى معجزة،والمعجزات ظهرت على أيدي الأنبياء فقط و لذلك فهي معروفة و محدودة العدد،وتمثل الحد الاعلى الذي قد تصل إليه المخلوقات الموجودة،ففي معجزة إنشقاق القمر التي ظهرت على يد سيدنا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) إنشق القمر إلى نصفين ،فلو أتى إليك أحدهم وقال مثلاً رأيت القمر ينشق إلى عشرة أقسام،فقبل أن تبدأ بالتهليل و التكبير حاول إن تفهم الأمر،وكثيراً ما كنت اسمع الناس يتناقلون أخبار و عجائب يومية لم تظهر في أيام الأنبياء عليهم السلام ولا عهود الصالحين ويصنّفونها على أنها "معجزات" ويهللون ويكبورن ثم يظهر بعد فترة زيف إدعاءاتهم وأخبارهم،عندها يظهر المؤمنون بها بمظهر المغفل،وقد لا يظهر زيفها لفترة طويلة،ويبقون متمسكين بها إلى حد الموت،وأعتقد أنني في النهاية وجدت حلاً لهذه المسألة،"لقد طال الأمر" قلت في نفسي،في حرب غزة التي حدثت قبل عامين،زعم البعض أن المجاهدين كانوا تطلق عليهم الرصاصات ويبقون واقفين دون أن يصابوا بخدش،أو أن المتفجرات و الألغام تتفجر لوحدها ودون وجود صواعق كهربائية ،والمعجزة التي لم أسمع بها في حياتي!،المعجزة الخارقة،رجل من المجاهدين أخذ صاروخ بيده وتوجه بها إلى دبابة ميركافا ٤ (دبابة بنظام إستشعار عن بعد قادر على رصد فأر على بعد ٥٠٠ متر) ثم فتح باب الدبابة "هكذا" بكل ما للكلمة من معنى ووضع الصاروخ بالداخل،ولسبب ما لم يراه أحد،ثم خرج وأغلق باب الدبابة وراءه،ورذهب إلى مسافة مناسبة..وبالطبع لم ينسى الصاروخ أن ينفجر وحده كالعادة،وقتل كل من في الدبابة،حدثني بهذا الامر إثنان من أقربائي وهما يقسمان جهد إيمانهما أنه ممكن ،وعندما قلت لهما : "كيف حدث ذلك؟" صرخوا:"لا يجب أن يكون كل شيء منطقي... لا يجب أن يكون كل شيء بالورقة والقلم والمسطرة!!..لا يجب أن يكون كل شيء بالورقة والقلم!!"...،قلت في نفسي: "لا يجب أن يكون كل شيء بالإيمان فقط..أليس كذلك؟"،ولو كان أخونا المجاهد "سوبر مان" موجوداً حقاً،فكل ما نحتاجه لتحرير بلادنا هو أن يقوم "بحركة الصاروخ"٥٥٠٠ مرة وهذا هو عدد البابات الموجودة في إسطول العدو،فكل الرويات التي خرجت خارج نطاق المنطق

صورت مجاهدينا كعملاقة يسيرون في الأرض ويسحقون الاعداء كحشرات صغيرة،صورة جميلة ولكن غير حقيقية،الحقيقة أن الصحابة المجاهدين كانوا يقاتلون و يقتلون ويجرحون،وكانوا يلجؤون إلى الحلية و التخطيط ويأخذون بالأسباب،ولم يكون يفجرون الأرض أو يخرجون أشعة الليزر من أعينهم أو يطيرون في الهواء،بل كانوا بشراً،يتنفسون ويأكلون ويشربون ويتغوّطون،يواجهون الأعداء ببسالة،وأحياناناً يوفقهم الله لبلوغ القدرات الجسدية والعقلية والروحية النهائية للبشر و ليس تحويلهم إلى ما يشبه "الوحوش الأسطورية"،وهذه هي الحقيقة المجردة،الجميل في الإيمان أنه يمكنك أن تؤمن بأي شيء تريد ،حتى الله أعطى البشر الحرية في الإيمان والإعتقاد،لكن لكل إيمان عواقبه،فإيمانك بالوهم هو إيمان باللاشيء،وأسوء الإيمان على الإطلاق هو أن لا تؤمن بشيء.

عندما تفهم ميكانيكا المعجزات وطبيعة حدوثها،ومقياس إختراق النسيج الطبيعي ،عندها فقط يمكن أن تصنف الأخبار كمعجزات(إختراق حقيقي للطبيعة) أو خرافات(وهم)،مثل خرافات التيارات الصوفية وغيرهم من الأخبار والخزعبلات التي يتناقلها كثير من عوام الناس ممن لم يرحمهم الله...

"المعجزة لا تحدث عندما تحدث، بل تحدث عندما يريد الله أن تحدث"

بداية الطريق...كيف نرتقي بوعينا؟

المعرفة الحقيقية هي معرفة الذات...

إن كل ما نفعله أو نفكر به في الحياة هو بشكل أو بآخر محاولة لفهم الذات، ففي العبادة الدينية نحاول فهم ذاتنا وفهم علاقتها بالله ،و من عرف نفسه فقد عرف ربه،ونبحث عن الخلاص والنجاة (لذاتنا)،و في حياتنا المادية نسعى لجمع الثروة (لذاتنا)،نبحث عن العلم والمعرفة (لتطوير ذاتنا)،نبحث عن النجاح (لتحقيق ذاتنا)،وحتى في العلاقات الإجتماعية التي تبدو بعيدة عن الذاتية فنحن في الحقيقة نميل إلى الأشخاص الذين نشعر أن مماثلون لنا،لنحاول من خلالهم رؤية أنفسنا (ذاتنا) مرة آخرى،فمعرفة الذات هي المعرفة الأساسية والتي نسعى جميعاً بشكل واعي أو غير واعي للوصول إليها،نحن خلال حياتنا قد نسلب شيئاً من صحتنا أو أموالنا أو شهرتنا الكثير،ولكن لا يمكن إطلاقاً أن نسلب شيئاً من أنفسنا،القيم والمبادىء التي نؤمن بها ،الإيمان المجرد والخلق الفضيل،تلك المساحة الصغيرة في أعماقنا حيث نتحدث ونفكر كيفما نشاء ،ولا يصلها شيء من دهور الزمن ولا تقلبات القدر ولا يعلم بها إنس ولا جان،تلك هي ذواتنا الباقية،ومعنا أينما كنا،تبقى لنا حيثما كنا،أن نعرف ذواتنا ومن نكون حقاً هي أعظم معرفة على الإطلاق،وهذه المعرفة قديمة قدم الوجود البشري بحد ذاته،جميع البشر بلا إستثناء تأتيهم تلك الأوقات التي يتفكرون فيها بحقيقة وجودهم،

يقول الله تعالى:

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) سورة الذاريات

حيث من علوم النفس والاديان تتوضح بعض أجزاء الصورة وليست كلها،إنها رحلة حقيقية نحو الداخل،نحو هذا الفضاء الذي نخافه ونخشاه،حيث يظهر كل شيء،هي رحلة حقيقية،كرحلة المؤمنين المخلصين نحو مكة،علينا ان نتحلى هنا بالمثل،بإيمان صادق وثقة بحقيقة ذاتنا ومن نكون،و لأن إدراك ماهية الروح أمر مستحيل،فإن معرفة الذات التي نعنيها هنا هي معرفة حقيقة معتقداتنا ومشاعرنا وإنفعالاتنا وفضائنا الداخلي،تلك المعرفة قيمة بشكل لا يصدق،الشيء الوحيد المؤكد هنا ،أننا نجهل فعلاً الجزء الأعظم من حقائق وجودنا،إن تجاهل تلك المعرفة هي التي تجعلنا نبدو مهزومين وضعاف الإرادة ونهتز بشدة عند أول صدمة،هي التي تجعلنا نقول بإستمرار أننا غير قادرين على تغير أنفسنا نحو الأفضل،هي التي تجعلنا ضحية سهلة لرغباتنا وشهواتنا ومخاوفنا،و تجعلنا عبيداً للمشاعر والأفكار بدلاً من أن نكون أسياداً لها،رحلة البحث عن الذات قد تبدو فكرة سخيفة وساذجة للبعض،وحلماً بعيد المنال للبعض الآخر،الأمر المؤكد أننا عند خروجنا من تلك الرحلة نكون بالفعل قد أصبحنا أكثر قوة و حكمة و نضجناً مما لو إكتفينا بالتسكع هنا وهناك طوال حياتنا،يمكن أن تنظر إلى الأمر كحكمة مفيدة لحياتك،وقد تجد منها طريقك ودربك الخاص

أهمية ثنائية الإدراك في إرتقاء الوعي.

يحلو لبعض علماء النفس تشبيه العقل البشري بالكون ورغم الاختلاف الشاسع في الحجم إلا أنهما يشتركان في العديد من الخصائص ...فلو شبّهنا الكون المتسارع بالعقل،فإن فرضية الكون المتوسّع لها ثلاث حالات ممكنة، وكل حالة تضعنا أمام تصوّر مختلف لنهاية الكون ،وفي إحدى

الحالات الثلاث فإن معدّل التوسّع سوف يتباطأ،والقوة التي تسبب هذا التباطؤ هي قوة الجاذبية ،فلو كنا قد شبهنا "العقل" بالكون والقوة المظلمة التي تدفع الكون إلى التوسّع ب"المنطق" فالقوة التي تكبح وتتحكم في التوسع المنطقي هي "قوة الإيمان" وهي تعمل عمل الجاذبية في كبح جماح المنطق المجرد .لتنقذ العقل من الإنهيار على نفسه و الامتصاص نحو الجنون .وفي السيناريو الذي يفترضه العلماء لبقاء الكون دون فنائه هو أن يزوّد بكميات من الطاقة تتناسب مع درجة التوسع ليحول دون إنهياره على نفسه ..وهذا ما يجب على أي إنسان فعله عند دراسة الكون أو الذات فلا يمكن أن تشحن عقلك بشي من المنطق دون أن يخضع لتلك القوة الإيمانية.فلا يشطح العقل هنا وهناك دون سيطرة .

ويجد البعض أن من الصعب التخيل بأن التمادي في الإدراك قد يؤدي إلى الجنون،...فالتصور السائد بأن الإدراك يصون العقل ...ولو استمررت بطرح الأسئلة ستعرف كل شيء تقريباً،والحقيقة أن أسباب الجنون مختلف عليها .ولكن لكل إنسان نسبة من الجنون مدفونة في داخل أعماقه .وبعض المشاعر أو الصدمة قد تساعد في تحرر قوة هذا الجنون ليقوم بامتصاص الإدراك والعقل .

الإيمان والمنطق هما القوتان اللتين تحكمان الكون الصغير .الطبيعة والعقل البشري و مكونات الذات...وداخل أعمق أعماق النفس الإنسانية وقبل نشوء الزمان والفضاء،بدأ الصراع بينهما .ولا أستبعد أن الطبيعة البشرية هي وليدة هذا الصراع .

بعض الناس يرون أن المنطق هو أداة الشيطان وأداة تدمير الحياة والإيمان المجرد .و ظهرت العديد من الجماعات والطوائف بعد الخمسينات من القرن الماضي ،ترفض جميع مظاهر الحضارة الحديثة ..وتدعي أن روحاً إستوطنها الشيطان نزلت إلى الأرض قبل نحو ٣٠٠ عام وهي توجد في عقول ألمع المفكرين والعلماء .وهم يرتدون ملابس يدوية الصنع ويكتبون الشعر بالريش ويعيشون في أكواخ وسط الغابة في غياب معظم وسائل الحياة الحديثة ،إن نظرة مجردة إلى هؤلاء تجعلك تعتقد أنهم مخبولّون تماما ،لكن الحقيقة أنهم يمثلون جزءاً من الطبيعة البشرية .ذلك الجزء الذي يميل إلى الإيمان ويرفض المنطق في التعاطي مع العالم الخارجي .وعايشت لفترة من حياتي هذا الصراع عند دراسة الكون بين المنطق والإيمان.واعتقدت أن هذا التناقض أو الصراع شيء جاءت أتت به لحظة تأمل غير موفقة ،أو اختراع مخيلة خصبة .لأكتشف في النهاية أن هذا الصراع موجود في الواقع حقاً ،وكما يقال فإن أسوأ الكوابيس هي تتحقق بالفعل، عندها لم أستغرب فشلي في التوفيق بين هاتين الطبيعتين .كما

فشلت السكولاستية في القرن الثالث عشر في التوفيق بين آراء الكنيسة وبين الاكتشافات الجديدة، وفي العصر الحديث مازال الجدل دائراً حول هذه الفكرة.

مفارقة أينشتاين

مابين المعسكرين "العلمي"و "الإيماني"...يمكنك في الحقيقة الوقوف في الوسط و السخرية من الطرفين ..لكن المعضلة التي ظهرت هي "أين هو الوسط؟؟ " وكلما سألت نفسي هذا السؤال يظهر لدي سؤال آخر وهو "ما الفائدة من طرح مثل هكذا سؤال؟ " فيتجلى مدى عمق هذا الصراع فالجانب المنطقي يدفعك لتسأل في كل شيء .والجانب الآخر يوقفك ليسألك عن الفائدة المرجوة من السؤال ...وأن الأسهل هو الإيمان والتصديق بالشيء كمسلمة وجدانية بدلاً من أن تكون حسية و شعورية .

وخلال فتره بحثي عن الطريقة التي لجأ إليها أينشتاين في "اختراع النسبية العامة "التي تعد أعظم النظريات في القرن العشرين ، وجدته في أحد المراجع يشرحها في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه في برن .إلى موريس سولوفين وتضمنت هذه الرسالة والتي تدعى "طريقة مسلمات أينشتاين "تخطيطاً يوضح طريقته في التفكير..وهذا شكل قريب للمخطط الأصل ..

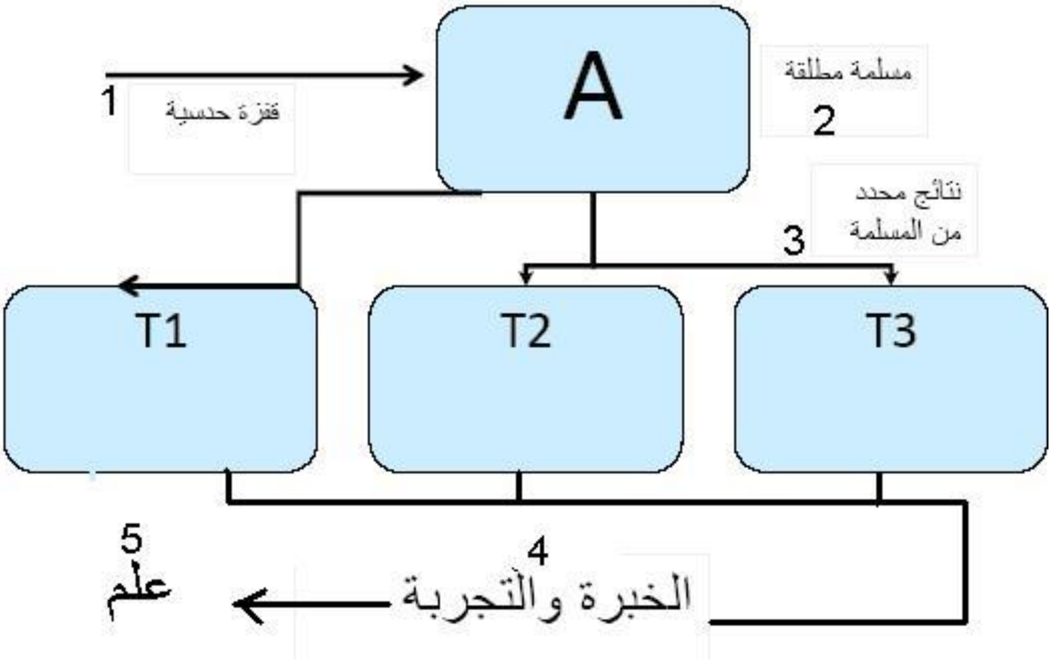

ما يهم من كل هذا المخطط هو كلمة "قفزة حدسية".

يبدأ العلم من الخبرة والتجربة ثم و دون أي أساس منطقي يقفز باستخدام "الحدس" إلى المسلمة المطلقة ،وقد فعل اينشتاين ذلك بالفعل عندما أدرك أن مبدأ التكافؤ يتضمن بأن الجاذبية هي التي تغير انحراف المنحنى الفضائي ....قام أينشتاين بهذه القفزة دون أي دليل و دون فحصها بأي تجربة ...ويمكن أن تسميها "قفزة إيمانية "بحقيقة المسلمة ...ثم من خلال تلك المسلمة المطلقة ينتقل إلى النتائج التي يمكن إختبارها لمعرفة مدى صحة المسلمة المطلقة تلك ...وطريقة التفكير هذه ثورية بالفعل ...وهي تدل على القوة الهائلة التي تكمن في الدمج بين المنطق والمعرفة وبين

الحدس والإيمان ...وهذا أساسي لبلوغ درجات عالية من الإدراك ويبدو أن صديقنا أينيشتين أدرك هذه المفارقة ...

على الصعيد الآخر نجد أن البعض إعتمد إعتماداً كليا على الحدس والشعور كأدوات للإدراك وجمع المعرفة،كحالة المعرفة الفيدية والتأمل التجاوزي،في الحقيقة إحتجت لبعض الوقت لأرى الصورة على حقيقتها،ثم لم أرى شيئاً في حياتي بكل هذا الوضوح .

الفلاسفة و العلماء لايؤمنون سوى بالمنطق،فوعيهم موجه كلية إليه،فيؤمنون بشي واحد إسمه العقل،الوجدانيون أو الروحانييون يؤمنون بالحدس والإلهام بشكل شبه كامل،بل ويؤلفون بها العلوم الكاملة،كالعلوم الفيدية،ولا يستعينون سوى بجزء صغير جداًَ من المنطق و الذي يكفي ليضعوا إلهامهم بصورة تجعله يبدو كعلم،بما يسمى العلوم الكاذبة،وهذا مبالغ فيه إلى حد كبير،نعم قد يلعب الحدس والشعور دور مهماً ما في الوصول إلى المعرفة ،لكن لا يشكل معرفة كاملة،هذا يشبه ما فعله المتصوفون عندما تركوا العلم الشرعي بإدعاء المعرفة الحدسية والإلهام من الله بشكل مباشر فضاعوا،من يستطيع أن يضمن أنه خلال التجربة الروحية (عند النوم أو الخروج من الجسد أو الرؤية والإلهام) بأنه سيبقى مستيقظاً تماماً،خلال تجربتي الشخصية و الحقائق اليومية التي نراها يمكنني القول بأن الوصول إلى مرحلة اليقظة التامة في العقل الفعّال هي مسألة صعبة جداً، لا يوجد من يستطيع تذكر كل تفاصيل رحلته خلال المستويات العميقة في الوعي اليقظ،إسأل المتأملين المتجاوزين هل كانت كل الحقائق التي إستخلصوها من مجالهم الموحد صحيحة،إسأل أي شخص يرى حلم في منامه ،هل تحققت جميع أحلامه؟،"لو كنا مستقظين تماماً في العالم (الغير مرئي) لأصبحنا ملائكة" قلت في نفسي ،مهاتشي يوجي والفيدا التجاوزية تؤمن تماماً بأن العلم يستخلص إستخلاصاً بالإلهام بما يسمى التأمل التجاوزي وسنقف عنده كثيراً و نحاول أن نعرّف حقيقته وحقيقة المجال الموحد ،إدعى يوجي بأن العلوم الفيدية بأكملها أتت بهذا التأمل،أي لتأليف كتاب في الطب كان يجلس المتأمل ويستخلص المعرفة بالتأمل فقط،هل تصنف هذا على انه علم حقيقي؟ إنه ليس فلسفة حتى،لا يمكن أن نبني علم بأكمله بالإيحاء والتأمل فقط،مع أنهما من الادوات المفيدة والخطيرة في العملية،هناك نسبة من الخطأ قد تحدث كما أن النتائج المستخلصة لا يمكن التنبأ بمدى صحتها،فهناك مخاطرة كبيرة بإسقاطها هكذا على العالم الحقيقي دون دراسة منطقية وواعية،وحتى لو أتت بنتائج جيده،ومن المضحك حقاً أن يوجي أسس جامعات إنتشرت حول العالم لهذا الغرض،لقد إستفحل الأمر حقاً ،لقد أصبح التأمل التجاوزي اليوم حركة سياسية لها أجندة دولية شبه إشتراكية،من المهم أن ندرك كم هي الأفكار الحديثة مؤثرة على حقيقة من نكون بالفعل وحقيقة ما نتصوّر أننا عليه بالفعل.

ما يجب أن يكون عليه وعينا هو المزج بين القوتين ،المنطق و الإلهام بحيث يحتل المنطق الأرباع الثلاثة الأولى والإلهام الربع الأخير،السبب في ذلك الطبيعة المنطقية والإستقرار في هذا الكون بحاجة للدراسة بشكل منطقي،والنسبة المقترحة للإلهام تبدو قليلاً لكنها في الحقيقة كافية لبناء تصور غير مادي تماماً للعالم،"لماذا يعجز الناس عن فهم هذا الأمر؟" سألت نفسي...،لماذا يجب أن يكونوا منطقيين تماماً أو روحانيين تماماً ،لماذا لا يمكن أن يوجد فئة "الروحانيين المنطقيين"؟،لماذا لا نستخدم الإستدلال والتحليل المنطقي مع التأمل التجاوزي،لماذا لا نرسم حدود التفكير مع رحلات الإسقاط النجمي،لماذا لا يمكننا الإستفادة من كلا القوتين وكلا الأداتين؟!.

لتصل إلى حالة "الإدراك الصافي المبدع "عليك الدمج بين المنطق والحدس للوصول إلى الحقيقة،.هل يمكن أن تكون منطقياً وروحانياً في نفس الوقت؟ مهاراتشي كان عالم بالفيزياء،ساعده ذلك بعض الشيء ويبدو و بشكل غريب أن الافتراض الخيالي والقفز فوق القوانين يمتلك قوة ما مجهولة تساعد في الوصول إلى حالة الإبداع..جزء من كتابتنا يجب أن يكون منطقياً ،في نفس الوقت يجب أن يكون ملهماً،بمعنى أن نحاول تجاوز قدراتنا الحالية قليلاً،وندفع أنفسنا إلى الحدود القصوى فنختبر حالات عالية من الإلهام خارج النطاق البشري المعتاد.

حاول إستخدام هذه الطريقة في حل مشكلة تعترضك في حياتك اليومية ..إتبع الحدس أحياننا...

والعلم ليس عدواً بل هو رغبة عميقة داخل النفس البشرية ،و لكن البحث عن المعرفة اللانهائية تشبه محاولتك لقتل نفسك .

وعندما أمر الهه آدم أن لا يأكل من الشجرة .خالجه هذا الصراع الذي نعيشه .بين الرغبة المنطقية في معرفة ما تخبؤه ثمار الشجرة وبين قوة الإيمان التي تحاول ردعه .وربما عند تلك لحظة ولدت تلك الخصلة في البشر ويبدو أنها ستستمر إلى النهاية .

إستيقظ!!!

يمكنك أن تقف و تصرخ وسط الجميع "إستيقظوا و أيقظوا قدراتكم!"ولن يسمعك أحد ،بالأحرى لن يلتفت أحد إليك،فدائماً ما ننظر للصحوة و الإنبعاث كشيء خرافي،أو معجزة تهبط من السماء السابعة،وهذا ليس صحيحاً،الإنبعاث الحقيقي قادم من الداخل،من اعماق النفس ،وهو حقيقي وموجود تماماً، ولكن أكثر الناس لايعلمون ،قد تشعر عندها أنك وحيد تخاطب نفسك،الإيمان بالقدرة على التغيير..تغيير الآخرين..أو إيقاظ النائمين..هي أصعب مهمة على الإطلاق،لهذا كان الله ينتقي الأنبياء إنتقاءاً دقيقاُ من بين الجموع الغفيرة ثم يسهل لهم سبل "الصحوة الذاتيه" و فهم الذات،سواء كان بالتأمل والتدبر أو بالإرشاد والإلهام،كيف يمكنهم تغيير وفهم عقليات البشر إن لم يكونوا قادرين على تغيير وفهم عقليتهم الخاصة؟،و هذه أصعب المهمات ،أن تفهم نفسك ثم تفهم نفوس الآخرين ثم تفهم الكون ،أن تغيير توجه الوعي البشري إلى إتجاه معين،وأن تساعد في تفتح العقول...،وأن تنمي الثقة بالنفوس،وتكسب الأمل في التغيير العديد من الأفراد الذين أصبحوا أحياننا مدمّرين ذاتياً،وأصبحوا عبئاً على أنفسهم و على المجتمع،أنت تعيد فتح صناديق الكنوز تلك،وتمنح البشرية فرصة آخرى،لتطوير أفكار علمية ثورية أو لعلاج السرطان أو إختراع حاسوب يتحمل العمل في الظروف البيئية القاسية،أو تمنح النور لفكرة فلسفية أو مذهب ديني أو طريقة في الحياة،فهذه أكثر الأعمال نبلاً وشرفاً،أن تجعل الآخرين يدركون حقاً من هم !.

أيقظ وعيك أولاً..أيقظ قدراتك الكامنة،واخرجها إلى العلن..أظهر لنا من أنت حقاً وليس ما تبدو عليه،أؤمن أن كل إنسان لديه القدرة على "الإستيقاظ" ،ليس هناك شيء يسمى "أنا فاشل".."أنا لا فائدة مني".."الجميع يسخر من شخصي" .."أنا لا يمكنني أن أتغير".."أنا لاشيء!"...

فقط إغلق عينيك ..وحرر ذهنك...أوقف الزمن بعقلك للحظة..وتخيل من أنت؟...إنظر إلى نفسك إلى جوهرك..وليس إلى ما تبدو عليه... من أنت في الحقيقية؟،مشكلتك الأساسية أنك غير قادر

على التغيير،أنت مثل مفرش جميل على منضدة..مهما كان جميلاً لا يلبث أن يتقادم ويتراكم عليه الغبار أو أذى الشمس،وبعد فترة يستبدله الناس بمفرش آخر "مختلف "،لذلك إذا أردت ان تعيش في هذا العالم بكفاءة فعليك التغير معه،لأن العالم ذاته يتغير،والتغيير هو سنة الكون،عندما نقف جامدين نرفض التغيير نصبح عائق أمام الموجودات المتغيرة حولنا فعندها تبدأ تلك الموجودات بالإصطدام بنا فنشعر بالإنزعاج والضعف،فالشخصية مثل رداء يهترىء مع الزمن فعليك أن تغيره،الأمر لا يعني أن نغير من نكون أو أن نضحي بالقيم أو الثوابت الغالية علينا،بل أن نظهر صورة جديدة حول من نكون بالفعل،فبدلاً من أن تظهر صورة الضعيف إظهر صورة القوي ،وبدلاً من تظهر صورة الجاهل ..إظهر صورة المثقف..وهكذا،لماذا تختزن ذاتك في صورة معينة وتقول "هذا أنا"،في حين أنك تمتلك صور عديدة رائعة وجميلة ولكن لا تظهرها!،الشخصية وهم ،ذاتك العميقة مكان واسع جداً كمحيط أو غابة،الشخصية عبارة آلة تصوير تلتقط صورة واحد فقط من ذلك المكان الشاسع،هل تمثل هذه الصورة كامل التفاصيل والموجودات في ذلك الكون الواسع؟بالطبع لا،كل شخص بالنسبة لي هو كون واسع ومدهش،مخزون لانهائي من القدرات اللانهائية والعجيبة،البعض يطأطأ رأسه مشككاً في ذلك،إنظر هنا ..حتى أقوى أجهزة الحاسوب وأغلاها ثمنناً أستطيع أن أضع عليها أسوء البرمجيات وأجعل من يجلس عليها يعتقد أنه جلس أمام أسوء الحواسيب على الإطلاق،فنحن نفترض أن "الفاشل" فاشل بطبيعته،وليس أن نتاج برمجة سلبية جعلته يبدو "فاشلاً"،في الحقيقة كلنا اجهزة إدراك راقية جداً،ولكن لا نجيد في معظم الأحيان برمجتها بشكل صحيح،فلا نظهر قدراتنا الحقيقية أبداً،لفترة طويلة شغلتني مسألة "العدالة الإلهية"،كيف توجد عدالة في هذا العالم والبعض يولد بعاهات وفقر و جهل وظلم و آلام،والبعض الآخر يعيش برفاهية وعلم ورقي وكل الوسائل متوفرة ومتاحة لهم،فلو وقفت أمام مقعد أو مريض طوال حياته وأخذت تتحدث على العدالة في العالم فأنت في الحقيقة تقوم بخداعه والأغلب أنه لاحظ ذلك،لا يجب أن تحدثه عن العدالة العالمية،بل حدثه عن مفهوم العدالة الذاتيه،فالفرق مثلاً شاسع بين شوارع غزة وشوارع نيويورك،والنظرة المسطحة تقول أن أفراد في نيويورك سيتمتعون بوعي أكبر وثقافة أعلى وصحة أفضل من نظرائهم في غزة أو غيرها من مدن العالم الرابع،ومع ذلك نرى أن أرقى فلسفات الذات والوعي تنشىء في الشرق في الهند والصين والمناطق الفقيرة الأخرى ،والغربيون يشدون الرحال إلى تلك البلدان البعيدة لإكتشاف الذات،فمعرفة الذات ليست مرتبطة بالمستوى المادي أو العلمي بل بالمستوى الروحي والعقلي العميق ولكن بالطبع تتأثر بالجوانب المادية والعلمية وما يقرر حقاً مدى هذا التاثير هو نحن،نحن قبل أن نكون فقراء مادياً ..نقرر أن نكون فقراء ذهنياً..وقبل أن نكون جهلة حقاً،نقرر أن نكون كذلك برضانا بهذا الحال والسكوت عليه..ولذلك نبقى فقراء وجاهلين بإرادتنا،والله ما أنزل من داء إلا أنزل معه دواء،فكما جعل في هذه الحياة ما تسميه " المصائب والبلايا والمشاكل"،جعل في أنفسنا أدوات وقدرات كافيه لحلها جميعاً،نحن بكل بساطة لا نستخدمها،لو خلقك الله في مكان فقير ويسوده الجهل و الظلم،فليس معنى ذلك أن الله ألقى بك إلى التهلكة،بل جعل لك في نفسك أدوات تستخدمها للتفوق على هذا الحال وتغييره،وأنت بيدك تقرر ما إذا كنت تريد لهذه المؤثرات أن تشكل صورتك الحقيقية أم لا،الناس لا يهزمون حقاً إلا عندما تهزم نفوسهم من الداخل،فعندما يقتنعون أنهم مهزومون حقاً و يصبحون كذلك،هنا تبرز العادلة الذاتيه،فذواتنا مسلحة بجميع الأدوات الكافيه لتجاوز المصاعب والأزمات،نحن فقط من نقرر إستخدامها من عدمه،لذلك لا يمكن أن تلقي باللوم على القدر أو

مفهوم العدالة في العالم،بل ألقي باللائمة على نفسك،والفقير الكسول والذي يرضي بالعيش على إراقة ماء الوجه،والذي يتصور أن تغير حياته يتطلب العثور على كنز من الذهب فهو واهم،لأن الكنز الحقيقي ليس كنز المال بل كنز الذات

البداية

في المرحلة الأولى وهي (مرحلة تمهيدية) من تطوير الوعي، علينا التخلص من الأشياء التي تجعل وعينا متدنياً،والخطوة الأولى تبدأ من الوعي الحسي ،فعلينا التحكم بما يصل إلى هذا الوعي،ثم إن ما يصل إلينا من مؤثرات خلاله نعطيها القدر الذي هي عليه ،مجرّد "أحداث" أو بيانات فلا نمزجها بالأحاسيس أو المشاعر أو وجهات نظرنا الخاصة،فعقلك عليه أن يعمل "كمعالج رقمي" يعالج كافة البيانات بنفس الكفاءة والقدر، فلا يعالج بعضها ويترك البعض أو يضخّم بعضها و يصغّر بعضها الآخر،فقدرتنا على الحكم على الأشياء بثبات هي خطوة مهمة،كما أن عزل أنفسنا عن كل ما يحاول التأثير سلبياً على وعينا أو سيرنا نحو التغيير شيء مهم أيضاً،وإذا أردنا تلخيص الأمر في نقاط محددة ،فإن إمضاء ساعات طويلة أمام التلفاز أو الراديو أو ألعاب الفيديو يؤثر تأثيراً سيئاً جداً على وعينا،لأن هذا يبقى وعينا مشغولاً في المستوى الأدنى (الحسي) لو حاولنا التعمّق بالوعي في مثل هذا الجو المزعج، فلن نصل إلى أي مكان،فنحن لو أردنا الدراسة مثلاً نلجأ إلى مكان هادئ،إن الفيدا التي تعني "علم الحياة" استخلصت في أكثر الأماكن هدوءاً وعزلة عن العالم (أعالي جبال الهملايا)،نحن بالتأكيد لا ندعو الأفراد إلى الهجرة نحو ذلك المكان المعزول،بل نريد أن نمنح وعينا فرصة للوصول إلى منطقة أكثر عمقاً،أعرف تماما أن البعض قد "يستهجن" فكرة اعتزال التلفاز ووسائل الإعلام الأخرى (تسمى وسائل تأثير على الوعي)،وسبب تعلقهم بالتلفاز ليس كما يدّعون أنه يربطهم بالعالم الخارجي،فهو لا يربطهم إلا بالعالم الذي تصوّره وسائل الإعلام،عالم كئيب،لنفكّر في الأمر،تحدث ملايين الأخبار يومياً ،وبالتأكيد فنحن لا نسمع في نشرات الأخبار سوى السيئ منها بل الأشد سوءاً،فلا تأتي نشرة الأخبار وتقول مثلاً أن ٥٠٠٠ طائرة هبطت بسلام هذا اليوم بل تقول إن حادث طائرة شنيع حصل في المكان كذا،وطبّق الأمر على باقي الأخبار،في الحقيقة فإن الإعلاميين في جميع وسائل الإعلام يبذلون قصار جهدهم للبحث وإيجاد أكثر الأخبار دموية ومأساوية لأن تلك الأخبار هي التي تزيد حجم المشاهدين أو المتابعين،فأنت عندما تشاهد الأخبار يومياً فما تراه ليس بالتأكيد العالم الحقيقي..فهم لا يوصلونك إلى أي شيء سوى الجانب المظلم من العالم ،المجاعات والاضطرابات والحروب،و لا تقلق فالأخبار المهمة حقاً والتي تتصل بك ستروج بين الجميع وتعرفها فوراً،وستدهش بالفعل عند مقاطعة التلفاز ليوم أو يومين بأن جميع الأخبار تصلك بنفس السرعة التي تصل بها إلى الجميع وقد تسبق بعضهم،ثم إن من يحتج بأن التلفاز مصدر للمعرفة وهذا صحيح أحياننا،فيمكننا هنا أن نقوم بتجربة بسيطة،لو أردت أمسك ساعة وسجّل كم دقيقة من الساعات الطويلة التي كنت تجلس فيها أمام التلفاز ،و كم دقيقة هي بالضبط تلك"المعرفة" التي قد تجدها،لا أعتقد ولم أسمع قبلاً ومن تجربتي الخاصة بأن القنوات الفضائية تضع "المعرفة" في الأولوية، دائماً يحتل "الترفيه" المكانة المقدّسة فيها،إن معظم ما يعرض على التلفاز من أفلام أو أغاني "تُولول" على الحبيب والاشتياق له،وغيرها من البرامج الترفيهية والمسلسلات والمواد الإعلانية،لا أعتقد أنه يمكن تصنيفها ضمن خانة "معرفة" وبالأساس فالهدف الأول والأخير لها هي "قتل الوقت"،والتأثير على وعي المستهلكين لتوجيه

الحركة الشرائية أو المساعدة في تنفيذ و نشر بعض الأفكار التي لا تكون غالباً مناسبة لك،بل مناسبة لشركات الإستهلاك العملاقة والأنظمة السياسية الفاسدة ،ثم إن معظم العلماء والباحثين لا تحوي منازلهم أجهزة تلفاز، و هي حقيقة قد تفاجئك ،فلو كانت هذه الأجهزة منابر لل"معرفة" لكانوا أولى الناس بها ،إن النقطة الثانية تكمن في "المعرفة" الحقيقية،ولن أتحدث إطلاقاً عن أهمية العلم والمعرفة وغيرها من العبارات الفضفاضة التي اعتدنا على سماعها في المدارس،في الحقيقة وهي معلومة قد تجدها غريبة بعض الشيء،فإن الأكثر أهمية في مسألة التعلّم أو طلب العلم ليس المعرفة بحد ذاتها بل ما نستخلصه من تلك المعرفة،وهي مسألة من المهم توضيحها،العديد من المعلومات التي تستخلصها من المعرفة أو المطالعة بشكل عام هي معلومات لن تحتاج إليها بشكل كبير في حياتك اليومية،فمن النادر أن يستوقفك أحد المارة ويسألك : ما محيط الكرة الأرضية؟ أو متوسط عمر الحوت؟ أو كم تبلغ قيمة الثابت الكوني للجاذبية؟ ...وما شابه..مجرد مفاتيح قد تجد أقفالها وقد لا تجد،وفي الحقيقة فإن الطلاب الجامعيين يشكون أيضاً مما يسمّونه "معرفة فلسفية" تملئ الكتب بمعرفة "زائدة"،لا نصادفها كثيراً في الحياة اليومية،الله طلب من الإنسان أن يتعلّم لماذا؟ ما الفائدة أن نجمع المعرفة عن العالم الفاني،التأثير الذي تحدثه المعرفة تجعل الوعي يزيد،مناطق جديدة من العقل تتفتّح،الإنسان عندما يتعلم يزيد وعيه،بالتالي ،يعرف الله بشكل أفضل،يساعده هذا على الإيمان من منطلق ثابت ،أفضل بكثير من إيمان الجاهل،العلم هنا هو العلم بجميع أحوال الكون وليس العلم الديني فقط،والعديد من الأفراد يسألون وبشكل غريب "ماذا نقرأ؟!" .

يقول الله تعالى:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) سورة العلق

إن أي شيء ستقرؤه يتفرّع لاحقاً، وستكتشف كم هي العلوم متصلة بعضها البعض،جد تلك الروابط وارتقي بالعلم والثقافة و جميع العلوم الطبيعية ،ستجدها في نهايتها جميعاً تتوجه نحو اتجاه واحد...نحو الله،وتذكر أن الهدف من المعرفة ليست المعرفة بالأساس بل زيادة وعيك وقدرتك الإدراكية،توسيع الغدراك ليس رافهيه بل حاجة للبقاء، العلم الديني مهم ،ولا يجوز فصله عن أنواع العلوم الأخرى ،إذا فعلنا هذا فسيحدث ما حدث للكنيسة في بداية عصور النهضة الأوروبية،ونحن في الطريق إلى شيء مشابه في عالمنا المعاصر،إرتداد جماعي عن الدين، بإدراكنا أو بدونه ،هذا هو السبب في "تمرّد" الشعوب على المنهج الديني،بدلاً من إلقاء اللوم مراراً وتكراراً على فساد قلوب الناس و عقولهم لما لا نلقي اللوم على قادة التيارات الدينية الذين فشلوا في إيصال نور الحقيقية إلى قلوب الناس وعقولهم،جعلوا عالمنا مكاننا تملؤه الحروب والفساد والجهل والتخلف،المنهج الذي يستخدمونه اليوم هو منهج فاشل يقوم على محاربة الحداثة والإدراك الموسّع والبحث في المخطوطات القديمة المغبرة لن يخبرنا عن شيء لا يمكننا أن نبحث فيه بعقولنا اليوم ،لا ننسى أن تلك السلطات الدينية هي نفسها التي تعطي الشرعية للسلطات السياسية الفاسدة والقذرة التي تملئ العالم الثالث والعالم الإسلامي على وجه التحديد،وفي الوقت الذي تحارب فيه الثقافة و تطوير الوعي والتنوير بكل أشكاله وترفض التعاون مع العديد من المؤسسات العلمية و الباحثين الدينيين المتحررين فكرياً،تقبل وبكل سخرية الإملاء الخارجي بتعديل المناهج أو تطويرها "تقليم الوعي الحر" في (كوميديا مضحكة) ومحزنة في نفس

الوقت،التحرر الحقيقي لا يكمن كما يعتقد البعض في أمتنا بعزل أنفسنا عن "المآزق الفكرية" أو الإكتشافات الحديثة،من السهل الوقوف والقول : "حسنناً لقد أخطؤا كم هم حمقى!"،لكن من المستحيل إثبات أنهم بالفعل كذلك وعندها يظهر من هو الأحمق بالفعل.هذا يقودنا إلى مستوى سطحي جداً من التفكير،لدرجة أن البعض في عالمنا الإسلامي يتصوّر أن الخلاص لا يكون إلا بصناعة قنبلة هيدروجينة وتفجير نصف الكرة الغربي،ثم ماذا بعد ذلك؟ لن تجد حقاً من يخبرك،لو كنت تمتلك القدرة على تدمير كل ما لا يروق لك في العالم فهل ستستخدمها؟ لو فكّرت في الأمر ستجد بأنك لن تتغير أبداً،وضعت المشاكل والصعاب في الحياة لنتكيف معها نبحث عن الحلول ،نفكر ونطوّر من أنفسنا وبذلك نتقدم،الحيوانات لم تفهم الأمر لذلك إستمرت في التأثير في العالم الخارجي بمبدأ القوة وحدها،في النهاية كانوا فقط ينتظرون قوة أكبر من التي لديهم ليختفوا نهائياً،كما حدث للديناصورات قبل ملايين السنين،المضحك أنه رغم ملايين السنين من سقوط تلك الصخرة الفضائية التي أبدات الحياة منذ عهد الديناصورات، فإننا لازلنا نجد عقول تلك الكائنات البدائية " التي تحيّر العلماء في وصف مدى غبائها" نجدها في عقول بعض الأفراد اليوم،مبدأ القوة، التحرر الحقيقي هو أن نحرر عقولنا من الأوهام و أجسادنا من الشهوات وأنفسنا من الشك و أرواحنا من اليأس،وليس أن نفرض قوة مفرطة لتدميرها والبقاء كما نحن، علينا أن نرى الطريق من جديد،بأن ندرك بأن وجودنا ليس لمجرد تناول الأطعمة والشراب و تضيع الوقت أو جمع الأموال والزواج والإنجاب الكثيف،ألا تستطيع أن ترى؟ ،كلها مؤامرة لإبقاء الشعوب في العالم الثالث، ذو وعي مخفض وسطحي جداً،مشغولة فقط بلقمة عيشها وإشباع شهواتها، و تستمر في البقاء ضمن أدنى مستويات الوعي (الحسي) أو أسوء ،و يجعلها سهل الانقياد للسلطات الدينية التابعة للعصور الوسطى ومن ورائها الأنظمة الفاسدة القمعية،التي تعبث بمقدرات و إرادة هذه الشعوب الغافلة.فالنقطة الأخيرة هي التنوير والتحرر الفكري،وعليك أن تفهم أنه لتطوير وعيك عليك ألا ترتبط بأي ميراث قديم أين كان،أنظر لنفسك وكأنّك آدم وقد نزل إلى الأرض للمرة الأولى ،وأبحث بنفسك عن الحقيقة،من المفترض أن تجدها في كل مكان وليس فقط في الكتب الدينية،لماذا لا تستطيع أن تراها خارج المسجد أو الكنيسة أو المعبد؟،لأنك في الحقيقة لا تستطيع أن ترى بنفسك ،أنت ترى من خلال عيون الآخرين ،تفكر من خلال عقول الآخرين،تستمع من خلال آذانهم،توقف عن قول : "سمعت فلان يقول،رأيت الناس تفعل كذا،قال الرجل فلان كذا وكذا"،وأستبدلها ب : "أنا أقول ،أنا أرى ،أنا أعتقد" لماذا تريد أن تكون "جرذاً فكرياً" ،تقتات على ما يلقيه الآخرون من أفكار،تحرر من كل عبودية فكرية،و ابدأ بالإنتاج،ابدأ بالكتابة وعبّر عن رأيك وتوجهك،وهكذا فعل الأقدمون و لم يتصوّروا للحظة أن أفكارهم ستستخدم لردع الأفكار الجديد واكتشاف المزيد أعد صياغة نظرتك الدينية والعلمية والثقافية والذاتية من جديد.نظرتك انت وليس نظرت غيرك.

شجرة الحياة

يمكن أن نشبه الإنسان بالشجرة ،حيث الجذور تمثل الجسد بالالتصاق بالأرض واستمداد الغذاء والماء بواسطتها فهي أساسية للبقاء،الجذع والفروع تمثل العقل المنطقي في الارتفاع بعيداً عن الأرض نحو السماء،الأوراق هي النفس وكلما كانت الأوراق أكثر اخضرارًا و نضرة كانت

النفس أصلح وأنقى، كما أن النفس هي كما الأوراق تأتي بمصدر مختلف للطاقة،فهي تستمد الطاقة من النور وتمنح طاقة الحياة الحقيقة للشجرة،وإذا إمتصت الجذور الماء السام فإن الأوراق تموت و تتساقط كما تموت النفس و تسقط بعيداً عن أصلها،الثمار هي الروح والروح هي نتاج الشجرة فلو كانت الشجرة صحيّة كانت الثمار طيبة ولذيذة ولو كانت الشجرة مريضة وخبيثة فالثمار مرّة وحامضة.

ونحن يوم القيامة ننبت من "عجب الذنب" كما ينبت الشجر تماماً.وهناك إشارات كثيرة في القرآن تربط بين حياة الإنسان والشجرة

يقول تعالى:

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) سورة نوح

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا من الآية ٣٧ آل عمران

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ من الآية ٢٤ سورة يونس

عملية التحرير لهذه العناصر تعني السيطرة عليها كما أسلفنا،في كل مرحلة تحدي و هدف وأسلوب خاص..

القدرات الإدراكية وعملية التحرير الذاتي

نحن بالتأكيد لا نستطيع أن نبقى متصلين بجميع درجات الوعي بصورة شاملة،نتجاهل مستويات الوعي العالية عادة وكأنها غير موجودة ،البشر بلا إستثناء يخشون الغوص في أعماق الوعي،حيث العقل يتلاعب ويوجد قوانينه الخاصة ،معنى جديد لمفهوم الحقيقة، نحن نخشى من الوعي،لأنه يصنع العالم الحقيقي الذي نؤمن بوجوده،نخشى أن نرى العالم بطريقة مختلفة عن تلك التي أردناها،إستخدام الدرجات المتدنية من الوعي مريح و تجعل المرىء يجيد الإسترخاء والتمتع بالحياة بصورة شهوانيه بحته، .مما يخلق خمسة أنواع من البشر حسب إتجاه التطوّر الإدراكي.يمكن النظر إليه كتصنيف عام أو مرجع يحدد طبيعة العلاقة بين التطوّر الإدراكي والعناصر الوجودية،القدرات الذهنية هي حالة مشابه،لنتخيل قيادة حافة،البعض لا يحتاج سوى لمقود و مفتاح التشغيل،البعض يبحث عن لوحة قيادة "أكثر تفصيلاً" العديد من المؤشرات والأزرار التي تتيح تحكم أكبر بالمركبة،أجسادنا أشبه بتلك المركبات نحن نعيد من خلال التأمل و التحرير الذاتي للوعي التحكم الحقيقي بأجسادنا،إكتشاف طبيعة وجودنا "غير المادية"،القدرات الذهنية تكتسب وجودها من تلك الطبيعة،معظم البشر يؤمنون بوجود الروح،بأننا لسنا مجرد عظام ولحم،لكن عندما يأتي الامر إلى القدرات الذهنية،يسود الإنكار و الشك شريحة واسعة،هذا أشبه بأن تؤمن بوجود الجاذبية ولكن تنكر أثرها على الطبيعة،أمر مضحك،لا زلت أجد صعوبة

في فهم هؤلاء الذين يؤمنون بوجود الروح ولكن لا يؤمنون بأن لها أثاراً على هذا العالم الخارجي،ما هو تعريف الوجود بالنسبة إلى هؤلاء،ما يعطي للأشياء الحق بالوجود هو مقدرتنا على إدراك ذلك الوجود،إما بشكل مباشر كالظواهر اليومية و الطبيعية،أو المنطق والرياضات لوصف الأشياء التي تدرك بشكل نظري أو غير مباشر،وحتى الله الذي لا يمكن الوصول إليه بالحواس أو الفكر نستدل على وجوده بآثاره في المخلوقات و تنوع الطبيعة،لا يمكن لوجود ما إخفاء وجوده بشكل كامل ،ولو إستطاع ذلك فهو بالفعل غير موجود،إن لم يكن هناك دليل على وجود الشيء فهل يمكن أن تقول أنه موجود؟،فهؤلاء الذين ينكرون الأثر الروحي في العالم يفترضون في الأساس أن للروح كيان خفي عن إدراكنا يفوق خفاء الله بحد ذاته،فهل هذا ممكن؟ هل يمكن أن يكون المخلوق أكثر خفاء من خالقه؟،إنها أشياء صغيرة لا يمكن تفسيرها ،عندما نرى الرؤيا في المنام تتحقق،عندما نشعر بمكروه يصيب أحد أحبائنا و يكون بالفعل بحاجة إلينا،نفكر أحياننا بأحد ما فيتصل بنا أو يزورنا، عندما نسير في الطرقات وننظر إلى أحدهم وفجأ يشعر بتلك النظرة و يلتفت إلينا،عندما يؤذي الحاسد الناس بالنظرة والشعور ،عندما نسمع أصواتاً أو نشعر بوجود ما حولنا أو مشاعر لا يمكن تفسيرها كحدسنا أو صوتنا الداخلي،عندما نخشع في الصلاة أو نخلص في الدعاء نشعر براحة و خفة في أوزاننا و كأننا على وشك الطيران،عندما لا نعتبر كل تلك الظواهر ناتجة بالأساس من طبيعتنا الروحية،فنحن ببساطة نقضي على أدلة وجودها وبالتالي علينا تصوّر أن كل تلك الظواهر غير موجودة ،أي أننا كملايين البشر نعيش يومياً وهماً جماعياً لا وجود له،والأسوء من كل ذلك ما فائدة الروح إن لم يكن لها أثر،الذين ينكرون أثر الروح يضعون أنفسهم في مكان غريب لا يملكون فيه سوى التشدّق بفكرة "الروح البليدة" التي بالتأكيد "موجودة" وبالتاكيد "لا أثر لها"،الذين يربطون الروح بالحياة عليهم تفسير سلوك البكتيريا التي تتكاثر بطريقة جنونية "فهل تقوم بإنتاج سريع للأرواح؟" والفيروسات التي تعتبر عتبة الحياة تتصرف كجماد خارج الجسد العضوي و حية داخله "فهل أتقنت إخراج روحها وعودتها إليها؟" ،عليهم ايضاً تفسير الطبيعة العضوية للإنسان،فعلم التشريح لا يعترف بوجود الروح كسبب للحياة أو الموت،بل بقاء القلب والعقل والأجهزة الحيوية في حالة عمل دائمة،هل يمكن أن يموت شخص ما بدون سبب عضوي؟،أي أن يكون سليماً عضوياً؟،يمكن أن تعتقد ذلك،لكن ستقوم بتدمير أحد القوانين المهمة وهو قانون السببية ،فلابد لكل شيء من سبب،هل يمكن ان يكون هناك موت بلا سبب؟ لو قلت ذلك فأنت في نفس الوقت يجب أن لا تعترض إذا أخبرك شخص ما أن العسل إنسكب من جرّة غير مخروقة،أو أن الكرة دخلت المرما دون أن تركلها قدم،أو أنك رسبت في الإمتحان دون أن تدخله،أو أن الكون وجد بالصدفة وبدون سبب.

هل ستقوم بعمل "فقاعة إستثنائية" حول الأمر وتتمنى من أعماق قلبك أن لا تنفقع،مثير للشفقه.

والسببية مسألة معقدة وكبيرة لا يمكن بحثها هنا،لكن عليك أن تكون حذراً تماماً في التعامل معها،السببية ليست شيئاً يمكننا الإستغناء عنه متى شئنا،الإلحاد يبدأ بإفتراض أن السببية ليست قانوناً يحكم الوجود،كل شيء يبدأ بسبب ويكون سبباً لشيء آخر،إلى أي مدى تؤمن بأن هذه العبارة حقيقة،هل تؤمن بوجود أشياء تحدث بلا سبب؟ و حتى المعجزات لا تحدث إلا بسبب و هو الله، فكيف يمكن أن يحدث شيء آخر بلا سبب؟،والعشوائية التي سنتحدث عنها بإسهاب هي

في الأساس ليس لها معنى،لأنه لو كان لها تعريف أو معنى محدد لما أصبحت "عشوائية" أليس كذلك؟.

عند تقدم الوعي فالفرد يكتسب سيطرة أكبر على الذات،هذه السيطرة لها العديد من المناطق التي يمكن لها أن تفرض السيطرة خلالها،مناطق مختلفة داخل الدماغ ، الدماغ هو لوحة التحكم والوعي هو المسيطر،عندما نسير الوعي في إتجاه معين داخل العقل فنحن نقوم فتح "مسارات" للوصول إلى كامل القدرات الخاصة بنا ، سواء المادية أو الروحية،وفي جميع الحالات فكل ما نفعله في الأساس هو بسط المزيد والمزيد من السيطرة،لكن ما مقدار تلك السيطرة؟ منذ الولادة إلى مرحلة النضخ، تزداد السطيرة تدريجياً،إلى حد معين ثم تقف،السبب ببساطة اننا نكتفي ،لا نعقد أنه يوجد المزيد داخلنا،لا نعتقد اننا قادرون على إتقان مهارات معينة.

بما أن للإنسان أربع عناصر وجودية كما أسلفنا و هي الجسد ،العقل،النفس،الروح،فالدماغ البشري طوّر مناطق داخله للسيطرة على هذه المناطق ،لقد إرتبط المفهوم البشري للحرية على مدى التاريخ بالحرية "الجسدية" أي إمتلاك الفرد للحرية في تنقل بجسديه حيث يشاء،ثم إنتقل الأمر لا حقاً إلى أنواع إخرى كحرية التفكيروالرأي (حرية عقلية)، الحرية الشخصية والخصوصية "نفسية"،حرية ممارسة العبادة التي يشائها الفرد "روحية".مناطق السيطرة الدملغية هي مناطق يمارس فيه الوعي النفوذ ليصل التحكم المطلوب في أحد العناصر ،فينشأ لدينا اربعة انواع من الوعي حسب المنطقة التي يستعملها داخل الدماغ.

السيطرة على الجسد "المرحلة الأولى"

عندما يسيطر الوعي على مناطق التحكم الخاصة بالجسد ،يصبح من الأسهل للفرد

اختبار قدرات عديدة ك"إجراءات الخطر"مثلاً ، مجموعة من التصرّفات أو الاستعدادات الجسدية لا تظهر عادة إلا في الحالات الخطرة وبطريقة "غريزية" ،كرد الفعل السريع،حمل أوزان ثقيلة،ركض سريع جداً،القفز من ارتفاع كبير أو القفز إليه،تحمّل درجات كبيرة من الألم،يمكن جمعها بما يعرف ب"القوة الجسدية الخارقة" تنجم تلك القوة في الأساس إلى انقباض جميع الخلايا العضلية في نفس الوقت وتجميد المستقبلات الحسية ،نوع من التخدير الذاتي،تحرير جزء من قوة الجنون، المعروف أننا في حياتنا اليومية نستخدم انقباض للعضلات بنسبة ٢٠ % ،ال٨٠ % الباقية يخزّنه الجسد لوقت الخطر" المفاجأة"،تتحرر كل تلك القوة وتعمل جميع الخلايا في إنقباضة واحدة خارقة،هذه القدرة تبقى لا إرادية لمعظم الناس ، العديد من الذين اختبروها كانوا في مراحل قريبة جداً من الموت،لحظات يتحرر فيها كامل الوعي بكل خلية في الجسد لهدف واحد فقط، إنقاذ الجسد من الهلاك،وبالطبع لم يستطيعوا لاحقاً تكرارها،سمعت قصة امرأة من شيكاغو رفعت سيارة لإنقاذ ابنها الصغير العالق تحتها،طلب منها لاحقاً تكرار الأمر فلم تستطع ذلك و لو قليلاً.

الذيّن يوجّهون تطوّر وعيهم نحو الجسد يمتلكون سيطرة مشابه ولكن بنسبة أقل،أساطير مقاتلي النينجا و الساموراي القدماء تتحدث عن ظواهر قريبة،رهبان معبد الشاولين و المجاهدون

المسلمون، إنطلاقاً من الجزيرة العربية نحو اجتياح العالم المعروف أظهروا بسالة وقدرة تحمّل عالية جداً ،مقارعة جيوش تفوقهم في العدد و العتاد بقوة الوعي الإيماني،المتصوّفون لاحقاً و معتنقو ديانات عديدة..يمارسون المشي على الجمر أو المسامير،دليل على قوة الإيمان أو استحضار الأولياء أو الأرواح المرشدة،مستويات أقل تمارس في الكراتيه والفنون القتالية الحديثة ،يطلقون عليها "كيميه" كلمة باللغة اليابانية تعني "روح قتالية"،صرخة،تزيد قوة الركلات و اللكمات،تحطيم ألواح الخشب أو الحجارة.وهذا جوهر الكراتيه، أي تحويل القوة الكامنة في الجسد البشري إلى قوة وحشية لتدمير الخصم بسرعة وكفائه،يتطور لجميع الفنون القتالية نوع من الإنضباط العقلي، مستوى من الذكاء والتركيز الذهني مطلوب لتحقيق مستويات عاليه لبعض الحركات.١

حيث من المذاهب الفكرية والروحية تنشأ رياضة جسدية ، تحرير الجسد هو أسهل مراحل التحرير ،ولكنه أساسي من حيث أنه البوابة الأولى لتحرير باقي العناصر،لكن كيف يتحرر الجسد؟ ، نحن في الحقيقة نظن بأننا نسيطر على أجسانا وتلك خدعة أخرى،معظم وظائف الجسد هي وظائف لا إرادية أي أن الوعي المتدني لا يسيطر عليها ...سرعة التنفس ودقات القلب،تنظيم الهرمون وتنظيم السكر في الدم،الضغط و القدرة على التحكم في المؤثرات الجسدية الداخلية: كالجوع والعطش والألم والجنس.القدرة على استخدام العضلات الجسدية بنسبة ١٠٠% ، الحساسية الشديدة ،اتساع حدقة العين،التوازن عند الحركة السريعة،إفراز الأدرينالين...والكارثة ...عدم القدرة على التحكم في أصابع القدم بشكل منفصل،هل لاحظت أنك غير قادر على فعل ذلك؟ وهل لازلت واثقاً أنك تتحكم بجسدك..أم في الحقيقة جسدك هو الذي يتحكم بك؟

تعتمد فلسفة تحرير الجسد على "اقتلاع الجذور" حيث نتحكم في البداية بما يدخل إلى جسدنا من غداء أو سوائل،الصوم لعدة أيام قد يكون بداية جيدة،ثم تبدأ مرحلة التدريبات الجسدية ،وليس المقصود منها بناء عضلات مفتولة ،فالهدف ليس القوة بل السيطرة،الرياضة التي تمكننا من السيطرة على نقاط الضعف في أجسادنا هي مزيج من تمارين الإطالة والليونة،والتحمل ،نرى هذا المذهب كثيراً من أنواع الرياضة مثل: اليوجا والجنباز والكونج فو وغيرها...

و بناء التمرين المناسب والمتوازن عن طريق الجمع بين العديد من الرياضة العالمية أو الفنون القتالية هو المفتاح نحو سيطرة أكبر على الجسد .المرحلة المتقدمة من التحرير تتضمّن اختبارات عليا للتحمّل ومقاومة الألم والرغبات الداخلية،وفي هذه المرحلة وحدهم الخبراء الذين أمضوا سنوات في التدريب يستطيعون الخضوع لها.إن تطوير تمرين بشكل ذاتي هو أمر قد يكون خطيراً،استشر طبيبك أو مدرّبك الخاص إن كنت تعاني من أي مرض مزمن،لا تمارس الرياضة القاسية أو العنيفة كل يوم.اتخذ جدولاً صغيرة يتضمن تمارين عامة وأساسية وقم بالارتقاء يومياً في هذا التمارين وزيادة العد، ،إن العبرة هي القيام بالنشاط العضلي القليل ولفترة دائمة.وليس القيام بتمرين شاق ثم الإصابة والقعود. الصلاة هي عبادة ورياضة في نفس الوقت،صلّ أكبر عدد ممكن من الركعات يومياً نهاراً و أقم صلاة الليل ،إن جميع الرياضة الروحية تحتوي حركات تشابه وضعيات الصلاة وهذه من نعم الله علينا أن جعل في الصلاة صحة للأبدان.في نهاية هذه المرحلة المفترض أن نكون قد سيطرنا ولو بدرجة معينة على اللياقة العامة للجسد،الصحة،القدرة على التحمّل،الصبر على الجوع أو العطش أو الألم.و الارتقاء بالمستوى الجسدي يرتبط بمدى وعي الفرد وإدراكه بنفسه وتصميمه.الجسد أداة،وكلما كانت تلك الأداة أكثر فاعلية كانت الأثر

الذي تتركه في العالم الخارجي أكثر وضوحاً،وكما يقول النبي (ﷺ) ف"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف،وفي كلٍ خير"،ولكن المؤمن القوي يترجم ذلك الخير إلى العالم الخارجي بإستخدام جسده "أداة إدراكه".

السيطرة على العقل هي المرحلة الثانية

يكمن التحدي هنا بالتخلص من الشك نهائياً وكل ما يعيق الإيمان من الانطلاق نحو العناصر الوجودية،الأداة المستعملة هي المعرفة،المنطق،الاستدلال على العظمة الإلهية بالمعرفة الكونية والنفسية،عندما يهزم الشك فالوعي يرتقي إلى مستوى أعلى،الشك هو العدو الأول للإيمان،وهو العدو الأول للإنسان بعد الشيطان، وهو يقلق النفس ويعكّر الصفاء الداخلي و التلذذ بالنور الإلهي حتى لو كنت مؤمنناً،وتجاهل الشك يقدم حل مؤقت فقط ،ودون القضاء على الشك نهائياً لا يتحقق السلام الداخلي والإطمئنان،قتل الشك يكون بمواجهة مصادره ، رؤية الدليل أو اختباره،أو الاستعانة بالمنطق كأداة معصومة من التشويش وذات مصداقية معقولة.

يقول الله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.من الآية ٢٦٠ سورة البقرة

فسيدنا إبراهيم (عليه السلام) لم يطلب من الله رؤية إحياء الموتى ليؤمن به، بل ليحقق السلام الداخلي الذي ترتاح به النفس.

على المعرفة أن تكون ضمن التوجيه الفطري الإيماني،والعقل يكون ذو غاية سامية نحو إدراك الحقائق الإيمانية وليس الجدال و التضييق.

هذا يكسب قدرة ذهنية،يطلق عليه "الذكاء الخّلاق"،ذاكرة قوية جداً،تحليل سريع وقدرة على الاستنتاج والتخطيط،الابتكار و إيجاد الحلول لأعقد المشاكل،وضع العلوم أو استنتاج الروابط المفقودة والقوانين.الإدارة وقيادة التجمعات البشرية الكبيرة.

التغير كيف تجعل حياتك ذات معنى

عندما تقوم بتحليل للإنتاج العام للذات (النشاط البدني ،النشاط الذهني ،العاطفي والروحي) لحياتك تلحظ تلك الفروق خلال الفترات العمرية المختلفة في الحياة،قد تكون في إحدى المراحل غزيراً في الإنتاج والفكر والإبداع،وفي مراحل آخرى تكون أقل في بعض هذه النواحي أو

جميعها وقد تعاني حالياً من التدهور الحاصل في "القوة الداخلية" إلى هذه اللحظة،يفشل معظم البشر في فهم هذا التدهور وينسبونه إلى تقلبات الزمن والقدر وآثارهما النفسية على طبيعتنا البشرية،هذه النظرة قاصرة وتدّعي بطريقة ما أن للقدر والزمن سلطان على عقولنا وأنفسنا أو أننا مجرد "أجسام طافية" فوق أمواج الزمن المتقلبة،متأثرون لا غير.

((إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)))
سورة المعارج

''نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا...

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب..ولو نطق الزمان لنا هجانا..،،

وجهة النظر القاصرة هذه سائدة لعوام البشر،ونحن رغم ثقتنا بأننا أصحاب إرادة حرة فنحن في الحقيقة نلعب (بلا وعي) دور الدمى التي تحركها الخيوط على مسرح الحياة،والخيوط هنا هي الثروة ،الجنس،وحب الذات،البعض يتصور أن السبب يكمن في إخفاق داخلي ،أي أننا غير مسلحين بذكاء كافي أو إستعدادات عقلية أو جسمية معينة،وهذه النظرة أسوأ من الأولى بكثير،لأننا في الحقيقة لا نستغل سوى جزء تافه من قدراتنا الحقيقية،

إن إعادة السيطرة على الذات هي شيء ذو أهمية بالغة في توجيه مسار حياتنا نحو تحقيق الأهداف التي نصبو إليها،هذه الأفكار نحصل عليها بالأساس نتيجة تجارب ذاتية وحصيلة مطالعة مجالات متعددة في علوم النفس،البرمجة اللغوية العصبية وتنمية الذات بالإضافة إلى العلوم الباطنية و التأمل...

ودعني أضرب لك مثالاً من تجربتي الخاصة،لقد عشت خلال حياتي هذه المفارقة الخاصة بالإرتفاع والإنحدار في الطاقة،فكنت أصنّف طفولتي ومراهقتي كمراحل "للنشاط " ما لبثت أن تدهورت في المرحلة الثانوية والجامعية، جعلني ذلك ابحث في كيفية إعادت تلك الحالة من النشاط مرة آخرى إلى مختلف جوانب حياتي العلمية والعملية والروحية ،وكنت في ذلك الوقت قد وصلت إلى النهاية،إلى طريق مسدود ولحالة سيئة جداً من اليأس والسلبية،حيث بدأت في نفسي بالتساؤل حول أهمية إتمام الدراسة أو جمع المال أو الزواج أو تحقيق النجاح والذات وغيرها من الأمور التي أصبحت تبدو تافه،وكنت قد تعرضت لسيل من المؤثرات السلبية كان أولها إنتقالي للدراسة وحيداً في بلد غريب،ومواجهتي للمشاكل المالية و المرض والإصابة،وعدم القدرة على الإنسجام مع المحيط الإجتماعي الجديد ،ما أثر كثيراً على تحصيلي الدراسي و إستقراري النفسي،لقد أثرت الأفكار السلبية النابعة من ذاتي ومن المحيط الإجتماعي على طريقة حياتي وجعلتني أنظر إلى الحياة نظرة قاتمة،إنعكست على جوانب كثيرة من سلوكي الذي أصبح يميل إلى العشوائية والفوضوية واللامبالاة أحياناً،ناهيك عن العلاقة المتدهورة والضبابية مع الدين

والله،جعلتني أتصور أن نهايتي ستكون في سن الخامسة والعشرين تقريباً،لقد عشت مرحلة إمتدت إلى نحو ثلاث سنوات كاملة يمكن لي وصفها الآن ك "سبات عميق" حيث لا إنتاج فكري ولا أهداف ولا دافعية بل مجرد إستجابة للمؤثرات الخارجية تكفي فقط للبقاء على قيد الحياة،والعديد منا يعيش في حالة مشابه لهذه،ولا أستطيع الآن تطويع الحروف لوصف هذه الكارثة كما ينبغي،هذا أسوأ ما قد يحصل للإنسان،أن يفقد إتجاهه في هذه الحياة وأن يهزم ذاتياً..هذا بالتأكيد أسوء من الموت.

التعافي الذاتي والطبيعي القائم على النسيان أو إنتظار التقلب القادم في القدر قد يستغرق سنين طويلة وقد لا يأتي أبداً،إن تجاوز الألم و البحث بجدية عن طرق لإستعادة هذه الثقة بقدراتنا هي السر،أؤلئك الذين عانوا ويعانون من هذا "الفراغ" الذاتي يعلمون تماماً عمّا أتحدث،أما الذين يصفون طاقاتهم بالمتوسطة والقوية فمن المهم إطلاعهم على الأساليب التي يمكن لهم بها الحفاظ على مستواهم الحالي أو تطويره،ويمكن للأمر أن يكون عبرة لهم،ومن الخطأ الإعتقاد أن النفس حصن لا يطوله العدوان والخراب أحياننا.

من الألم تنشأ القوة ومن الصبر تنشأ الحكمة،وخلال البحث للخروج من هذه الحفرة العميقة،يجب أن نعي تقلبات الذات و ظواهرها،ثم نرى هذا التطابق المدهش بين السطور العلمية و صور الذاكرة الحية،بين النص والتجربة الحياتية،حينها تصبح الحقيقة ظاهرة وواضحة وقابلة "للنمذجة" والتطبيق في حياتنا اليومية،فتتحول إلى أدوات فعالة للسيطرة على عقولنا،لقد ساعدتني هذه التجربة الذاتيه في الخروج من هذا النفق المظلم حيث من هناك بدأت بالإيمان حقاً،فقد كنت كحال الكثيرين ملماً بشيء من قواعد البرمجة العصبية أو ما إعتدنا على سماعه من أهمية العزيمة و الإرادة التي تصنع المعجزات وغيرها من العبارات الفضفاضة والفلسفية،وهي تبقى في عقولنا كصور مثالية نفترض صحتها ،ولكن لا نفهم كيف تعمل حتى نستخدمها بالفعل في حل مشكلاتنا الخاصة.

حيث أن الشيطان (العدو الأساسي للإنسان) يجسد معنى اليأس الحقيقي في هذا العالم، فالتفكير بالفشل و اليأس من الحياة وفقدان الأمل، هي أخطر الأسلحة الفتاكة التي تستطيع تدمير حياتك بشكل شبه كامل،على الأقل يمكنها أن تجعل حياتك غير منتجة لوقت طويل جداً،"نحن نموت عندما نفقد الأمل بالحياة"،حقيقة بسيطة صاغها الدكتور فرانكل في إحدى كتابته عن الفكر المتسامي،فعندما نسمع قصص هؤلاء الذين قبعوا في معسكرات الإعتقال النازية وتعرضوا لأقصى الأشكال الوحشية من التعذيب، ثم نرى كيف أن طبائعهم البشرية بدأت بالإختفاء شيئاً فشيئاً،وكيف كان عليهم التضحية بجزء كبير من إنسانيتهم ووعيهم للبقاء على قيد الحياة،عندها نبدأ حقاً بالتفكير حول ما تعنيه الحياة بالضبط ومدى قيمتها،فقط أولئك الذين لم يستسلموا للتعذيب والجوع والمرض ولم يفقدوا الأمل في الحياة هم الذين نجوا،للأسف الآخرون لم يحالفهم الحظ.

إن مجرد كونك إنساناً في هذا الوجود يطرح عليك مجموعة من المسؤوليات والواجبات،مسؤلية إتجاه نفسك ومسؤولية إتجاه الآخرين ومسؤولية إتجاه الله،محاولة الهروب من هذه الحقيقة والتقوقع في إحدى زوايا الحياة بعيداً عن الأنظار لن يجدي نفعاً

يقول الرسول ﷺ:

أتدرون ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذبهم".

ويقول:" فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حق ا".

الطريق إلى التغير الحقيقي

هناك من يصور الحياة كميدان شقاء مستمر،متعلقاً دائماً بمبادىء عليا،كثوب ضيق يحاول جاهداً حشر نفسه داخله ،لا راحة ولا نوم في نظره،فنحن وجدنا لهدف لن يصله إلا أقلنا وبشق الأنفس وأكثرنا هالكون مهما حاولوا ،وقد أفلح (بنظرهم) من ذاق الويل في هذا العالم ونال الراحة في نهايته،وفي هذه الحالة كل ما فعلناه هو شغل أذهاننا بالكثير من القضايا والأفكار،دونما وعي أو تحرك يذكر في نمونا العقلي أو الذهني، ونبقى معظم الوقت نظريين غير عمليين،وهناك من لا ينظر إلى مستقبل ولا يستبصر خطاه القادمة ولا يمتلك الطموح أو الإرادة أو حتى الأحلام،ولكنه يعيش على الأقل واقياً وإن كان سلبياً وقد ينتج أحياناً لكنه محدود،هناك أيضاً أشخاص طفوليون لم ينضجوا بعد،ولازالوا يستميتون في إشباع رغباتهم و ملذاتهم،وهؤلاء بنظراتهم وضحكاتهم السخيفة نحو الحياة،وحقدهم ولؤمهم على الآخرين إنما يعبرون عن حقيقة كونهم أطفالا،غير ناضجين،ما إن يدخلوا إلى جماعة إلا يورثوا فيها النزاع والفوضى،في الحقيقة هم أسوأ من الجراثيم الفتاكة،أحد أفضل الخدمات التي أسداها لنا علم النفس هي معرفة أن العديد من هؤلاء الحمقى لازالوا يعيشون بالفعل بيننا،و لذا فعليك أن تحذر من أن تكون أحدهم،عليك صياغة نظرة ثورية حول مفهوم التغيير،لماذا نشعرأحياناً بأن شيئاً ما خاطىء؟،لا أحتاج إلى أن أستمع إلى مشاكلك و همومك،لأنني ببساطة أعرف تماماً أنها ليست جوهر المشكلة،وكل تلك المشاكل والهموم ما هي إلا تفاصيل تافه تخفي بين طياتها الخلل الداخلي والحقيقي،لو كانت سيارتك تصدر صريراً فهل تعتقد أن المشكلة هي "إصدار الصرير؟" أم أن هناك خلل داخلي طفى على السطح مشكلاً ذلك الصرير،هذا ما نخفق في فهمه عادة ،وهو أن مشكلاتنا لا ترتبط حقاً بالتفاصيل التافه التي نسوقها بل نحن نختفي خلفها لنخفي إخفاقنا في حلها كخلل داخلي في أنفسنا،لو كان لديك والد سيىء أو زوجة مزعجة أو مدير متسلط أو صديق ثقيل الظل،فهل يعني ذلك بالضرورة أن تكون شخصاً يمتلك مشكلة؟،المشكلة الحقيقية لا تكمن في العالم الخارجي بل جعل تأثيراته تمتد إلى عالمك الداخلي هنا يحصل التأثير السلبي،من المضحك حقاً رؤية أن تعطل السيارة هذا الصباح أو عدم الحصول على إفطار مرضي أو المشاجرة مع أحد الجيران يشكل عقبة حقيقية في طريق إنجاز يوم عمل مبدع،أو معاملة الزوجة والأبناء بلطف،أو الإبتسام في وجه الآخرين أثناء السير في الطريق،لا يرتبط الأمر أحياناً بالمال أو المستوى العلمي أو العاطفي..أو الديني،قد يكون الشخص يمتلك ما يكفي من المال و لديه كم جيد من المعرفة و عاطفته مستقره و يصلي ويصوم و يمتلك فكر ديني لا بأس به، ومع ذلك فهو غير سعيد،كيف يحصل ذلك؟ لقد مررت بهذا الحالة الغريبة نوعاً ما،لذا لن ألقي لك محاضرات في المثاليات أو إدارة الذات أوالوقت والتنظيم أو موعظة دينية مملة،لأنني أعرف أن الحل ليس في أي منها ،،،

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) من الآية ١١ سورة الرعد

كيف نغير ما بأنفسنا إن لم نعرف ما "في أنفسنا"؟،هنا تكمن أهمية معرفة الذات،،،،

بإستخدام المهارات الذاتية واللغوية،و من الخلوة بالذات إلى تدبر أسرارها،يكمن الحل بالتأكيد،لا تنتظره من الخارج!،لازلت أرى حتى الآن أن ما يمكن أن تستخلصه من الذات أفضل وأنفع مما قد تستخلصه من أفواه العوام،فالوقت الذي تعيشه عميقاً (في عالمك الداخلي) أفضل من ذاك الذي تعيشه سطحياً على هذه الأرض مع "المتقلبين والحائرين واللاهين"،والمدّعين للمثالية الذين يحاولون حشرك في إحدى قوالبهم الضيقة، فيمكننا من تأمل الذات الوصول إلى معرفة ما كنا لنصلها بتقليب صفحات الإنترنت والكتب أو مشاهدة التلفاز،أو سماع أقوال العامة والعلماء،لذا علينا وضع غاية في أنفسنا وهدف أسمى ،هو ليس فقط الوصول إلى ذوتنا بل أيضاً نقل تأثيرها للناس والآخرين،ليستفاد منها كل شخص إلى أقضى حد ممكن،ولا يضيع كل ذلك الوقت من التأمل هباءاً منثوراً بفنائنا المادي،،،

إليكم شيئاً نلمسه في حياتنا اليومية كأفراد مسلمين (وربما يعاني منه أفراد من الديانات الآخرى) وبشكل وضاح تماماً،عندما تطول الصلاة قليلاً نشعر بتعب شديد وملل وإرهاق ثم ما يلبث الإمام أن يسلم حتى ترى نصف المسجد في الخارج يتحدثون في المصالح اليومية،بينما نستمتع بالجلوس لساعات طويلة أمام التلفازومشاهدة المسلسلات الفارغة والترفيه التافه،ما المشكلة بالضبط؟؟،وهناك أمور آخرى تحيرني، تلك الفوائد العظيمة(الصحية والنفسية والروحية) التي تكمن في التأمل واليوجا والتي أثبتها العلم مرات عديدة،لماذا لا نمتلك مثلها في الإسلام؟،وكل شخص مارس شيء من التأمل أو اليوجا يفهم ما أتحدث عنه تماماً،يؤلمني حقاً رغم علمي بفائدة التأمل أن أجلس ساكنا دون تفكير بشيء،ولو كان الله يشغل بالي في تلك السكينة المخيفة لكان الأمر أفضل بكثير،ثم من الصعب الفصل بين المفاهيم الروحية التأملية وتلك الخاصة بالخشوع في الصلاة، مع العلم أن الذين يمارسون التأمل بشكل منتظم يزيد فهمهم لأديانهم و للمبادىء الروحية،هناك أمر آخر،البرمجة العصبية و التنويم المغناطيسي الذاتي فعال ومؤثر،لكن من السيىء حقاً أن تجلس على السرير وتردد كالببغاء "سيكون الإمتحان غداً سهلاً ..وسأحصل على درجة كبيرة"،ورغم أن هذه التقنيات فعالة جداً إلا أن من المحزن أن لا تقول "إنشاء الله" وتتوكل على الله وإنتهى الأمر،فالمؤكدات تهتم بالإقناع والثقة فإن لم نكن تثق بالله فلن تعطي تلك المؤكدات شيء ملموساً،لذا كان الرجال الدينيون يتهمون تلك العلوم بالإلحاد وبعض الأمور التافه الأخرى رغم فاعليتها وفائدتها العظيمة لأنها ببساطة كانت تلغي الله من حياة البشر،فالبشر بذلك صنعوا آله جديدة وقاموا بعبادتها بدلاً من الله حسب رأيهم،فالصحة الجسدية أصبحنا نستمدها من الرياضة واليوجا،الصحة العقلية من الفلسفة والعلوم الغربية،الصحة النفسية والروحية من التأمل والإسقاط النجمي،فأين هوالله وشريعتة الشاملة لجميع جوانب الحياة؟

ولكن قد يسأل أحدكم،"ماذا بوسعي أنا أن أفعل؟ أنا الفرد الضعيف المسحوق تحت (قضاء الله وقدره)،ماذا يمكنني فعله لتغير الحال السيء اليوم،هذا الحال الذي يدفعني للإشمئزاز كلما

رأيته،هل تطلقون على أنفسكم بشرا؟؟،إن حياتكم بأكملها تدور في أربعة أخماسها و أربعة أخماس خمسها الأخير حول الطعام والشراب والشهوة والمال والترفيه وخمس خمسها الأخير حول الفهم المسطح للعلم و الدين والثقافة والفن؟،كيف يمكننا أن نغير هذا الفهم السطحي جداً والوعي المتدني إلى أقصى الحدود المفجعة،قد تستمر بالإعتقاد بأن كل شيء على ما يرام،ولكن هل هو بالفعل كذلك ؟.

في الحقيقة أن التغيير يكمن في هذا الفرد الضعيف والمسحوق،عندما يبدأ هذا الفرد بالإيمان بأنه ليس ضعيفاً وليس مسحوقاً عندها يبدأ الحل ولا ينتهي إلا بتغيير العالم الخارجي بالإقناع أو بالقوة،إذا أردنا أن نحرر الجميع فعلينا أن نحرر أنفسنا أولاً،ولكن مما نتحرر؟،نتحرر من كل وعي متدني و من جميع الخرافات والأوهام،نتحرر من الشك و الشهوات و المشاعر المتدنية،نتحرر من الخوف من الموت والقدر ومن جميع المؤثرات الخارجية الأخرى،نتحرر من المؤكدات التي تزعم أننا لسنا نملك الكفاية و الأدوات اللازمة للتغيير،نتحرر من كل الأفكار القديمة والمعلبة و ننتج أفكارنا الجديدة النابضة بالحياة،نتحرر من التقليد ونبدأ بالتجديد،نتحرر من السطحي و نتوغل في العميق،نعطي لأنفسنا أهدافاً سامية لتحقيقها ونصنع المستقبل بأنفسنا بدلاً من إنتظاره،نثبت لأنفسنا وللآخرين أننا قادرون على فعل الأمر ،عندها فقط تحقق الرؤية....

ماهو التغير؟ ولماذا نريد أن تغير؟

نحن لا يمكن أن نبقى ساكنين على حال،حتى ولو كان يبدو جيداً،نحن يجب أن نتطور ،نتقدم ،وننضج في هذه الحياة،جميعنا حاولنا التغير قبلاً،وجميعنا فشلاً مرارًا وتكراراً ، لماذا؟،نحن عندما نحاول التغير نمارس الضغط بإستخدام وعينا الحسي،كشخص يمتلك عادة سيئة(التدخين مثلاً) ثم أجبره والداه أو زوجته أو رب علمه على التوقف بالتهديد المباشر،عنها يكون التغيير ضعيفاً حيث ينتهز الشخص المستهدف بالتهديد الوقت المناسب لممارسة العادة السيئة في غياب مصادر التهديد،لو إستمع نفس الشخص إلى موعظة دينية ما تهدده بالعذاب إن لم يتوقف عنها، فعندها يقرر أنه يجب التوقف عنها(العادة السيئة)،فيحاول التغير بالإرادة،وكما نعرف فالوعي الإرادي لا يشكل سوى القشرة الخارجية للوعي الحقيقي،فالتغير الذي يحصل سيكون سطحياً،كونه يمارس هذه العادة منذ سنوات فهي في الحقيقة أصبحت لا إرادية أكثر من كونها إرادية،ومجال عملها مختلف عن إسلوب التغير ،فيبقى التغيير ضعيفاً،ثم لو أن نفس الرجل إستمع إلى دراسة علمية تقول أن عادته السيئة مضرة بالصحة وتسبب الوفاة في النهاية، وبالأرقام والإحصاءات أُقنع، فقد يعيد التفكير ثانياً،وبشكل منطقي ،ويصبح له إقتناع شديد بضرورة التغير،ما يلبث ان يتقلص بسبب التقدم في الزمن والنسيان،ثم لو هجرته زوجته أو طرد من عمله بسبب تلك العادة فإن تلك المشاعر السلبية تمتلك عظيم الأثر في إجباره على التخلص منها

نهائياً،وهذا المستوى من التغيير قوي جداً،وغلباً ينجح لكنه يأتي مصحوباً بالتأثير السلبي كون المصيبة قد وقعت بالفعل عندها يصبح إصلاح الأمر أكثر صعوبة(إعادة الزوجة أو العمل)،وفي النهاية لو أن ذلك الرجل لم يتأثر إطلاقاً بجميع ما سلف فإن تجربة الإقتراب من الموت نتيجة الإسراف في هذه العادة هي بوابة التغيير الحقيقة،لأنها تظهر له بكل جلاء مساوءها الحقيقية وأنها قادرة بالفعل على قتله،لكن من الصعب أن نعرض الناس إلى تجارب الإقتراب من الموت فقط ليتغيروا ،ولو أن ذلك الرجل إستمر في التدخين في غرفة العناية المركزة عندها يمكن القول بكل راحة أن هذا الشخص ليس بشراً على الإطلاق و لا بأس من مغادرته لهذا العالم.

وكما نرى فدوافع وأسباب التغير مختلف حسب المكونات البشرية التي تستهدفها بالتالي فالأطفال يفرض عليهم التغير عادة بالتأثير على الجسد من عقوبة تتضمن إيلاماً جسدياً كالضرب المباشر أو أو الحرمان من المال وكلها تخاطب في الأساس "مبدأ اللذة" الذي يسود عقول الأطفال في هذه السن ،الراشدون يخاطبون لاحقاً بنوع شبيه بهذا النوع،(التهديد) فلا يقع الضرر الجسدي إطلاقاً ،ولكن يصور ويمثل في الذهن،ولذا فالفرد (من خلال وصايا أولياء الأمر أو المواعض الدينية) يكتب في ذاته دوافع للتغيير كامنة في الخوف من العقاب المنتظر، ،وليس الرغبة في التغير ذاته،وعند زوال مصدر التهديد لا يعود التغير مؤثراً،نحن في الحقيقة ننشأ خلال حياتنا معتادين على هذا النظام (نظام التهديد) لذا يصبح التغير لاحقا أمراً صعباً جداً،وأحياننا يبدو مستحيلاً،لأننا إعتدنا التغير من الخارج وليس الداخل وهنا المشكلة،الأكثر نضجاً من الناس يخاطبون بالإقناع العقلي وهناك تبدأ العادات أو القناعات الجديدة بالرسوخ في منطقة أعمق في الوعي لتترك أثر أقوى،لكن هذا ليس ضماننا كافياً،لأن تلك القناعة العقلية قد تضيع مع الزمن بالنسيان أو تغير الحقائق التي بنيت عليها تلك القناعات،فيعتمد تأثير التغير على مدى قدرتنا على إبقاء تلك القناعات في عقولنا و موجودة وحاضرة في الواعية (اليقظة) وهناك تتعرض يومياً لعواصف الزمن ورحمة الرغبات و الشهوات،

مكونات الإنسان

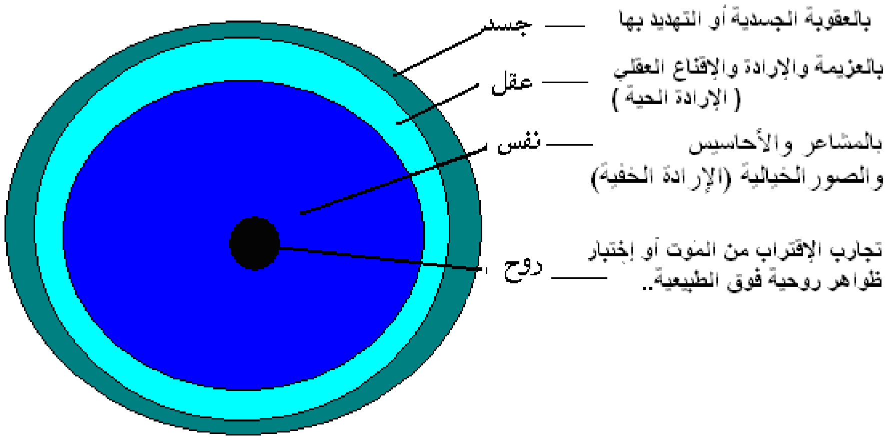

وهناك مستوى أعمق من التغير ينبع عند ملامسة التجربة أو العادة السيئة عالمنا الداخلي فنبدأ بالشعور (بالأذى) حتى لو لم يكن جسدياً وأحياننا نشعر بالأذى الداخلي أشد و أقوى من الأذى الخارجي،كما في حالة الفشل والإخفاق،فمشاعر الهزيمة تتملكنا و تسيطر على عالمنا الداخلي وتقنعنا بأننا هزمنا نهائياً ولن نتمكن من الوقوف و مواجهة الأمر ثانياً.وسيكون من الخطر بالفعل

الإستسلام لتلك المشاعر وتصديقها وعدم التصدي لها،في هذه الحالة أو المستوى يستخدم التنويم المغناطيسي الذاتي أو المعالجة بالتحليل النفسي،والعمل على إفناء المشاعر والأفكار السلبية بإستبدالها بآخرى إيجابية عندها يمكن للفرد الإستمرار بمزاولة حياة طبيعية.

التغيرات الروحية تكون الأقوى عادة،عندما تصل التجربة إلى الحد الذي نشعر معه أنها قد تخرجنا من هذه الأجساد،نشعر عندها بحقائق غير ملموسة وقد نبدأ عندها بإعادة التفكير بكل شيء،يمكن تسميتها "إعادة ولادة" في هذا العالم،بالتأكيد لا يمكننا أن نجرّب الموت متى شئنا،لكن يمكن إختبار الحالات المدهشة من الخروج من الجسد خلال الإسقاط النجمي أوالوعي المتنقل، أو إختبار القدرات الباراسيكولوجية الخاصة بنا،لتحسس العالم اللامرئي وإقناعنا بأن هناك ما ينتظرنا بعد الموت،مما يدفعنا للإستمرار بالعمل والإجتهاد لإستغلال قدراتنا بأفضل طريقة ممكنة.

فالوصفة الصحيحة للتغير تتضمن الجمع بين كل تلك المستويات الخاصة بالتغيير وإتقان أدواتها المختلفة.

الاستيقاظ من الحلم

إن الاستيقاظ بالفعل لا يرتبط بمعرفة أمر ما فالمعرفة غير مفيدة في ذاتها...لأنها لا تغيرنا بل ما يغيرنا بالفعل هو التجربة...القدرة على الوصول إلى أعماق أنفسنا ،فهناك يمكن للإنسان أن يتغير،الوصول إلى النقاء أو الفطرة الصحيحة ليس فقط بتدارس النصوص الدينية وحفظها..وهذا هو الخطأ الذي ارتكبناه،النظر إلى المعرفة على أنها الجوهر،بينما المعرفة هي مجرد قناع،مستوى سطحي للغاية من الوعي،لا فائدة تذكر للمعرفة.. أيّن كان مصدرها ما لم نصل إليها أو نوصلها إلى أعماقنا،الأديان بأكملها مبنية على فطرة داخلية ونهم بشري نحو المعرفة المطلقة،لذلك تغرق العقول بسرعة في تلك النصوص فاقدة بذلك المغزى من التجربة الدينية ككل،لا يمكن للنص الديني أن يخبرك شيئاً روحياً...يمكن أن يطلب إليك أن تكون خاشعاً في دعاءك و لكنه غير قادر على منحك ذلك الخشوع..يمكن له أن يطلب منك محاربة شهواتك ولكنه لا يخبرك كيف...ويمكن أن يطلب إليك أن تفعل كذا ولا تفعل كذا ولكنه لا يخبرك كيف...والكيفية هي التجربة... هي المهمة ...وعندها فالمعرفة لا تساوي شيئاً..،وكل ما تقوم به النصوص الدينية

هي محاولة تذكرة الإنسان بالفطرة التي بداخله،وكما أن الإنسان عندما يتذكر أنه يحلم فإنه يستيقظ داخل الحلم ،فإنه بالمثل يستيقظ في الحياة عندما يدرك جوهره فطرته الداخلية ويتذكر طبيعته الحقيقية،إن التنوير أو الاستيقاظ وهو مهمة فردية بكل ما تعنيه الكلمة 'لا يمكن لأحد أن يمنحك إياه، وكما أنه لا يمكن لأحد أن يدعي بأن له الفصل في تعلمك المشي فبالمثل لا يمكن لأحد أن يدعي بأنه قادر على منحك الإيمان...لأن كل تلك الأمور في صلب الفطرة البشرية يجب أن تجدها بنفسك،فلا يمكن لأحد أن يساعدك على فهم ذاتك أو السيطرة عليها،لهذا تفشل التجمعات في تحقيق أي هدف باطني إذا كان أفرادها عاجزون عن تحقيق ذاتهم أو أنهم يعانون مشاكل داخلية،الوصول إلى الحقائق ومعنى الحياة والسبيل للتحرر الذاتي هي طموح قديم جداً،ولكن شخصية مهمة كان لها أثر كبير في هذا المجال،لقد كان سيذهارتا غوتاما أو ما أطلق عليه لاحقاً "بوذا" أو المتنور شخصاً مختلفاً عن غيره من "الباحثين عن الحقيقة" اليوم البوذية هي الدين الوحيد الذي لم يدعي مؤسسها الإلوهية أو النبوة،ورغم أن البوذية هي دين أرضي إلا أن مذاهبها الأخلاقية هي تكاد تطابق تلك التي أتت بها الأديان السماوية في وقت لاحق،كيف استطاع بوذا أن يصل بشريعته الأرضية إلى ذلك المستوى الرفيع؟ .وفي حين أن أصحاب الديانات السماوية مشغولون في حروبهم الداخلية والخارجية نرى البوذية منعزلة ومسالمة طوال ال٢٥٠٠ عام من ظهورها،كيف يستطيع فرد إيجاد مذهب يحدث كل هذا التأثير في أتباعه بينما يغرق أصحاب الديانات السماوية في الكراهية والحقد لبعضهم...الحروب الصليبية....الحروب المذهبية...نظريات المؤامرة وغيرها...العالم الذي يدين بالمسيحية والإسلام واليهودية هو عالم مليء بالحقد والكره والحروب والفساد لبعضهم البعض...و داخل كل دين سماوي فرق آخرى متناحرة أيضاً..البروتستانت والأرثودكس...الشيعة والسنة...ومئات الفرق الصغيرة الآخرى التي لا تحصى...ورغم أن الديانات السماوية جاءت من مصدر غير بشري وموحد إلا أنها لم تتجسد في الأرض بالشكل المطلوب..فلماذا؟ لقد ركز أصحاب الديانات السماوية على المعرفة...المعرفة هي كل شيء...أنا أعرف أنه هناك آخرة أعرف أنه هناك جنة ونار أعرف أن هناك إله للكون ...أعرف كيف يجب أن يعبد...وأعرف...وأعرف...ثم ماذا؟...ما أعرفه هو مجرد قناع....لذلك يعيش أصحاب الديانات السماوية في كل ذلك الشقاء...بوذا لم يجد معرفة..لقد فصله زمن كبير عن أقرب ديانة أو نبي...فماذا يفعل...لم ينتظر نزول معرفة من السماء أو الأرض بل أدرك أن المعرفة الحقيقة هي المعرفة المخزنة في ذاتنا...والديانات ما جاءت إلا لمساعدتنا في البحث عن ذلك المخزون بداخلنا،وكون ذات الإنسان هي كيان قديم للغاية..أدرك بوذا أن الحقيقة هي موجودة فقط خلف هذا العالم..وعند سبر أعماق نفسيّته تحت شجرة الحكمة..وصل بوذا إلى المفاهيم البسيطة الأولية والتي تشترك فيها جميع الأديان والممل .....ما نسيناه نحن هو أن الدين جاء لتذكرتنا بما في قلوبنا من فطرة...هو لم يأتي بمعرفة ليست موجودة في قلوبنا...لم يأتي الدين ليخبر البشر بأن هناك إله لم يكونوا يعلمون بقراره أنفسهم بأنه موجود...كل البشر يؤمنون بوجود كيان ما خلف هذا العالم يدير شونه...المشكلة الأساسية أننا اختزنّا النصوص بمعناها الحرفي ...أصبحت مجرد كلمات...وفقرات نحفظها...لذا لا تكاد تلامس ذاتنا ولا حتى عقولنا السطحية،وأصبحت النصوص الدينية هي وثائق لنشر الحروب والتكفير و الكراهية،المعرفة يمكن أن نختلف حولها يمكن أن يرى كل شخص شيء من المعرفة و لا يراه الآخر...لأن المعرفة ترتبط بالعقل فقط..والعقل هو أداة للفحص والتمحيص فنحن نتعامل مع الإنسان –العقل فقط...،الفطرة أو المعروفة الداخلية شيء أكثر متانة،التجربة تتعامل مع كل مكونات

الإنسان،الروح والحواس المشاعر والعقل،لذا قد يختلف اثنان في تفسير جملة من النص الديني،لكن من المستحيل أن يختلف اثنان في جمال زرقة السماء،التجربة تصدمنا،ترينا الحقيقة التامة،بل في الحقيقة هي تخلق إنسان جديد داخل الإنسان القديم...

داخل الحلم

لقد راودني حلم...حلم كان واقعياً جداً إلى درجة أنني بدأت أتسائل عن المعنى الحقيقي للواقعية،لقد رأيت في الحرب أناس يحاولون الهرب في كل اتجاه،الجميع يستوليهم الفزع والخوف،ويمكنني القول أن أغلبهم كان يظن بأنه هالك لا محالة،ورغم أن المشاعر والمخاوف التي في قلوبهم لن تغير بالفعل مسار القذائف والقنابل الموجه نحوهم...إلا أنهم واصلوا العيش ضمن تلك الفقاعة العقلية التي تعزلهم عن الواقع،فعندما تصبح الرغبة في البقاء هي هدف بحد ذاته فالحياة تفقد معناها لأن مصيرنا في النهاية هو الموت ،لا يهم حقاً ما سنفعله لمنع حدوث الأمر ..في النهاية سنموت دائماً،الفرق أن البعض يرى الموت نهاية الطريق،والبعض الآخر يعرف أن الموت هو فقط بوابة لمستوى آخر من الوجود،وفي الحقيقة فهو مستوى لن يخشوا من الموت بعده،فالموت ليس شيئاً يستحق الخوف والرعب لهذه الدرجة،بل هو شيء يجب أن نستقبله بالورود والترحاب كونه سيخلصنا من عذابنا الداخلي،لا يعني ذلك أن نبحث عن الموت في كل الاتجاهات ولكن ما أقصده هو التخلص من مشاعر الخوف اتجاه الموت، لقد مت مرات عديدة خلال حياتك،مت عندما لم تنجح في مواجهة مخاوفك ،مت عندما أخفقت في مجابهة رغباتك،و مت عندما لم تستطع إنقاذ صديق،مت عندما لم تستطع مصارحة الله،كما أنك مت مرات عديدة عندما كدت أن تفقد الأمل...لذا لن يعني الموت الكثير بالنسبة إليك،والحياة لم تعد تقاس بالمدة التي قد تتمكن بها من البقاء في هذا العالم بل بالمقدار الذي قد تبلغه في تقدمك الشخصي.

أنت لن تصل إلى الأعلى إذا كنت تخشى السقوط،وأنت لن تحقق التنوير والخلاص إذا كنت تخشى الموت،لأن الاستيقاظ والتنوير هو الموت بعينه،هو موت شخصيتك القديمة وولادة شخصية جديدة،فقط عندما نتغلب على مشاعرنا وأنانيتنا ومخاوفنا نحقق الخلاص والولادة الجديدة،لكن كيف نفعل ذلك؟

لقد حاول الكثير فعل الأمر...لقد أرادوا الاستيقاظ... لقد أرادوا أن يصبحوا صادقين مع أنفسهم، ومن أراد أن يصبح صادقاً مع نفسه،فعليه أن ينتقل من مجال المعرفة إلى مجال التجربة،علينا الانتقال من التصور والاعتقاد إلى الممارسة والتدريب،إن الألم والشقاء في هذه الحياة منبعها الأساسي هي الشهوات، وهي إن غلبت المرىء أدت إلى هلاكه،المشاعر والمخاوف منبعها أعماق النفس لذا عليك الوصول إلى هناك إذا أردت مواجهتها،إذا أمكننا السيطرة على ذلك المستوى من الوعي فنحن لن نتألم بعد ذلك لأننا نصبح قادرين على إطفاء الشهوة و الفكرة حتى قبل أن تتكون،ندخل إلى ما قبل الفكرة وما قبل الإحساس إلى ما قبل وقبل ذلك إلى السطح الهامد للوعي في أعمق أعماق الذات ما يمكن تسميته "العدم اللامتناهي"،وكل إنسان نظرياً قادر على الوصول إلى ذلك البعد في الذات ولكن سنرى كم هي الأمور التافهة التي تردع الناس عن بلوغ هذا الهدف وتدفعهم إلى الفشل مراراً وتكراراً.

عندما تكون غارقاً في الحلم...فأنت لا تعرف ما الذي تفعله...أنت لا تدري من أنت؟ وماذا تريد؟ بل تهيم على وجهك في ذلك العالم...في الحياة الأمر مشابه...إن المعرفة حتى لو كانت صادقة فهي لا تحقق التنوير الحقيقي، يمكنك أن تحفظ ما تشاء منها وستبقى في مكانك،الإنسان القديم هو ذاته لم يتغير...فقط ملء عقله بمعرفة ما أو فلسفة...وبينما الأنبياء والمرسلين لم يكونوا قط أصحاب علوم ومعارف بل كانوا في معظمهم لا يجيدون القراءة و لا الكتابة...فإن أتباعهم يعتقدون بالفعل بأن ملء عقولهم بالمعرفة سيوصلهم إلى طريق الخلاص،لقد كانت حياة الأنبياء بسيطة ولا تتعلق حقاً بالقدر الذي يعرفونه بل بالقدر الذي يفعلونه....الارتقاء في الإيمان إن كان مسألة معرفية فقط، فلما لا يرتقي البشر بها اليوم؟،إن حجم المعرفة الدينية المتوفرة في هذا العصر يفوق بأضعاف ما كان متوفراً في العهود القديمة ولكن عقول البشر لازالت غارقة في الظلمات،نحن في عصر مشابه لعصر بوذا حيث انقطاع طويل للرسالة السماوية المتمثلة بالرسل والأنبياء والمعجزات...وكل ما تبقى لنا هو مجموعة من الأخبار و النصوص المكتوبة والممارسات التي تم التركيز على حفظها...بعيداً كل البعد عن الجوهر الروحي ورائها،وهل أنزل الله رسالته السماوية لنقيم مسابقة في "الحفظ والتلقين"؟،نحن لا نسقط الكتابات الدينية في ذاتنا لذا نبقى فاسدين من الداخل،وحتى عندما نعقل الكتابات الدينية فحن في الحقيقة نبقيها ضمن المستوى الذي دخلت إليه ...المستوى السطحي...لهذا يسود الكره والحقد لأن كل شخص يحب أن يمتلك هو الطريق الصحيح ليبقى الآخرون مجرد مسوخ يجب التخلص منها،فهذه طبيعة العقل يجب أن تكون هناك نتيجة عقلية واحدة هي الصحيحة ويجب استبعاد الباقية،نحن من اصطفانا الله والباقون يجب أن يهلكوا بكل بساطة..لذا يبقى الحقد ولذا تبقى الكراهية وروح الانتقام...حتى بين من ينشدون التنوير والخلاص.

إن الهدف الحقيقي من الحياة هو الخلاص،إن الله لم يخلقك لكي تحكم على أفعال الآخرين بل لتحكم على أفعالك،فالخلاص هو مهمة فردية،إن أمكنك أن تنظر إلى نفسك مجردة من كل شيء،من الأفراد حولك ومن ظلالهم ...من المال والثروة والشهرة...من المادة و من كل شيء آخر يمكنك الوصول إليه بحواسك أو عقلك،فإنك تنفصل عن هذا الكون،وتشعر بالوحدة حتى وأنت محاط بمليارات البشر على سطح هذا الكوكب،فأنت تنظر إلى نفسك كما هي وحيدة..ضعيفة و محتاجه...تدرك عجزك الحقيقي وتعرف عندها كم أنت محتاج إلى هذا المصدر اللانهائي من المعرفة والقوة،إن الخلاص الذاتي يعني النقاء و المحبة والقدرة على المسامحة،مسامحة نفسك ومسامحة الآخرين،النقاء البشري مرتبط أيضاً بمواجهة الشهوات،لأن الفرق الجوهري بين البشر والملائكة هي الشهوة،فالإنسان أيضاً يمتلك تلك الطبيعة الروحية النقية ولكنها مدفونة تحت كم هائل من الشهوات و الغرائز والمشاعر المظلمة،جميع تلك الرغبات والغرائز مرتبط بالطبيعة المادية،فيمكن أن نتصور الحياة البشرية كصراع بين النزعة المادية وتلك الروحية،بين الغرائز وبين الرغبة في الخلاص والتحرر،وكلّما تحررنا أكثر من الغرائز والمادية و ارتباطنا بطبيعتنا الروحية فإننا نتحرر بعيداً عن الألم،لذلك نقرأ عن قوة الإرادة الهائلة لدى المؤمنين الأوائل عندما كانوا يعذّبون في سبيل تخليهم عن معتقداتهم الذاتية،لم يكونوا يستطيعون تحمل الألم لأنهم بشر "فوق العادة" بل لأن الألم لديهم لم يعد الألم المرتبط بالطبيعة المادية،الألم الحقيقي كان بالنسبة لهم ابتعادهم وتخليهم عن طريق خلاصهم،لقد حققوا خلاص

ذاتهم من الطبيعة المادية لذا فالألم أو الجوع أو الموت لم يعد شيئاً مهماً بالفعل' عندما تدفع حواسك وعقلك بعيداً إلى أقصى الحدود فإن العالم من حولك يتغير لأنه بالفعل يدفع نحو حدوده القصوى أيضاً،عندها تدرك أن ذلك الكون لا يتحرك بالفعل بل من يتحرك هو أنت،إن التأمل يعني الموت،وإن الموت هو البوابة التي نعبر بها إلى ما وراء هذا العالم ..إلى ما وراء الزمن وما وراء الطبيعة....عندها يمكننا الاتصال بالمصدر الحقيقي للمعرفة...الفطرة الداخلية.

عندما نستيقظ من الحلم

الحلم هو حالة من غياب الوعي بالحقيقة،وهم تام،نحن أثناء الحلم لا نعرف بأننا نحلم لذا يتفاعل الدماغ مع الحلم وكأنه حقيقي تماماً، و هذا يظهر خلال الحركة السريعة للعينين أثناء الدخول في مرحلة النوم العميق،إذا كان الدماغ يخدع بهذا الشكل البسيط من انتقال الوعي فكيف نعرف حقاً بأننا في اليقظة ضمن المستوى المطلوب من الوعي للحكم على واقعية الأشياء؟،ماذا نفعل إذا كان الحلم واقعياً جداً إلى درجة أننا لا نستطيع تحديد ما إذا كنا نحلم بالفعل؟،ما نجهله حقاً هو أننا نعيش في حلم حقيقي تماماً،في الحلم لا نعلم كيف يبدأ بل نجد أنفسنا في المنتصف وفي الحياة أيضاً لا نعي بالفعل المراحل الأولى لحياتنا بل يتفتح وعينا تدريجياً خلال مراحل النمو،عندما نموت في الحلم نستيقظ وأيضاً عندما نموت في الحياة نستيقظ،يقول علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) "الناس نيام فإذا ما ماتو أنتبهوا"،ما نحتاجه بالفعل هو إعادة التعريفات الأساسية ،فما هو الشيء الحقيقي بالنسبة إليك،هل هو شيء تستطيع رؤيته لمسه تذوقه أو حتى شمه؟،نحن في المنام نستطيع أنا نرى نشم أو حتى نتذوق و نتألم ونفرح ،إن مفهوم الواقعية والحقيقة مفهوم مغلوط إذا اسند إلى الحواس البشرية وبما أن المعرفة البشرية المتراكمة على هذه الأرض بنيت بأكملها على اختبارات بالمؤثرات الحسية،فمن الصعب بالفعل وصف العالم بأنه "حقيقي تماماً" دون أدنى تساؤل أو شك،ببساطة لا يوجد أحد يطرح هذا السؤال لأنه يبدو سخيفاً،بالطبع فالحلم في "الواقع" يختلف عن الحلم في المنام،لأن من يحلم حقاً في هذه الحالة لا يعلم أنه يحلم،بل يقتنع أن ما يراه يسمعه أو يشمه هو الحقيقة الأزلية الخالدة، ،بينما الحقيقة أنه ليس أزلي وليس خالد، وصحيح أننا قد نمتلك "معرفة" واعية بأن الشيء زائل كقناعة فلسفية ولكن أجسادنا لا تتصرف على هذا الأساس لأنها في الحقيقة تتفاعل مع المؤثرات اللاواعية للهدف،فنحن في الواقع كائنات تعيش خلال بعدين ،البعد الواعي بكل ما في من فلسفات وتصنيفات وإقتناعات شخصية والبعد اللاوعي الذي يصور الحقيقة التي نحن عليها،فلا يهم حقاً ما نصف به أنفسنا،بل الأمر يرتبط بوصف كم نحن صادقون حيال ما نحن عليه في الأصل،تخبرنا البرمجة العصبية أن الحواس تشوه الحقيقة القادمة من العالم الخارجي وهذا صحيح،لذا تختلف الآراء والأفكار والمذاهب لأن الجميع يرى أو يسمع أو يشم بشكل مختلف لذا فطبيعة الهدف تصبح رهينة بهذه العوامل و ينتزع منها المراقبون ما يستطيعون،تخيل معي عملاقاً ضخماً طلب إليه قومه أن يتطلع على مجموعتنا الشمسية والتي سمعوا عنها مؤخراً،عندما يقترب عملاق بهذا الحجم وهذه الكتلة الهائلة من نظاماً الشمسي فإن أول ما سيحدث هو اضطراب ترتيب الكواكب وتبعثرها هنا وهنا فما كان يبقي النظام متماسكاً هو الجاذبية الناشئة عن كتلة الشمس إن كتل أخرى موازية تقترب تعمل على فك

الروابط فالعملاق عندما أتى لم يرى ما كان يسمى بال"مجموعة الشمسية"،وباختصار فإن الحقيقية تغيرت أو تبدلت لدى رغبة العمالقة في الاضطلاع عليها،في عالمنا "الواقعي" تحوي أعماق الذرة جزيئات مشابه تتأثر تماماً باقتراب المراقبين نحوها،نجد هذا المفهوم الخاص ب"الحقيقية النسبية" لدى علماء الكم والحكماء في الهند القديمة،النظام يبقى نقياً بالفعل ما لم نشوه و نطّلع عليه، فالحقيقة كما قلنا تنتقص بالإطلاع عليها سواء بالحواس الناقصة أو العقل المنطقي، إن يفعله المراقبون بالفعل هو تشويه الحقيقة ليس تحديدها،فما يأخذونه هو فقط جزء منها،وليس الحقيقة الكاملة،الحقائق الكاملة هي الأشياء التي لا توصف بالعقل أو الحواس ولا يمكن الإطّلاع عليها بشرياً ، لذا فالحقيقة تنقسم إلى قسمين ،قسم أصيل ونقي وآخر مشوه ،الحقائق الأصيلة هي التي لا تستطيع الحواس أو العقول الوصول إليها،لذا فوجود الله حقيقي تماماً لأنه لا يدرك بالحواس أو العقل،والروح والعالم الغيبي بأكمله موجود وحقيقي تماماً لأنه بعيد كل البعد عن متناول العلوم و التكنولوجيا الحديثة،والحقيقية المشوهة هي كل شيء آخر،هي وهم زائل،المعرفة البشرية،الخبرة والحياة،المشاعر والأحاسيس،النقص والإكمال والتوازن والعدم وغيرها،لذا عدم القدرة على إدراك الشيء بالحواس أو العقل دليل على وجوده وليس العكس،فالفراغ والعدم رغم أننا نصف به "عدم الوجود"إلا أنه موجود بالفعل لأنه فكرة داخل عقولنا استطعنا الإشارة إليها ووصفها وتحديدها،وخضعت لمشوهات الحس والعقل،و من المحبط حقا أن نعلم بأن المعرفة النقية هي وحدها التي لا تعرف،هي أشبه بجوهرة تبقى ناصعة وجميلة إلى أن تشوهها يد السارق،ومن حسن الحظ أن بقاءنا أحياء لا يعتمد على الحقائق النقية لكن المشكلة التي بدأت تطفو على السطح هي أننا اعتقدنا بأن المشوه من الحقائق نقي والعكس بالعكس،ومن هذه الاعتقادات نشأت الأوهام التي في النهاية صنعت هذا العالم،وهذه الأوهام العديدة جعلت حياتنا مرهونة بفهم وإعادة إدراك الحقائق من جديد.

إن الأفكار التي في عقولنا تشوه الحقيقية وتجعلها معقدة وكأن التشويه الناتج عن الحواس ليس كافياً،ما هي المعرفة الحقيقية؟،إن سألت ما هو الضوء،يمكنك الإجابة بالعديد من الكلمات والعبارات وغيرها من"المعرفة المعلبة" هي لا تعبّر عن جوهر الحقيقة بقدر ما تعبر عن حاجة عقلية للأمان ،أنت تبقى كما أنت لا تتغير إطلاقاً فقط تكتسب هذا القناع الخارجي الخاص بالمعرفة، ومن الداخل أنت نفس الشخص القديم الذي يجهل ماهية السؤال ،الخبرة البشرية قد تثبت الحقيقة أكثر من المعرفة،أنت لن تعرف مشاعر الشاعر الحقيقية فقط بقراءة شعره،بل يجب أن تخوض التجربة الشعورية ،التجربة تغيرك من الداخل ،الإنسان السابق يموت ويولد إنسان جديد صاحب تجربة،لذا وحده الشخص الأعمى قد يخبرك فعلاً بماهية الضوء،لكن هذا ليس كافياً لوصف الحقائق المطلقة فالتجربة تبقى ضمن محددات و عوامل مؤثرة محدودة،ولا يمكن إطلاقاً معرفة الموقع الدقيق لسقوط القذيفة الثانية من المدفع فقط بمراقبة القذيفة الأولى،هناك دائماً ما يشبه "هامش الخطأ"،فلدينا هنا معضلة،عندما لا تحتك حقاً بالشيء تعرف ما يعنيه وجوده من غيابه ،وإذا أردت الاحتكاك به فستفقد القدرة على إعطاء حكم عادل عن طبيعته، كون هذا الحكم سيخضع للمشوهات الحسية والعقلية والنظام بأكمله سوف يتشوه،فالسؤال هنا ليس "هل هو حقيقي أم لا "فهذا قياس خاطئ بل السؤال الصحيح "كيف أصبح هذا حقيقيا؟" لأن ما جعله حقيقي هي الحواس والعقل،لو أن الحواس لم تلتقطه أو العقل لم يستطع فهم تعقيده فلن يكون حقيقياً،لذا فالذين يذكروننا بمدى ضعفنا كبشر وحاجتنا إلى الله للوصول إلى الحقيقة صادقون بالفعل،فنحن كبشر لا نستطيع تحديد ما هو الحقيقي تماماً،العلماء يصفون الظواهر في الكون و

لكن لا يخبروننا حقاً ما هو هذا الكون ولماذا هو موجود وماذا يوجد خارجه،إذا ما الفرق بينهم وبين من يصف حلماً ما؟،و علماء الكم بدءوا يستوعبون هذه المشكلة،العقول في حالة سبات لا تستيقظ بسهولة،بل تبقى ضمن المؤثرات اللاوعي،الناس يريدون شيئاً بوعيهم و اللاوعية تبقى هي المسيطرة عليهم في النهاية فيختارون ما لا يريدون،وهذا حسب رأي الصراع الحقيقي في الإنسان،الإنسان هو حلقة الوصل بين ما هو مادي وما هو غير مادي،الوعي ولاوعي،وفي الحقيقة فالمادة ما هي إلا مستوى من الوجود،الحياة بأكملها تتضمن تفاعل ما بين الوعي و اللاوعي،في الحلم نحن لا نفكر كثيراً بما نفعله ونحن بعد أن نستيقظ نواصل السير بنفس الطريقة،وهذا ما نقصده ب"الحلم في الواقع" حيث نعيش معظم حياتنا بطريقة لاواعي،نحن لا نعرف لماذا نفعل الأشياء بتلك الطريقة بل نكتفي فقط بفعلها،وهذه نوع من البرمجة الجماعية كتبت على البشرية فقط لأن ذلك يزيد الإنتاج،لكننا بذلك نغفل أشياء عديدة،فالحلم الذي نعيشه في الواقع يحاول باستمرار أن يجذبنا بعيداً عن الحقيقة،أو يغرقنا بما يمكن تسميته "دوامة مفرغة" حيث تصبح الغاية هي الوسيلة والطريقة وكل شيء،وهذه طبيعة في الدماغ حيث تستحوذ الفكرة على عقولنا فلا ندرك بالفعل أن عقولنا أصبحت متمسكةً بها إلى الدرجة التي تمنعنا من فهمها،أهداف ك"تحقيق الذات" أو "معرفة الحقيقة" كلها تصبح مثل مناطق عديمة الفائدة في التفكير،لأن العقل متمسكة بآخر شيء يعرفه لذا فهو في الحقيقة لا يريد أن نجيب على الأسئلة السابقة بل يبقينا نفكر ونفكر في حلقات مفرغة،نحن نفعل ذلك أو العقل يقوم بفعل ذلك لأننا نبقي عقولنا ضمن المستوى المادي المحض وهذه هي المشكلة،نحن لا ننظر إلى ما بعد المادة،حتى ولو كنا نؤمن بشيء من اللامادية في الخارج فنحن بشكل "لاواعي"نستمر في التفكير المادي والتفاعل مع المادة بشكل مطلق، أي نستمر في الحياة ضمن الحلم،عندما تصبح المادية هي الواقع بالنسبة لنا ،فنحن نفقد جزءاً كبيراً وفي الحقيقة الجزء الأكبر من طبيعتنا البشرية، نحن عندما ننظر إلى الأمر من الزاوية البشرية البسيطة نحاول دائماً وضع القوانين والنظريات والتصورات لمفهوم الواقعية قبل الخوض في بحث الأمور المجهولة،ولكن هناك مشكلة جوهرية نغفلها،ماذا لو كانت تلك العينات التي نقوم بدراستها تقع بالفعل خارج الحدود التي وضعناها لمفهوم الواقعية المبني حسب الخبرة البشرية السابقة؟،لن نتمكن عندها إطلاقاً من رؤية تلك العينات لأننا سبق أن ألقيناها خارج المختبر ثم ننظر إلى المجهر ونقول ببلادة "لا يوجد شيء هنا!"،تناول الناس للقضايا الفلسفية أو الغيبية شبيه بهذا الأمر، لقد اكتشفت الخافية الخاصة بالوعي أو "اللاوعي" علي يد سيجموند فرويد حيث لم يتصور شخص أن جزء من الوعي لا نعلمه أو لا نتمكن من السيطرة عليه موجود،العلوم والتصورات حول الكون شيء مشابه،فالبعض يتصور أنه لا يمكن إطلاقاً وجود شيء لا يمكن لنا فهمه بواعيتنا وأن العالم الخفي هو مجرد خرافة لا أكثر،والحقيقة أن اللاوعي أو الخافية يشكل معظم التفاعلات الكلية ويقوم بمعظم المجهود الحقيقي،وهكذا هو الحال بالنسبة إلى كوننا حيث أن ٨٠% من هذا الكون هو خفي وغير مرئي،هو عبارة عن طاقة،لا يمكننا ببساطة القول :حسنناً إنه غير موجود،لأن "غير الموجود" الآن يشكل معظم الوجود،عندما تتكاثف التساؤلات والحيرة حول ما هو مجهول والرغبة في نقله إلى المعرفة الظاهرة ينشأ هذا الصراع أو العقدة،فحتى المؤمنين بأن شيء ما سيبقى غيبياً إلى الأبد قد بدأ بالظهور الواضح وأصبح شيئاً مفهوماً بشكل ما،فإن الطاقة الإيمانية التي كانوا يكتسبونها من بقاء ذلك الشيء غيبياً تذهب هباءً مع الرياح،فيبقى لديهم خياران إما أن يبقوا في نوع من الغيبوبة(وهذه الحالة الشائعة التي تسود معظمهم) وإما أن يبحثوا عن أمر غيبي أعمق داخل

الشيء المكتشف عندها يمكن أن يعمقوا اليقين الخاص بهم وهم بذلك يفترض أن العالم أصبح أعمق مما كانوا يتصورنه،وأعتقد أن الأشخاص الذين يرغبون حقاً بالإبقاء على اليقين في ذاتهم عليهم تجاوز هذه الغيبوبة والصراع الداخلي الخاص بالحقائق العلمية أو الدينية والبدء في الاكتشاف نحو عالم جديد وأكثر قرباً من الحقيقة ،والإيمان بالفعل بأن الإله الموجود في التصور القديم للعالم هو ذاته الموجود في التصور الحديث له،وإن الوعي بجزء من مما تصورناه خافية العالم لا يعني بالضرورة أننا أصبحنا نعرف العالم تماماً،البقاء في العالم دون إيمان ممكن ولكنه مدمر ،والعيش في الإيمان دون العالم ممكن أيضاً وفي نفس الوقت مدمر بشكل كامل،كلما تعلمت كلما أصحبت قادراً على رؤية المزيد،وإذا أصبحت قادراً على الرؤية بالوضوح الكافي فقد ترى الوهم الذي يعيشه معظم الأفراد،المفهوم القائل بالمادية،الانفصال،طبيعة الوعي و طبيعة الكون، هذه هي في المشكلة في النقاشات الفلسفية ،إنها كاذبة وغير مفيدة،هي أقنعة لإسكات العقل،الفلسفة التي لا تعجبك تستبدلها بغيرها،ولذا فمعاني بسيطة كالوعي مثلاً، محتوى داخل ذاتنا ،يصعب علينا الوصول إلى جوهره ،لأننا ببساطة نتبع الأساليب التي نستخدمها في اكتشاف العالم الخارجي ونسقطها كهذا على العالم الداخلي ونتوقع لوهلة أن كل شيء سيكون على ما يرام،هذا يشبه تساؤل علماء البيولوجي لماذا لا تتمكن الكائنات المستنسخة من البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة؟،الخلل الرئيسي هو في نظرتهم المادية للكائن الحي،الفلسفة والعلم يتعامل مع العقل فقط،فيفترضون أن إضافة المزيد من العقاقير أو الهرمون أو أن علاج خطأ حسابي ما وقع أثناء العلمية سيحل المسألة،فخطأهم هو أنهم لا يفهمون حقيقة الطبيعة وما هي عليه،وعندما يحاولون تحويل هذه الطبيعة إلى شيء كالآلة أو المنطق فإنهم مخطئون بالتأكيد وبالتالي فتنبؤهم بالتفاعلات القادمة هو يشبه رواية نكته سخيفة في تجمع علمي محترم،القدرة على التنبؤ بسلوك الطبيعة هي مشكلة بحد ذاتها لأنها لا تعني بالفعل بأننا نفهم طبيعة الأشياء أكثر من كوننا نعرف كيف كانت تتصرف في الماضي فقط،وجميع الأحداث المؤثر في التاريخ البشري حصلت فجأة ودون توقع سابق،وهي كالبجعات السود Black Swan كما يصفها نسيم طالب (مفكر أمريكي من أصل لبناني)،وهذا أيضاً يظهر في مبدأ اللاتوقع الخاص بميكانيكا الكم،فنحن أمام "حلم" مادي تماماً وواقعي،فالإستيقاظ لا يتم بالوعي،ليس مطلوباً من شخص ما ليستيقظ أن يقول "حسنناً هذا العالم ليس مادياً بأكمله"،وليس مطلوباً منه الحصول على "إدعاء إيماني"،الإستيقاظ الحقيقي يكمن في جعل اللاوعي يدرك هذه الحقيقة الخاصة بالعالم،فيمكن أن تسميه سباتاً روحياً إذا أردت،لقد نلنا ما يكفي من الوعي،لقد نلنا ما يكفي من الفيزياء الطبيعية والتكنولوجيا الرقمية والتي أوهمتنا لفترة طويلة بأن حقيقة الكون متعلقة فقط بمسألة الدقة "الصفر السادس"،في حين أن الحقيقة الكاملة هي في القفز فوق كل المبادئ والصور القديمة المبنية وفق المنهجية المادية الصدئة،القفز إلى اللاوعي حيث الواقع الحقيقي،لقد جعلتنا التصورات المادية نشعر بأن الكون مكان مغلق حيث لو سافرنا إلى أقاصيه سنرتطم في النهاية بحاجز ما ونقول "حسننا هذه هي حدود الكون"،ولكن هذا لن يحصل بالتأكيد بل سنستمر في السؤال "ماذا يوجد خلف ذلك الشيء،والتساؤل هنا سيستمر إلى الأبد،فالمعرفة في الحقيقة ليست محدودة،ليس لأنها كذلك بل لأن العقل عالق ضمن "دوامة" أو حلم،لذلك تبقى الأسئلة موجودة لأنها تولد أسئلة جديدة كل مرة ،تلك الأسئلة الفلسفية الخاصة بأزلية الوجود أو كيفية التكوين وطبيعة الزمن والمكان ،وعلاقة الإنسان بالكون وما بعد الموت وغيرها مازال البشر يتساءلون عنها حتى اليوم،المعرفة بحد ذاتها ليست ذات قيمة إن لم تجعلنا نتغير بشكل ما، أو عندما لا تساعدنا على الاستيقاظ،فالتغير مرتبط

باللاوعي،فالمطلوب هنا حقاً هو التحكم باللاوعي،وهناك من أعماق اللاوعي تنشأ الحقائق الأساسية التي ترسم الخطوط العريضة لحقيقة العالم،الحقائق التي يجب أن نتطلع عليها لنتمكن من الاستيقاظ الحقيقي،عندما نستيقظ نعيش الجزء الأكبر من حياتنا بشكل واعي،نجيد تحديد مفهوم الحياة والهدف منها،إنها أشبه ب"وقفة تأملية" خضع لها جميع الأنبياء والحكماء والمتنورين،عندها استيقظوا جميعاً قبل الموت.

المسرح الزمني وقانون الجذب

ما يصطلح على تسميته "السر" أو قانون الجذب هو عبارة عن افتراض أن ما يجول في عقولنا من أفكار ومشاعر أو توقع للمستقبل يمكن أن يكون له التأثير فعليً على مجرى الأحداث في حياتنا اليومية،وقد يبدو الأمر سخيفاً للوهلة الأولى حيث تصبح الأفكار الإيجابية "كلمات سر" تحول مجرى الأمور في حياتنا وتساعدنا على جذب الأمور الإيجابية المشابه لها كالثروة والسلطة والمكانة الإجتماعية..إلخ،هل بالفعل تمتلك الفكرة قدرة على التأثير على مجرى الزمن؟ وكيف يحدث هذا؟ وإن تم إثبات أنه بالفعل نستطيع التأثير على مجرى الأحداث الزمنية ،فأي دور يلعبه هذا المؤثر في صناعة حياتنا ومستقبلنا؟ وما هو مفهوم القدر بناءاً على هذه التصورات الجديدة والقديمة في نفس الوقت؟،حقاً من المفارقات العجيبة أنه حتى أكثر الأفكار سخافة هي بالفعل التي تكشف الثغرات الحقيقة في المعرفة والعلم،كيف نستطيع أن نفهم الحقيقة؟،لا يهم حقاً كم يتحدث الجميع عن مفهومها و كأنها شيء يستطيعون وصفه،لا يهم كم تستطيع أن ترى وكم تمتلك من المعرفة،وفي الحقيقة فالمعرفة عديمة القيمة إن لم توصل وعيك إلى مكان مختلف،إنهم الأشخاص المتفوقون الذين يستطيعون النظر إلى الكون ليس كما ينظر إليه البسطاء،وحدهم هؤلاء الذين يفهمون الوجود كحلقة مستمرة من الطاقة يستطيعون فهم قانون كقانون الجذب،الأكثرية غير المحظوظة والتي لا تزال تؤمن بمفاهيم الخبرة البشرية البدائية لن تتمكن على الأرجح من رؤية الأمر،تحدثنا خلال الموضوعات السابقة عن مبدأ الشك،وقصور مفهوم التجربة البشرية،تحدثنا عن بعض المفاهيم الأساسية للعلم وكيف أنها بالفعل مبنية على "إفتراضات" لا يعلم أحد على وجه التأكيد مدى صحتها،لذا من المضحك النظر إلى من يستخدم العلم كمقياس مطلق للوجود في حين أن أساسيات العلم ليست مطلقة في وجودها،لقد تحدثنا أيضاً عن الواقعية و مفهومها و مدى نسبيتها،وكيف يخدع البشر بها و كيف يسيؤون إستخدامها دائماً،لقد رأينا التشويش في ميكانيكا الكم واللايقين حيث تركنا الأمر تائهين لفترة طويلة،لقد تعلمنا بعض المفاهيم الأساسية في الخبرة البشرية التي نستقيها من الفلسفة والدين وعلم النفس،بالإضافة إلى ذلك فلقد تعلمنا المزيد عن الكون وطبيعته و مكوناته،تعلمنا بعض الأشياء المفيدة عن الوقت ،الأبعاد والطاقة،والآن نحن بحاجة إلى الخوض ليس في تقرير مدى صحة القوانين الطبيعية بل رؤية ما وراء تلك القوانين وفهم التفاعلات الكونية بشكل مختلف عما

سبق،وحدها تلك الطريقة في التحليل قد تساعد في حل المعضلات العلمية وقد تساعد في النهاية في فهم الحقيقة كشيء مجرد.

ما هو الزمن؟ وأين يقع المستقبل؟

كيف نفهم الزمن والقانون الخاص بالجذب بصورة ثورية،عندما يكرر أصحاب النظرية الخاصة بالجذب القول بأنهم لا يعلمون حقاً كيف يعمل هذا الشيء فإنهم ببساطة يخفون حقيقة مؤلمة،لذا أعتقد أن المسألة بأكملها تقع في النظرة الخاطئة للمستقبل والزمن بشكل عام،المستقبل هو حسب تصورنا امتداد أمامي للزمن،لكن ما هو الزمن حقاً؟ الحاضر والماضي والمستقبل؟،ما نفعله في الحقيقة بهذا الأسلوب هو تصنيف الأحداث بالنسبة لنا،المفاهيم التقليدية للزمن تغيرت بشكل كبير خلال الألفي سنة السابقة ومن حسن الحظ أننا لم نهدر كل ذلك الوقت الثمين لفهم طبيعة الكون والحقيقة،لقد تعرض مفهوم الزمن للفحص و إعادة التشكيل مئات المرات،لكن هل جميعنا يفهم ما تعنيه النظرة المجردة للزمن؟،ما نتعلمه اليوم من النسبية العامة يخبرنا ان هناك هذا الإتباط الواضح بين طبيعة الزمن والسرعة بالإضافة للإلتصاق الواضح بين الزمن والمكان،لكن نظرتي إلى المستقبل من الناحية الفلسفية تعرضت إلى صدمتين الأولى تكمن في أنه "لا وجود فعلي لشيء اسمه الزمن"،وهذه الفكرة وليدت النظرية النسبية العامة لأينشتاين مع قليل من التطرف والخيال،فالماضي والحاضر والمستقبل كلها أمور نسبية،وليس هذا المكان المناسب لنشرح النظرية بأكملها،و لكن يمكنني أن أوضح لك الأمر بتشبيه بسيط ،تخيل ساعة حائط أمامك،إذا كانت حركة عقارب الساعة هي ما يعطيك الانطباع بتحرك شيء إسمه الزمن،فإن المسألة برمتها تعتمد على وصول الضوء بعد انعكاسه من عقارب الساعة إلى عينيك وهذه العملية تتم بجزي من الثانية،أي أن وقت الذي تراه عند النظر إلى ساعتك متأخر جزء من المائة وربما من الألف من الثانية عن الوقت الحقيقي وهو الوقت الذي استغرقه الضوء في الانعكاس عن عقارب الساعة إلى عينيك ثم المعالجة الدماغية التي أرسلت لك رسالة بعد نحو ٠.١ ثانية لتعطيك انطباع أن الوقت هو الثالثة و النصف مساءاً،بينما هو في الحقيقية الثلاثة والنصف مساءاً زائد ٠.١ ثانية،هذا فارق تافه على مقياسنا الأرضي لكن في مقياس الكون نلاحظه بشكل أكبر وأوسع فأشعة الشمس تأخذ نحو دقائق للوصول إلينا أي أن الشمس التي نراها هي الشمس الموجودة قبل ٨ دقائق كاملة،بمعنى أن الشمس لو انطفأت فنحن بحاجة إلى ٨ دقائق آخرى حتى ندرك هذه الحقيقة،النجوم في السماء يصل ضوئها إلينا بعد ملايين السنين،فمواقعها الحالية ليست حقيقية بل إن بعضها فني منذ آلاف أو ربما ملايين السنين ولن نعرف الأمر إلا خلال الملايين القادمة من السنين الأخرى حتى يصل الضوء إلينا فنعرف الحقيقة!،الآن ماذا لو تحركت بعيداً عن الساعة بسرعة عالية جدا، سيستغرق الضوء وقت أطول للوصول إلى عينيك أي سترى عقارب الساعة تتحرك ببطيء أكثر مما اعتدت على رؤيتها في السابق،وعند بلوغك سرعة تعادل ٩٩% من سرعة الضوء ستبدو عقارب الساعة وكأنها لا تتحرك إطلاقاً،ولو افترضنا أنك بلغت سرعة الضوء فماذا سترى (هل استطعت تخيل المشهد السابق) تبتعد بسرعة عن الساعة وتتباطأ حركتها شيئاً فشيئاً مع تغير في أبعادها،الآن ومع بلوغ سرعة الضوء لن ترى شيئاً لأن الضوء

المنعكس عن عقارب الساعة لن يتمكن من اللحاق بك حتى، ناهيك عن الوصول إلى عينيك ،الآن تخيل أنك أسرع من الضوء،وستعرف لماذا قيّد أينشتاين الحد الأعلى للسرعة بسرعة الضوء،فلو تمكنت من بلوغ سرعة أكبر من الضوء ستتمكن أنت من اللاحق بالضوء وليس العكس أي أنك ببساطة سترى المستقبل!،وتخترق الحاجز الفاصل بين المفهوم البشري والمفهوم الإلهي لطبيعة الزمن،فأنت "سوبرمان" ستطير بسرعة هائلة إلى الشمس التي انطفأت ثم تعود إلى الأرض خلال ثانية وتقول "أيها القوم الشمس انطفأت! وسترون هذا في المستقبل بعد ٨ دقائق"،فسنسخر منك لأنك أحمق تتحدث عن المستقبل الذي لم يأتي بعد فهو لم يحصل وليس موجوداً بعد "حسب اعتقادنا" السخيف،ثم ما تلبث أن تفنينا الموجة الانفجارية القادمة من الشمس المتهالكة،وتفنى معها أفكارنا البالية حول طبيعة الزمن وحقيقته،فالفضاء والكون ليس ذلك المكان السكوني الذي تحصل فيه الأحداث بتتابع معين نطلق عليه الزمن ،بل الأحداث جميعها تحصل معاً ،"بالطبع إذا تمكنت من رؤيتها من "خارج" الكون"،إن ما يعطي الشعور بحقيقة الزمن وتتابعه هو تفاوت المسافات التي يقطعها الضوء للوصول إلينا فليس الزمن حقيقة كونية بل تصور بشري قاصر .،وللذين يبحثون عن المعضلات الدينية ،فباستثناء الرؤيا و حادثة الإسراء والمعراج يمكنني التأكيد بأن لا شيء يتجاوز سرعة الضوء في الأوضاع الطبيعية،ففي الرؤيا نرى أحداثاً حقيقية أحياننا،السبب أنه خلال النوم تعرج أرواحنا (وهذه استعارة فما يعرج حقاً هو الوعي ،والروح لا تغادر الجسد إلا عند الموت) إلى السماوات العلا ذهاباً وإياباً ،فإننا إذا كنا مستيقظين طوال الرحلة فإن ما شاهدناه يكون حقيقياً وإلا فإنه بعيداً عنها بقدر يقظتنا،وفي الأثر سؤال عمر لعلي (رضي الله عنهما) حول طبيعة الرؤية،وقوله لسماع تفسيرها السابق من الرسول (ﷺ) خير دليل على ما نقوله،وستناول مسألة النوم وخروج الروح (الوعي)في موضع آخر من هذا الكتاب،فالإعجاز في حادثة الإسراء والمعراج هو إعجاز عروج الروح والجسد معاً لأن العروج بالروح يقوم به البشر العاديون يومياً وبشكل لاإرادي .

يقول تعالى:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) سورة الزمر

وبالطبع فمعظم الناس لا يتفكرون،المهم في المسألة، أن المسافة بين السماوات السبعة كبيرة بالفعل ويستحيل على الضوء قطعها في ٨ ساعات وهي فترة النوم الطبيعية،فهذا يعني أن الأرواح(الوعي) خلال هذه الرحلة تتجاوز سرعة الضوء مما يتيح لها رؤية شيء من المستقبل أثناء الرحلة،ما عدا الحالات الروحية المعروفة أثناء النوم والرؤية والتأمل العميق فإن تجاوز سرعة الضوء يعتبر أمراً شبه مستحيل من الناحية الفيزيائية للأجسام الكثيفة (المادية)،على حسب علمي فحتى لو تمكنا من صناعة آلة زمن لن نتمكن من العودة بالزمن إلا إلى زمن اختراع الآلة نفسها والسفر إلى المستقبل سيكون مستحيلاً إلى حد بعيد،إذاً يمكننا أن نفهم الزمن بطريقة تتابع الأحداث المضحكة،أو،، يمكننا النظر إلى المسألة بمنظور مختلف وثوري تماماً،فالكون ليس مكاناً سكونياً بل هو مكان متفاعل وحي ،والأحداث كلها موجودة بالفعل والاحتمالات بأكمله متوفرة،ألم يتساءل البعض لماذا وجود الأكوان المتوازية ضروري لوجودنا؟ الأكوان

المتوازية هي حقل للاحتمالات كافة،ببساطة ما لا يحصل في كوننا هذا يحصل في أكوان آخرى،فعند حصول حادث معين في حياتك،فأنت تكون أمام خيارين أو أكثر فما الذي يحصل عندما تختار أحد تلك الخيارات؟ هل تعتقد أن الله يخلق الحدث فور اختيارك له ثم يشكّل الأحداث اللاحقة وفق ذلك الإختيار؟ هذه المسألة من أشد المسائل عمقاً في ميكانيكا الكم والفلسفة أيضاً،تخيل أننا أردنا أن نختبرك،بأن نعرض عليك مجموعة من الصناديق والتي نطلب منك إختيار أحدها،أنت لا تعرف فعلياً ما يوجد داخل الصناديق لكن بالتأكيد تؤمن بأنها جميعها موجودة،وبالتأكيد لو قمنا بإفراغ بعض الصناديق فإننا سوف نؤثر على حريتك الشخصية في الإختيار حتى لو كنا نعرف أي الصناديق سوف تختار،وبالمثل فالله عندما خلق الكون خلقه بكامل الإمكانات،بحيث لو أراد الشخص أن يكون مؤمناً فسيجد له مكاناً في هذا الكون وإن لم يرغب بذلك فسيجد له مكاناً أيضاً،أما ما يحصل للأحداث التي لم تتحقق فهي ببساطة لا تعود إلى العدم بل تحدث في أكوان آخرى،فنحن عندما لم نرغب في إفراغ الصناديق كنا ننشد العدالة فلا يمكن التصور بأننا أكثر عدالة من الله نفسه،لأجل ضمان العدالة لاختياراتنا الشخصية تتطلب الأمر إيجاد ست أكوان آخرى موازية لكوننا،كحقول للإحتمالات،حيث كل الاحتمالات ممكنة،وحيث أن الطاقة هي الوحدة الأساسية للوجود وأن لها وجهين أحدهما سالب والآخر موجب،فجميع الأحداث تتخذ أحد الوجهين،كالأمل أو اليأس،ففي أكوان ما أو مناطق منها أصبحنا أمواتاً بعد أن استولى علينا اليأس فأصبحنا هائمين على وجوهنا،المشكلة أننا لا يمكن أن نكون امواتاً عندما نكون أحياء يكفي أن نأخذ قيلولة صغيرة (بما فيها من عروج إلى خارج الكون) ثم العودة والإستيقاظ فنكون قد نسينا كل ذلك اليأس ، هذا اليأس هو عبارة عن طاقة سلبية والطاقة لا تفنى فأين تذهب؟ بوووف تختفي ...يا لها من نضرة سخيفة!،لا يمكننا التخلص من الوعي السلبي بهذه الطريقة و النفايات الصلبة التي لا نجيد بالفعل التخلص منها بل تحويلها إلى أشكال أخرى أقل ضرر بالبيئة مشابه لما نفعله بالطاقة بعد أن تتحول في وعينا وإدراكنا إلى أشكال آخرى من الطاقة، هو الإنسحاب إلى خارج الأبعاد الحالية،إلى كون آخر،الأمر أشبه بدالة الحالة في ميكانيكا الكم،حيث تجبر الجسيم على اتخاذ إحدى صور هذه الدالة وهنا معضلة جديدة،وسنلجأ هنا إلى التبسيط مرة آخرى،اكتشف العلماء أن الجسيمات (إن صحت هذه التسمية) ما دون الذرية تسلك سلوك مخالف للأجسام الضخمة (المرئية)،فهي لا تتبع القوانين الفيزيائية الميكانيكية التي اعتدنا عليها،كما أن الأكثر غرابة أنها تتحدى المنظور المنطقي البشري للطبيعة،فلا يصبح للاتجاه أي معنى كما أن الزمن منعدم تقريباً،و الشكل المحدد الواضح هو غياب التحديدية ويسود مكانها الفوضى والنتائج هي فقط رزم من الاحتمالات نطلق عليها دالة الحالة فهي ليست قيم محدد أبداً،فالاحتمالات جميعها صحيحة حتى تجبر أحدها على الظهور،فالإلكترون موجود في كل مكان ،وهو موجة وجسيم في نفس الوقت،هو هنا معنا وهناك في نفس الوقت أيضاً!،أو يختفي أحياننا ويظهر أحياناً،لا نعلم بالضبط كيف يفكر هذا "المجنون"،ولكننا يمكننا إجباره على إتخاذ أحد الاحتمالات وذلك باستراق النظر إليه،لنتخيل الأمر بشكل أكثر بساطة،نحن لا يمكننا أن نحدد موقع الجزيء أو طاقته بدقه كاملة،وهذه كارثة،لأن هذه الخصائص تقرر طبيعة كل شيء،نحن نحصل على احتمالات فقط،وكل مرة نقوم فيها بالقياس نحصل على نتيجة مختلفة من دالة الحالة،واحتمالات الدالة صحيحة تماماً فلا يهم كم مرة ستفتح علبة الطعام فإن علبة الطعام مجبرة على إبراز أحد الساندويتشات الأربعة التي أخبرتك عنها ،ولن يظهر لك ساندويتش مربى مثلاً،قد لا يكون هذا مرضياً بالنسبة لك،وقد تبدو رحلتك إلى شاطىء البحر قد إنقلبت إلى

مأساة،لكن بالنسبة لعلماء ميكانيكا الكم هذا أفضل من رائع وهم الآن في جنة عدن،المشكلة الآن هي كيف نفسر هذه الاحتمالات العديدة والصحيحة في نفس الوقت،هناك ذلك السؤال الأحمق الذي يستمر علماء الكم بطرحه و بكل بلادة،"لماذا لا نرى تأثيرات عالم الكم في حياتنا اليومية"،بينما الحقيقة أن تلك التأثيرات موجودة بالفعل ولكننا غير قادرين على رؤيتها بناءاً على قانون الشك الذي تحدثنا عنه سابقاً.

إن هؤلاء العلماء يثقون بشكل لا يصدق بالخبرة البشرية،وأن ما لانراه أو لا تراه أجهزتنا بالفعل غير موجود،هنا فتح المجال لنظرية مثل نظرية العوالم المتعددة لايفريت أي إنقسام الكون عند الإختيار،فهذه النظرية تقول أنه عند اتخاذ قرار ما فأنت تؤدي إلى إنقسام الكون ذاته إلى كونين أحدهما يظهر النتيجة الاولى من دالة الحالة والكون الآخر يظهر النتيجة الثانية،ومن خلال تجربة فكرية تدعى "الإنتحار الكمي" إستطاعوا إثبات إمكانية الأمر فيزيائياً،إن ميكانيكا الكم رغم أنها من أشد فروع الفيزياء تطرفاً وبعداً عن المنطق البشري المألوف الذي يقر التحديدية بإحتوائها أفكار كمبدأ الارتياب لهايزنبرغ،فإنها في نفس الوقت الأشد دقة و إحكاماً علمياً ،وساعدت في تفسير العديد من العمليات التي تحصل على المقياس الذري،لكن العيب الوحيد في النظرية أنها تفترض بناء عوالم عديدة لا نهائية ،لا يعلم أحد سوى الله كم من الطاقة نحتاج لإيجادها،ولكن لابأس لقد بدأوا بالإعتراف بتأثير الوعي على سير الأحداث الكونية كما أنهم بدأ في فهم طبيعة الوعي المتعددة وعلاقتها بالاكوان الموازية.

بالنسبة لميكانيكا الكم فهي أول نظرية علمية محكمة تقول أن الطريقة التي تقيس بها الأشياء تؤثر بالفعل على النتيجة، أثبتت ميكانيكا الكم بدون أدنى شك أن هناك حد أساسي لا يمكن لنا تعديه لقدرتنا على تحديد صور العالم، بصرف النظر عن كيفية محاولاتنا لقياس ذلك العالم،

مبدأ اللادقة أو "التشكك"،الذي صاغه العالم هايزنبرج بالعلاقة التالية:

$$(\Delta x)(\Delta p) >= h \backslash 4pi$$

حيث تمثل(Δx) و (Δp) التشكك في قياس الموقع x وكمية حركته p، و

بينما يدل الرمز h على ثابت بلانك.

إن تفسير هايزنبرج لهذه العلاقة يقوم على إستحالة تحديد موقع جسيم كالإلكترون وكمية حركته في آن واحد تحديدًا دقيقًا،وهو يقدم من ناحيته تفسيرًا وجوديًّا لهذه العلاقة، مما يعني ضمنًا بأنَّ هذا التفسير يهدم أساسات السببيّة بشكل واضح، غير أن البعض قد يتصور بأنه من الممكن القول أن هذا السلوك الإحصائي يُخفي وراءه عالمًا تحكمه قوانين السببيّة،الأمر الذي يرفضه هايزنبرج بشكل مطلق. حيث يؤكد : "بما أنَّ الطبيعة الإحصائيّة لنظرية الكمّ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بانعدام دقّة الإدراكات كافّة، فقد يميل المرء إلى الافتراض أنَّ وراء العالم الإحصائي المدرك لا يزال يكمن عالَمٌ يستند إلى السببيّة، فميكانيكا الكمّ تفرض انهيارا نهائيا للسببيّة". وفق ذلك فإنَّ علاقات

التشكك لا تدلُّ، كما يرى، على جهلنا بقوانين السببيّة، **بل إنّها تدلُّ على حُكم الصدفة في المجال الذرّي**،وبما أننا لا يمكننا الإعتراف بحكم الصدفة في صنع العالم،فإن ما يحصل فعلاً حسب إعتقادي هو أشبه بمن بدأ ملاحظة أن الرسوم المتحركة الرديئة الصنع هي عبارة عن إطارات مختلفة متتابعة،أنت لا يمكن أن تحدد مصدر تلك الإطارات (من قام برسم كل واحدة) ولكن تفترض أن عليها أن تظهر الواحدة تلو الأخرى،وعندما تظهر إحداها تختفي الأخرى،وليس معنى ذلك الإنعدام بل الذهاب إلى مكان آخر،فالأمر في الحقيقة لا علاقة له بالسببية أو العشوائية،بل نحن الذين نكتسب تلك الفكرة بسبب إعتقادنا أن الكون الذين نعيش فيه هو الوجود ذاته.

قانون السر

ربما تقول الآن ما علاقتنا بميكانيكا الكم أو النسبية،وما علاقة هذا كله بالسر؟ وقانون الجذب؟،لقد رأيت أنه عندما يكون لدينا تعريف مغلوط (كما في حالة الزمن)فإننا نسيء تقدير التفاعلات الخاصة بالشيء المعرّف،فنظرتنا الخاطئة لمفهوم الكون والأحداث كساعة عملاقة دقيقة تماماً جعلنا غير قادرين على فهم قوانين كقانون الجذب،ونظرتنا للمستقبل كشيء "غير موجود"حتى يحدث بالفعل جعلنا نعتقد أنه شيء منيع وبعيد كل البعد عن تأثيراتنا الخارجية أو الداخلية ،مع أنه يتم بالفعل بناؤه في الحاضر والماضي،هناك الحقيقة البسيطة والواضحة التي لا يمكن فهمها إلا إذا تخلصنا من أفكارنا حول طبيعة التجربة البشرية،فقط لو أنك تمتلك القوة الكافية للنظر إلى الكون ككل من الخارج،(وهذا مستحيل) فستتمكن من رؤية الحقيقة،كل ما ستراه هو حركة للطاقة هنا وهناك،فليس هناك ماض ولا حاضر ولامستقبل حتى ،هناك فقط ما يحدث وما لا يحدث،كيف نفسر تلك الحركة الإنتقالية للطاقة ضمن المفهوم البشري القاصر فذلك شيء آخر،هل يوجد نظام أشد تعقيداً خلف ذلك النظام؟،لا أحد يعلم على وجه التحديد،لا يزال البعض يجد صعوبة في فهم الأمر،ويمكن تفهم المسألة،لو تخيلت أن مخلوقات ما بالغة الصغر تعيش على سطح ورقة ما وأنك ضغط بأحد أصابعك على تلك الورقة وتحاول عندها أن تفهم كيف سيفكر سكان ذلك العالم بهذا الحدث فستدرك عندها الفرق الذي تصنعه الأبعاد والازمان،ربما يجلس شيخ كبير مع حفيده في ذلك العالم ويحدثه كيف انه منذ ملايين السنين هبط ذلك الجبل من السماء وان هذا الجبل أرسلته الآلهة أو ماشابه،وانهم حاولوا إكتشافه لآلاف السنين لكن دون ان يصلوا إلى نهايته،قد يضيفون عليه بعض الغموض أو القدسية،وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة الواضحة القائلة بأن إصبع يد ضغط بخفة على سطح ورقة،فالمشكلة الحقيقة ليست الحقائق،بل كيف ننظر إليها،فما هو صحيح تماماً بالنسبة لك هو خاطىء لغيرك،كما أنه خاطىء لك إذا نظرت إليه من زاوية آخرى.

عندما يتسائل علماء الكم عن كيفية تأثير المراقب على طاقة وحركة الجسيم،وعدم قدرته على التأثير على الأجسام الكبيرة،فهم يغفلون حقيقة بسيطة للغاية وهي،إذا كان بالإمكان فعلاً التأثير

على جسيم ما لا إرادياً بمجرد محاولة قياسه،فإنه لابد أننا قادرون إرادياً فرض على مستوى ضعيف من التأثير على سير الأحداث المستقبلة كعلاقة تبادلية،وهذا ما نلمسه في الحياة اليومية و في كمية لا تصدق من الأدلة التاريخية والعلمية والفلسفية،والتي لن نرهق أنفسنا بذكرها جميعها لكن سأذكر بعضها على سبيل "جذب الإنتباه" .

لكل فعل رد فعل:إنه أحد قوانين نيوتن الثلاث الأكثر شهرة والذي أصبح من مبادىء الميكانيكا والفيزياء الكلاسيكية،أعتقد أنه هناك تساؤل مشروع،نحن نطبق هذا القانون على الكتل الأكبر بكثير من كتلة الذرة والأبطىء بكثير من سرعة الضوء،لأنه ببساطة ذلك هو النطاق التي تصبح في تكاثفات الطاقة مرئية بما يكفي لكي تلاحظه "الخبرة البشرية"،ما المانع الفعلي من تعميم الأمر إلى جميع جوانب وصور الوجود وبالأساس إلى الصورة الأولية "الطاقة" والتي هي الوحدة الأساسية المكونة للمادة،المشكلة هنا بالتأكيد هو تعريفنا لمفهوم الأفكار؟ ما هي الفكرة؟ هل هي مادة أم طاقة ،في الحقيقة لن يكون الامر ذو أهمية إن عممنا القاعدة الخاصة بقوانين نيوتن،أين كانت طبيعة الفكرة فلابد أنها "فعل" أو "حدث" ولابد لهذا الفعل أو الحدث من "رد فعل" يساويه في المقدار ويخالفه في الإتجاه،ما نعنيه بمساواته في المقدار هو القدر أو القوة التي تمتلكها الفكرة ومقدار تأثرنا بها،مخالفتها للإتجاه تعني أن التأثيرات الخاصة بالفكرة كمؤثر في إتجاه الذات يجب أن تمتلك ردود فعل نحو العالم الخارجي أو الكون،فقانون نيوتن هو قانون عام وطبيعي ولا أعتقد أن هناك من يعترض على ذلك،السؤال هنا ،لو أنك تمنيت في نفسك وتصورت أنك تمتلك مبلغ كبير من المال أو سيارة فارهة او زوجة محبة،وآمنت بحصول ذلك ألا يعد ذلك فعلاً؟ وحتى لو كان موجهاً إلى العالم الداخلي (مع الإفتراض أنه عالم غيبي) فأين هو رد الفعل؟،من المنطقي أن يكون رد الفعل مساوي في المقدار(تحقق الأمية على حسب قوة الإيمان)،وكما يقولون "بأنامل الإيمان نحرك الجبال" ،...ومعاكس في الإتجاه فلابد أن أن يكون رد الفعل من العالم الخارجي وليس الداخلي،لنشرح الأمر بطريقة أبسط،في التحليل النفسي هناك تفسير مثير حول الأحلام ،سيجموند فرويد يفسر الأحلام كتفريغ لكبت من العالم الخارجي،لنفرض أن طفلاً حرم من الشوكولاتا هذا اليوم لأنه أساء التصرف،لو إستمر هذا الحرمان لفترة طويلة فسيبدأ الطفل في رؤية أحلام يحصل فيها على الكثير من الشوكولاتا ،كتفريغ لحالة الكبت،هنا رد فعل داخلي على فعل خارجي (حرمان من الشوكولاتا)،ما يحصل في الإيمان حالة معاكسة تماماً،نحن نحدث تغير أو فعل داخلي وننتظر رد الفعل الخارجي كتحقق لأحلامنا الداخلية،الأمر يتطلب إيمان،وإن كان الشخص لا يؤمن بالقدرة على تنفيذ الأمنية فلن يحصل تأثير،التمني هنا نوع من الدعاء الداخلي ولم أرى في هذا الأمر أي إعتراض على مسألة القضاء والقدر،نحن عندما نقذف الكرة إلى الحائط نتوقع و(بكل إيمان أنها ستعود بالتاكيد) ولا نقول في ذاتنا (إنشاء الله ستعود)،الكون هو أداة سخرها الله لنا،فالكون بأكمله لنا،بكل ما فيه من أموال و فرص،يقول الرسول الأمين محمد (ﷺ) "إدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" فلماذا يشترط في الدعاء الإيقان بالإجابة إن كان الدعاء مجرد خطاب والفعل بأكمله من الله فما فائدة اليقين عندها؟ما الذي يجعل اليقين مهماً إلى تلك الدرجة حتى يترافق مع الدعاء؟.

الوحم:

من الأمور الجاذبة للإنتباه في كتاب "ألخيال " لإبن العربي ما ذكره في ظاهرة تعرف بال"وحم" فيقول:"**إن الخيال وإن كان من الطبيعة،فله سلطان عظيم على الطبيعة ،بما أيده الله به من القوة الإلهية،وإذا أردت تأسياً لذلك ،فإنظر في علم الطبيعة إذا توحمت المرأة وهي حامل على شيء ،خرج الولد يشبه ذلك الشيء،فإن الشهوة إرادة طبيعية وإنزال ماء،يكون الولد على خلق صورة ما تخيل**"،....**وهو سر عجيب في علم الطبيعة**[٢]"،وإذا نظرت بما يكفي ستجد أن تلك الظاهرة الغريبة منتشرة فقد كانت إعتقاداً شائعاً في العصور السابقة ،حيث ينصح عن الجماع بأن يتخيل الزوجان صور للعظماء والأشراف حتى يأتي الطفل بما يشابههم،وهناك عدد لا يحصى من العادات والممارسات التي توصي في النهاية بالتفاؤل والإيجابية وكأن الأفكار الإيجابية تمتلك تأثير ما،ومن المعروف بالفعل أن الذين يتمسكون بالتفاؤل والرغبة في الحياة تكون لديهم قدرة أفضل على الشفاء من الأمراض المستعصية،لذا ينصح الأطباء مرضى السرطان بالتحلي بالإيمان والرغبة في الحياة و يعتبرونها أحد عوامل الشفاء فلماذا؟،كيف يمتلك شيء غير مادي للمنظار العلمي هذا التأثير الواسع على الطبيعة المادية؟.

التجربة الحياتية:

قد لا نؤمن بالقدرة على معرفة المستقبل أو التأثير به، لكن نؤمن بالنحس!،نحن قد نشعر بالنحس يلازمنا طوال الوقت،وإذا ما قمنا بالاختيار فإن الخيار دائماً يكون ضدنا عندما يصيبنا النحس فلماذا؟في الحقيقة هذه ليست عبارات نادرة بل تقابلنا كثيراً في حياتا اليومية.،إن لم نكن نؤمن بأن المشاعر أو ما نفكر به قد يؤثر على محيطينا الخارجي،وكن نؤمن تماما (حسب نظرتنا العلمية) أن الأحداث اليومية مرتبة بشكلها الحالي منذ اكثر من ١٣ مليار سنة وقبل خلق الكون ذاته،فهو "أي العالم" أشبه بمتاهة نسير خلالها،لذا فنحن نكره تماماً أن نخضع أو أن نخضع حياتي للإحتمالات،فلا نسير في طريق نعلم اننا قد نحتاج فيه إلى الحظ ولو بنسبة ١%،والبعض يحب ترتيب أحداث حياته كبرنامج حاسوب،ويعتقدون ان التخطيط المفحم والذي يستطيع التعامل مع كل الإحتمالات الممكنة هو الطريقة الوحيدة لإنجاز الأشياء بكفائة، هذا نموذج للبيئة المسيطر عليها تماماً،المشكلة عندما تنتقل إلى ميادين الحياة الواسعة التي سيلعب الحظ فيها بالتأكيد دوره رغماً عنا،فما الذي ستفعله،قد تعيش عندها في رعب تام،لأنك تعلم أن الحظ يكرهك ،وسينتقم منك بالتأكيد،لذلك تكون كل إختياراتك اللاحقة فاشلة تماماً،حتى أكثر الناس شكاً بقضية "النحس" يؤمنون بها عندما تحدث معهم،دعونا لا نبتعد كثيراً ألسنا مضطرين للإيمان بتأثير الحسد؟ وهذا شيء ثابت في العديد من الأديان على إختلافها مع أن الحسد ليس سوى أفكار في عقل الحاسد فكيف سمتلك الحاسد القدرة على إيذائنا إلى درجة نضطر عندها لقرآءة المعوذات وغيرها لتقينا هذه الشرور؟،التشاؤم يمتلك أسضاً هذا التأثير المخيف لأنه يرتبط بالمشاعر الخاصة بالخوف والتي تشكل أحد أكثر المؤثرات في عالمنا الداخلي، فلو كنت درست لإمتحان ما ،أو حضرت

---

[٢] محي الدين إبن العربي –الخيال ص٤٧

لدرس وأغفلت شيئاً منه وخفت أن يأتي ما اغفلته ،يأتيك بالفعل في الإمتحان أو يسألك إياه المعلم فتبدو كشخص مهمل تماماً،وهناك أمثلة لا تحصى لأشخاص يجذبون المعرفة المال والسعادة الإجتماعية فقط بالتحلي بالثقة والأفكار الإيجابية.

هل يسأل أحد ما لماذا تنفق بالفعل تلك الملايين من الدولارات يومياً على وسائل الإعلام ،ما الذي يجنيه المعلنون بهذا النوع من "توجيه الوعي"،**زيادة الأرباح؟**،ماذا عن توجيه الأفكار السياسية والدينية،ومن يهتم حقاً بما يفكر به مواطن بسيط على قارعة الطريق،ولماذا نؤمن بالتوعية كطريقة لتغيير المستقبل للبلد،قد يعترض البعض بأن ما يصنع التغيير حقاً هو "الفعل" وليس الفكرة ،لكن أليس الفعل هو وليد الفكرة ،أنا لا أستطيع حقاً أن أقوم بفتح الباب دون أن ترد الفكرة على عقلي،ولكن بتخيل نفسي أقوم بفتح الباب مراراً لا أجد مفراً من فتحه في النهاية،كذلك هو مبدأ الجذب،نحن لا نستطيع صنع المستقبل بشكل حرفي ولا أحد يستطيع إدعاء ذلك ولكن في النهاية المستقبل هو وليد تفاعلاتنا الداخلية و التفاعلات الكونية لها أسبابها التي نخالها بعيدة كل البعد عن حياتنا اليومية في حين أن الفيزياء المتقدمة تؤكد أن عالم ما وراء المادة هو عالم مترابط إلى أقصى درجة ممكنة حيث أن ذرة على سطح جسدك تؤثر بالفعل على ذرة في أقصى نجوم الكون بعداً عنا،لذا يعلم رجال "الدعاية" أن عملهم ليس نبيلاً إلى هذا الحد،إنهم يكررون القول بأنهم ينقلون "الحقيقة" إلى البشر مع أن الحقيقة الوحيدة هنا أنهم لا ينقلون إلا نظرتهم إلى ما يريدون منا التفكير به لتغيير المستقبل كما يشاؤون،قلة فقط من البشر من يعرف ذلك،وجود الفكرة فقط في رأس أحدهم يكفي ليهدد وجود كيان كامل،لذا تحارب الأنظمة الفاسدة الجماعات التحررية حتى ولو لم تملك تلك الجماعات أي أدوات "فعل"،الأفعال هي مجرد واجهة للوعي الجماعي،الإتحاد السوفيتي لم ينهار بسبب الأزمة الاقتصادية أو الحرب الأفغانية بل سقط ببساطة لأن الشعوب السوفيتية لم تعد تدعم وجود هذا الكيان بإعتقادهم ولم تعد الأفكار الشيوعية والإشتراكية تلقى قبولاً لديهم ،هم لم يتخيلوا مستقبلاً يوجد به إتحاد سوفيتي لذا تم حذفه من الوجود كما حذف من الوعي الجماعي للبشر،والأفعال التالية جائت فقط لتترجم هذا التوجه للوعي،والعالم كله يعمل بهذه الطريقة،فنحن نخضع لعالم يوثر به وعي الملايين من البشر يومياً على وجه هذه الأرض،قد تجد صعوبة في تصديق الأمر،لكن الدلائل تكاد تكون "لانهاية" ومنتشرة في كل مكان وفي التعاليم الدينية على وجه الخصوص،الحسد،اليقين بالنصر،التفاؤل بالخير،والإتصال الواضح بين الفساد البشري والفساد الكوني،وتبرئة الله من كل ذلك الفساد يعني بلا شك أن كل فرد يقرر مصيره بنفسه،ومادامت الأحداث الكونية تؤثر على المصير فلابد أن للفرد الحق في التأثير بها"لاشعورياً".

صياغة جديدة لمفهوم القدر

إذا استطاع أحد أن يفهم نظرية البرمجة اللغوية العصبية فيعرف حتماً لماذا **الخريطة لا تمثل الواقع**،الواقع المرسوم في عقولنا حول العالم هو واقع مشوه وناقص،فهذا الواقع مشوه بالحواس ثم اللغة ثم المعتقدات والقيم،لذا فإفتراض أنك تفهم شيئاً ما فهماً كاملاً هو غرور بالتأكيد،يقول الله تعالى: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) سورة الكوثر،ما لا يمكن فهمه حقاً هو كيف يصل البشر وبسرعة مذهلة إلى مفاهيم أساسية واضحة حول أعقد الألغاز الكونية كالقدر مثلاً،وحتى النصوص الدينية التي تستخدم في إستخلاص هذه المعرفة لا تكون تامة الوضوح،بل تكون غامضة وقابلة لتأويل،لأنه لو تم شرح كل شيء بشكل واضح فماذا سيبقى للبشر حتى يؤمنوا به؟،هناك نصيحة ذهبية أسديها لكل شخص تتعلق بالنساء والحقائق الفلسفية :"لا تثق أبداً بالنظرة الأولى"،فقلائل حقاً من البشر من يدرك أن مفهوم القدر الذي يتم شرحه مراراً وتكراراً خلال التعاليم الدينية الحالية مشوش تماماً،وأن ما يقومون بتوزيعه حالياً هو "لا معرفة ولا تحديدة" وإن لم يمكن تحديد الشيء فهو بحكم المجهول بالنسبة لي،هل يستطيعون بالفعل حصر شيء بالغ التعقيد كهذا بمجموعة من الكلمات أو العبارات؟،ومن يعتقد حقاً أن عقله قد ينجو من الدهاء الإلهي؟،وحتى عندما يقومون بتوضيح الأمر يتركون هالة من الغموض والغيبية فيه كالعادة حتى لا يعتقد الناس أنهم فهموا شيئاً،إن مفهوم العدالة الإلهية لا يزال "حسب رأي" غامضاً حتى الآن ولكن كل الحقائق سوف تنكشف في النهاية،وعندها سوف نعرف الميكانيكا الحقيقية التي كانت تدير هذا العالم،إن مفهوم الجذب لا يتعارض حسب رأي مع مفهوم القدر ،القضاء والقدر يعني معرفة الله بما كان سيحدث وخلقه تلك الأحداث بناءاً على ذلك العلم،فهذه صفة علم وليست صفة تأثير،هذا يعني أن الله لا يفرض على البشر أن يكونوا تعساء إن لم يكونوا كذلك،كما أنني أعتقد أن مفهوم القدر لا يمكن إدراكه ببساطة خلال التعاليم الدينية وحدها،يمكن النظر إلى تلك التعاليم كبوتقة إيمانية نمزج فيها شيء من العلم لنعرف أين نرسل إيماننا مع أننا حقاً لا نفهم ما نؤمن به،كيف نوفّق بين السيطرة اللانهائية لله على كل ذرة في هذا الكون وبين حريتنا الشخصية في الإختيار؟ وأين يقع ذلك الحاجز بين ما هو لنا وما هو لله؟ ،ولماذا إنقطاعت الرسلات السماوية قبل الثورة الصناعية والعلمية مع العلم أنها لو نزلت في هذا العصر لكان تبليغ دعواتها أسرع وأسهل؟،لماذا نزلت في عصور التخلف والإنحطاط و إختفت في عصور التطور والتقدم؟،هل كل ذلك لضمان حريتنا في الإختيار؟ هل كان ذلك لنتمكن عندها من الإيمان؟.

معنى من أجل الحياة؟

ما المعنى من الوجود أو الحياة؟ قد يتساءل البعض،وفي الحقيقة لقد تعرضت لهذا السؤال مرات كثيرة، يتساءل العديد من المشككين دائماً :"هل هي نوع من تجربة إلهية أخلاقية؟"،"لماذا يبالي الله حقاً بما نفعله أو ما لا نفعله؟"،هنا مسألة مهمة أيضاً ولكن مرتبطة بطبيعة التفكير

البشري،لسبب ما فالمخيلة البشرية دائماً تفترض وجود نظام إلهي شبيه بالنظام البشري حيث توجد جميع المفردات التي اعتدنا على سماعها في حياتنا اليومية،هذه من الأمور أو الأسئلة التي أعتقد أن جوهرها بحاجة إلى النظر من جديد،في الحقيقة لا يوجد سبب أو معنى موحد للوجود،ولو أخذنا النظرة الدينية لهذا الأمر والتي تقول أن الله خلقنا للعبادة،هنا قد يتساءل شخص ما،"ما حاجة الله لعبادتنا؟، أليست الملائكة تعبده بشكل أفضل من أي إنسان؟،ثم إن الأكثرية من البشر والجن هالكة في نار جهنم لأنهم قرروا بإرادتهم الحرة عدم عبادة الله،فكيف خلقوا لتلك الغاية؟ هل غاية الله لم تتحقق؟"،ثم هناك أيضاً مسألة الإرادة الشخصية هل تم بالفعل استشارة أي شخص إن كان بالفعل يرغب بالوجود في هذا العالم أم لا...أم أن السؤال بحد ذاته يعتبر وقحاً للغاية؟،لا يبدو الأمر منطقيا ومفهوماً بالنسبة لنا ببساطة لأنه ليس كذلك،ولماذا نطالب الله بأن تكون أفعاله منطقية بالنسبة لنا؟

يقول الله تعالى:(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)من الآية ١٧ سورة المائدة

،لذا أعتقد اليوم أنه بالفعل لا معنى موحد للوجود ولا هدف حقيقي للحياة من (الناحية المنطقية الصرفة)،كما تتصورها الطبيعة البشرية،فكما قلنا في موضوع السببية،لو كان للوجود سبب وهدف منطقي فإننا بالضرورة نقول أن الله كان مضطراً لإيجاد هذا الوجود بسبب ذلك السبب أو الهدف المنطقي،وبالتأكيد فالله لا يخضع للسببية،ولكننا كبشر نخضع لها طوال الوقت ،هذا ما يجعلنا نفهم الأمور بالطريقة السببية،ونفترض دائماً وجود سبب أو معنى لكل شيء وخاصة للحياة،بينما الوجود والحياة من نتائج أعمال الله ومن المفترض أن لا تكون تلك الأفعال ناتجة عن دوافع منطقية أو أسباب منتجة لها،ومن يدعي خلاف ذلك يفترض وجود بيئة إلهية تخضع للسببية والمنطقية،بينما أعتقد أن الأمر برمته مشيئة إلهية صرفة لا تحتاج إلى أن تكون منطقية أو سببية بالنسبة لنا،وهذا ما ندعوه أحياناً بالحكمة الإلهية(منبع المنطق و المعنى)،أما الحكمة البشرية فهي المنطقية والسببية،هذه المشكلة يصادفها علماء الكم الآن حين يحاولون فصل مفردات التجربة البشرية عن المفاهيم الكمية.

أن أسباب الوجود (غير المنطقية) تتعلق بالفرد أكثر من تعلقها بالوجود ذاته،لأن كل فرد يمتلك أسباب وجوده الخاصة به،لقد عالج الدكتور فرانكل تلك المسألة عندما قال أن الأمر أشبه بأن تسأل بطل العالم في الشطرنج عن أي حركة نقل لقطعة من الشطرنج هي الأفضل في العالم،فليس للسؤال جواب محدد لأن الحركة الأفضل تعتمد بالأساس على حركة و تفكير ومستوى الخصم،لذا لا حركة معينة يمكن تصنيفها على أنها الأفضل بالمثل ليس هناك معنى موحد للحياة يشترك فيه جميع البشر،فمعنى الحياة بالنسبة لك يختلف عن معنى الحياة لشخص آخر،وقد يمتلك البعض عدة أهداف أو معاني للحياة خلال رحلتهم من الميلاد إلى الوفاة،تلك الأهداف والمعاني هي ببساطة أسباب للبقاء على قيد الحياة هي غريزة مهمة تماماً كباقي الغرائز وكالحاجة إلى الهواء والغذاء والأمن،وعندما نفقدها نفقد معها بهجة الحياة ومعناها،الإنسان في الحقيقة (كونه خاضع للسببية) بحاجة دائماً لسبب ليبقى على قيد الحياة،هذه الأسباب قد لا تكون منطقية ولكنها معاني ضرورية للحياة والبقاء،وهي ليست "ماكنزمات دفاعية" أو ردود أفعال كما يزعم البعض،لأن تلك الأهداف أو المعاني قوية بشكل يدفعنا أحياناً إلى الموت لأجلها،علماء النفس الذين يدّعون ذلك هم ببساطة ينظرون إلى الجانب الغرائزي في الإنسان كقوة وحيدة فاعلة

ومؤثر،فالتضحية بالنفس لأجل المحبوب بالنسبة لهم هو رد فعل نتيجة للغريزة الجنسية التي تعمي المنطق،وليس نابعاً من قوة "إرادة" أو "قناعة بمبدأ ما" هذا ما فشلت مدرسة التحليل النفسي في فهمه،ولقد أضطر فرويد لتدارك الأمر في كتابه "ما فوق مبدأ اللذة" ليفسر هذا النوع من الميل نحو "الهلاك" لأجل مبادىء لا تحقق اللذة والتي ظنها فرويد لفترة طويلة القوة الحقيقية المؤثرة في التركيب النفسي البشري،والحقيقة أن مدارس علم النفس الألمانية الثلاثة أكملت الحلقة المطلوبة،فالعلاج بالفكر المتسامي جاء لتدارك أخطاء فرويد الفادحة في وصف الطبيعة البشرية على أساس غريزي،وجميع البشر تقريباً يمتلكون في حياتهم مبدأ أو شخص كانوا على إستعداد للتضحية بحياتهم لأجله،فلماذا يبحث البشر عن أسباب لهلاكهم ومعاناتهم؟،ببساطة لأنها تجعل لحياتهم معنى،هنا يبرز معنى الإرادة الشخصية فنحن لا نخضع قصراً للرغبات الجنسية أو القيم والمثل المجتمعية والدينية ،فنحن لسنا مجرد فرائس لها، بل هي عوامل لإشباع رغبة فينا "البحث عن معنى للوجود"،ولكن بالطبع نمتلك في النهاية الحق في اختيار أفعلنا على ضوء تأثيراتها مستخدمين إرادتنا الخاصة،أو ضميرنا السليم،فمن الخطأ الإعتقاد بأن معنى وجودنا مختزن بها (أي الغرائز والقيم)،فأسباب الوجود ليست مجرد مسكنات أو منومات فكرية أو تفريغات لكبت داخلي،بل تحمل قيمة أكثر عمقاً من ذلك.

من المخيف حقاً مواجهة البشر بالقول بعدم وجود معنى لوجودهم من الناحية المنطقية و التي يمكن لعقولهم الوصول إليها وفهمها،وربما بعض الجماعات الإجرامية والإرهابية المستندة على هذه الفكرة (الفراغ الوجودي) أدركت هذه المصيبة،وقامت بالتعبير عنها على شكل من أشكال العنف الدموي (تدمير الحياة البشرية) أو التفريغ الشهواني والغرائزي وغيرها، لجعل الناس الآخرين يدركون مدى "تفاهة" حياتهم وخلوها من أي معاني يمكنهم فهمها،هنا ندرك خطورة مسألة (الفراغ الوجودي) سواء كان روحياً أم غرائزياً،إنه خطر على الحياة البشرية الجماعية كخطره على الفرد ذاته،الذي من المحتمل أن لا يترجم هذا الفراغ على صورة عنف نحو ذاته بل إلى صورة أكبر من العنف إتجاه المجتمع،لذا علينا أن نساعد الجميع على الحصول على أهداف لوجودهم،ولو كانت غير منطقية،الحكومات الفاسدة الرأسمالية أقنعت ملايين البشر بأن هدف وجودهم هو الإستهلاك أي مجرد هدف غرائزي لا أكثر ،الجماعات الأصولية تصور لأعضائها أن هدف الوجود هو مجموعة من القيم والمبادىء التي إستخلصتها بتفكيرها الخاص ورؤيتها لمعنى الحياة،وفي الحالتين هناك فقط إشباع ل"إرادة الوجود"أو إعطاء الناس "معنى لوجودهم" هم في الحقيقة في أمس الحاجة إليه،إلى درجة أنهم مستعدون للهلاك لأجله،قد نسخر من هؤلاء ،لكن في الحقيقة الذين لا يمتلكون أسباب للوجود أو حتى يدركون هذا المعنى"عدم وجود معنى للحياة" يعيشون حالة (الفراغ الوجودي) المقيتة ما يدفعهم في النهاية إلى فقد السعادة والركود العقلي والعاطفي،أعرف أن العديد من الأفراد قد يستهجن هذه الفكرة القائلة بعدم وجود "سبب منطقي للوجود"،لكن لو سألتهم عن تصورهم لهذا الهدف فهم سيجيبونك بآلاف الأهداف و الأسباب المختلفة،وهم بتلك "الفوضى" أثبتوا ببساطة أنهم لا يمتلكون هدف موحد للوجود، وقد يظن القارىء أن حديثي السابق حول عدم وجود "هدف منطقي" للوجود هو دعوة للفراغ الوجودي أو تبرير للإنتحار الذاتي أو الجماعي،لذا أردت أن أبين هذه المسألة،فهدفي الأساسي منها هو إعادة تصوير الأمر من منطلق "ثنائية الإدراك البشري" كما شرحتها سابقاً،فأنا هنا أفترض أن الهدف الحقيقي للوجود لا يمكن الوصول إليه بالعقل بشكل منطقي بحت، من المستحيل حقاً حصر الحياة البشرية ضمن "نظرة مجردة" أو "وصف مسطح" لحقيقة الوجود

بشكل مادي بحت،نحن نبحث عن الأهداف،الطموحات،الأحلام،نبحث عن أي شيء يمكننا من خلاله الخلاص الذاتي (إشباع رغبة المعنى)،إنه أمر غريب بالفعل،**تساؤل البشر حول معنى كل شيء**، البحث عن المعنى؟...معنى الوجود ..أو التساؤل في هذا الاتجاه...لماذا ذلك الشيء كان هنا ولم يكن هناك؟،ولماذا على السماء أن تكون زرقاء؟ ،لماذا على الأرض أن تكون كروية؟،في الحقيقة التساؤل بحد ذاته ليس شيئاً سيئاً،نحن جميعاً بحاجة للبحث عن المعنى في حياتنا وفي جميع الأشياء الأخرى،إن أول ما يفعله الأفراد عند تحررهم فكرياً من أي اعتقادات أو أفكار سابقة هو البدء في طرح أسئلة صعبة مثل "ما هدف الوجود أو الحياة؟" ثم يغرقون بسرعة في الفراغ الوجودي حيث يفقدون الإحساس بمعنى لوجودهم،جعلني ذلك أتصور أن تحرر الناس فكرياً هو أمر سيء لهم،وليس ذلك لأن الأمر لا يمنحنا حقوقنا الفكرية، بل لأننا ببساطة لا نمتلك الإجابات الكافية،ومن يستطيع الإدعاء بأنه قادر على معرفة كيف يعمل هذا العالم؟ ،إن السؤال عن معنى للوجود أشبه بسؤال قرد يستخدم في أبحاث خاصة بلقاح الجدري إن كان يرى في معاناته أي معنى؟،و بالتأكيد هو غير قادر على إدراك الأمر ،لكن نحن ندرك ذلك،السبب هو قصور إدراك الحيوان،وبالمثل لا يمكننا الإدعاء بأن عقولنا هو التطور النهائي للذكاء، وبالتالي فنحن مجبرون على الاعتقاد بوجود كيان عاقل أشد تطوراً يمتلك بالفعل الإجابات الحقيقية والتي تشمل معنى لكل شيء بما في ذلك معنى وجودنا،هذا ما يحصل في الأديان حيث أنها لا تمد البشر بالإجابات حقاً بقدر ما تقنعهم بوجود عالم خفي "عالم غيبي" حيث يعطي حياتهم ومعاناتهم معنى ما،إن التحرر الفكري يجعل هذا المعنى يختفي وذلك بالتأكيد يهدد فاعلية حياتنا وإنتاجيتها،وهذه تشكل معضلة حقيقية،وهي الإيمان بأن الكون مليء بالفعل بالمعاني والحقائق التي نجهلها فقط لإعطاء حياتنا معنى ما،لذا فالقيم الروحية والدينية مهمة للغاية،ليست لأنها تعطينا أي إجابات بل ببساطة لأنها تبقى البشر أحياء ،إن التوجه المنطقي البشري قد يعطينا تفسيراً منطقياً ولكنه غير قادر على إعطائنا معنى حقيقي،عندما لا نضع القوانين والقواعد فنحن نمنح الآخرين حرية أكبر في الاختيار ،لكن في نفس الوقت نحن عاجزون عن حمايتهم من الوقوع ضحية للفراغ الروحي،فالتنوير الحقيقي لا يستند على فكرة الحصول على إجابات أكثر بقدر إدراك معاني أكبر للوجود،هو مسألة إيمانية (إعتقادية) فقط أكثر من كونها منطقية،فالإيمان لا يستند على المنطق و ليس مضطراً لذلك في الأساس لأنه جزء من طبيعة الإدراك البشري بحد ذاتها،فعند البحث عن جذور منطقية للأمر لابد أن نصل إلى طرق ليست مسدودة بل لانهائية ولا تحمل معاني محددة يمكن للعقل فهمها كما في حالتنا هذه،كما أن التنوير الحقيقي لا يجب أن يرتكز على فكرة إزالة الأفكار غير المتماسكة منطقياً بقدر إيجاد أفكار جديدة أفضل وأكثر إبداعاً،لأننا إذا لم نفعل ذلك فنحن أشبه بمن يحطم أعمدة منزله مهدداً نفسه بالهلاك فقط لأن لونها لا يناسبة.

يقول الله تعالى :" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)"سورة المؤمنون

وكقوله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)،فهو خلقكم لحكمة،لكن ما هي هذه الحكمة؟،فهنا منطلقة إيمانية.

ويقول أيضاً:"أيحسب الإنسان أن يترك سدى" القيامة ٣٦

وقال النبي ﷺ :(والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال). فذكر اليقين والإيمان ولم يذكر التحليل أو التفكير فيها بشكل منطقي أو الذكاء،فالإيمان هنا يجب أن يكون على أساس

وجود معنى لكل شيء نابع من حكمة إلهية فالمسألة لا يمكن فهمها بشكل منطقي بل يجب أن يتم افتراضها والتسليم بوجودها فقط لأن بقائنا مرهون بها،الله لا يحجب عنا الحكمة لمنعنا من فهمها بل لأننا ببساطة لا يمكننا فهمها إلا بالإيمان فقط،الإيمان بأن هناك حكمة ما موجودة هناك "معقدة" بدرجة كافية يصبح عنها من الخطر على العقل البشري محاولة الوصول إليها،كنهاية إدراكية،وليس ذلك لأن المنطق شيء خاطىء أو ناقص.

يقول الله تعالى:

" وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"

فمع علم الله التام باستحالة قدرة أحد البشر على الإتيان ببرهان يشكك في وحدانيته،إلا أنه ذكر الأمر لكي لا يتوهم الإنسان بأن التفكير المنطقي هو طريقة خاطئة للوصول إلى الحقائق كما يصوره بعض البشر اليوم،الذين يتسائلون في أنفسهم عن هدف الوجود بمعنى معرفة الحكمة الإلهية أو بشكل أدق "ما كان يدور في عقل الإله" عند إيجاد الخلق، وهو مسألة مستحيلة بكل معنى الكلمة،وسيكون في منتهى الغباء الإدعاء بأن الوصول إليها بشكل منطقي أمر ممكن،أفترض أحياناً أن بعض الأفعال التي نقوم بها يومياً قد لا يعلم أحد ما الهدف منها أو ما المعنى المقصود بها، ولكننا بالتأكيد نعرف لأننا أصحاب الفعل ومنبعه وقد لا ننجح أحياننا بشرح الأمر للآخرين،وبالتالي فلأن الوجود ومعناه نابع من الله فالأغلب بأن المعرفة الحقيقية بهدف الوجود هي معرفة إلهية ،وحتى لو أفصح الله لنا ببعض تلك المعرفة فالأغلب أننا غير قادرين على فهمها تماماً كما يفهمها الله،لذا نرى مدى عمق المسألة هذا يشبه ما يلجأ إليه بعض الآباء عند نصح أبنائه فهو يلجأ إلى الأمر والتوجيه بدلاً من التفسير والشرح لأن الأب بشكل عام يفترض أن الابن مقتنع تماماً بأن ما يقوله له هو الأصح والأنسب،ونحن عندما نتبع الإرشادات والقيم الدينية في حياتنا اليومية فإننا قبل ذلك نؤمن بوجود الله وأنه أعلم في الحقيقة بما هو مناسب وصحيح لنا،وكما يحجب الوالد المعرفة المعقدة عن إبنه شفقة به ،يحجب الله المعرفة والحكمة العميقة في الوجود عن عبيده شفقة بهم ولأنه أعلم بما يستطيعون بالفعل الوصول إليه بالتفكير،لذا فليس فالأمر استخفاف بالعقل البشري أو ثغرة فكرية في المبادىء الدينية كما يتصوره البعض،لقد سمعت خلال حياتي العديد من التفسيرات التي ساقها العديد من البشر لتبرير خلق الله للوجود،و أستطيع الإدعاء اليوم بأنها جميعاً تعالج جوانب ظاهرية فقط وتغفل الحقيقة الجوهرية الأساسية،وهي أن "قراءة عقل الإله" هي بالتأكيد أمر مستحيل.

إنه مثير حقاً أن البشر في هذا العصر بدوا بالإطلاع على بعض الجوانب التي ظلت خفية عن متناول جميع المخلوقات لمليارات السنين السابقة،نحن نتحدث عن أجزاء صغيرة جداً داخل الذرة،حيث للمرة الأولى تأكد أن تلك الجزيئات تسير بعشوائية تامة في ذلك المكان،ولكن في نفس الوقت هي تتأثر بالمراقب وطريقة نظره إلى الجسيم،نحن هنا نتحدث عن عالم مختلف تماماً عن العالم الذي تصورناه،حيث الأحداث ليست عبارة عن سلسلة منفصلة عن مجرى حياتنا،عندما اعتقدنا بأننا لو أغمضنا أعيننا فإن العالم سيستمر بالعمل كما هو دون تغير كنا مجرد حمقى،تصورنا أن المستقبل هو شيء ثابت يمكن توقعه،وفجأة تحول هذا العالم إلى شيء مختلف،حيث إن نظرتنا إلى المستقبل تعمل على تغييره كل لحظة،كشيء ديناميكي،وأصبح كل شيء مترابط بشكل لا يصدق،وأن المادة بتعريفها الحالي هي مجرد وهم بالتأكيد،يمكن لك تصور

الأمر ببساطة،فالمادة هي تكاثف للطاقة،ويمكن النظر إلى الطاقة كوحدة أساسية معبرة عن الوجود،إن ما نطلق عليه أحداثاً يومية..أفكار ..وحتى أفعال ..ما هي إلا تغير لخريطة تكاثف الطاقة حولنا،فالكون عبارة عن حقل هائل ومتفاعل للطاقة أشبه بتجمع مائي كبير كالمحيط مثلاً،ويمكن أن تتصور نفسك كموجة تسرح في ذلك المحيط ،في لحظة ما فإن إحتمال تلاقي موجتك مع موجة أخرى كبيرة هو إحتمال وارد،كان ذلك عندما اصطدمت شاحنة مسرعة بك هذا الصباح،إن ما يحصل لاحقاً للوعي أو الموجة الخاصة بك أنها كانت مجرد تعبير عن الطاقة المحركة للسطح ،تلك الطاقة لن تفنى بالتأكيد ولكن سوف تتخلى عن الشكل الموجي السابق (الحياة المادية)، طاقة هذه الموجة تتفرغ خلف الاصطدام و بعيداً عن السطح نحو أعماق البحر بعد أن قضت كل ذلك الوقت تتجول على سطحه،في هذه الحالة فإن شكل الموجة و طولها هو أمر مختلف تماماً عن تلك التي لا تزال على السطح،وإنه في الحقيقة من المستحيل أن تفهم الموجات السطحية أن شيئًا ما بالفعل موجود في الأسفل،فإن ما تراه حقاً هو التفاعل السطحي بين ما هو موجود "المادة" ممثلةً بالماء مثلاً و بين الفراغ،لذا يغيب حقاً عن بالنا أننا مادياً مجرد تفاعلات سطحية لمجال الطاقة الأوسع فالجوهر الحقيقي كامن في القوة المحركة في الأسفل ،**القوة المحركة للطاقة** ،أعتقد انه من الصعب حقاً وفي خضم كل هذه التعقيدات الهائلة أن يأتي شخص ما بفكره محددة عن مفهوم القدر أو السببية،لأن الأفكار البسيطة دائماً عندما تصف ظواهر معقدة تكتسب تلك البساطة من ربطها بالله وقدراته اللانهائية،وعندها فإنها بالفعل قد تبدو بسيطة لنا، ولكنها في الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك،هناك مشكلة جوهرية،تكمن في تصورنا بأن العالم بالفعل يمكن تبسيطه وجعله مفهوماً تماماً لشخص عادي يسير في الشارع مع العلم أن الأمر معقد بدرجة كافية لجعل عالم في الفيزياء النظرية يبدو أحمقاً،أعتقد انه ليس مهماً بالفعل سرد المعادلات والنظريات،بقدر فهم المعاني الفلسفية التي تخبرنا به ،ثم من خلالها نفهم المعنى الحقيقي للحياة اليومية والوجود ذاته.

الحياة من أجل المعنى؟

هذا ما يفعله الناس طوال حياتهم ،إن عملية اكتشاف أهداف الوجود ما هي إلا نقل لتلك الأهداف من الخافية في أعماق بحر الوعي إلى الوعي والشعور السطحي،فالمسألة لا تتعلق حقاً بتجسيم الأهداف الوجودية،كأن نقول أن الشخص كان له هدف لوجوده ثم ذهب ثم عاد،ما يحصل في الحقيقة أنه يدرك هذا الهدف ثم يصبح لسبب ما لا شعورياً ثم يعود شعوريا وهكذا،وهذا ما يصوغ التجربة الشعورية البشرية،عندما نقول أننا عثرنا على سبب وجودنا فهذا لا يعني حقاً أنه لم يكن موجوداً بداخلنا طوال الوقت،عندما يكتشف عالم ما اكتشافاً مهماً فإن ما يدفعه في الحقيقة إلى الحياة ليس الاكتشاف بحد ذاته، بل التجربة الشعورية المرافقة لها أما الباقي فلا يعدو كونه مجرد وصف لشيء لا أكثر،فما يحصل في الحقيقة أننا نقوم بإسقاط تفاعل داخلي على طبيعة

العالم الخارجي لاكتشاف أهداف وجودنا،فقد يكون الشخص محباً للتحديات والنصر،فعند إسقاط ذلك المكون الداخلي على شكل انتصار في رياضة أو علم أو فن فإن حياته بأكملها بل وتاريخ انتصاراته ما هو إلا ترجمه لها،وأصحاب الانتصارات المهمة،سواء أكانوا علماء أم جنرالات أم لاعبي بيسبول فهم فقط أسقطوا مكوناتهم الداخلية على هذا العالم على شكل تلك الانتصارات والنجاحات،ولذا فقد وجدوا معنى لحياتهم،وكانت حياتهم حافلة جداً إلى درجة جعلتهم يعملون بأعلى فاعلية ممكنة،وهنا ينشأ الأشخاص المتفوقون،فهم ليسو متفوقين لأن شيئاً ما لديهم ليس موجوداً في الآخرين بل لأنهم ببساطة نجحوا في ترجمة تلك المركبات الداخلية إلى مظاهر خارجية،لذلك فمن العادلة التصور بأن الجميع يمتلكون "معنى لوجودهم" و أولئك الذين لا يمتلكونه،هم ببساطة لم يستطيعوا الوصول إليه بعد،معنى الوجود يرتبط بقلب الإنسان،هل يمكن أن يوجد إنسان بلا قلب؟،ورغم أن القلب هو كيان غير مادي فإن له أشد الأثر على الطبيعة المادية،فنستطيع أن نرى كيف يولّد الحقد كل ذلك الدمار على كوكبنا،كما نرى كيف يصنع الحب والعلم الرخاء والأمن والسعادة،فمعنى الوجود مختزن بصورة غير مادية مخالفة لتلك الخاصة بالصراعات الغرائزية ،والإنسان ككيان ليس مجرد مدير لتلك الصراعات بقدر ما هو كائن ينصب اهتمامه على تحقيق معنى لوجوده،فهم حقيقة العالم هي مسألة معقدة،ومن الصعب حقاً فهم تفاعل الذات مع العالم الخارجي وأيهما المؤثر على الآخر،هل الذات تصنع العالم الخارجي أم العالم الخارجي يصنع الذات؟،ويبدو أن كلاهما يمتلك قدرة كبيرة على التأثير على الآخر،ففي حين تمتلك الطبيعة الخارجية القدرة على استدعاء مشاعر معينة تصنع سمات مهمة للذات،فالذات أيضاً تمتلك قوة كبيرة على التأثير في سير الأحداث الخارجية.

إن فوائد إدراك معنى الوجود عظيمة بالفعل،هي لا تمنحنا فقط الدافعية والرغبة في الإنجاز فحسب ،بل تحمينا أيضاً من الانهيار وتساعدنا على البقاء ،أولئك الذين سقطوا في هوة "الفراغ الوجودي" بحيث أصبحوا لا يدركون معنى لوجودهم هم حالة شائعة في هذا العصر،السبب الرئيسي هو البعد عن التقاليد،وربما وضعت العادات والتقاليد لهذا الغرض "إعطاء معنى للوجود"،عن طريق تضييق الخيارات ومساعدة البشر في الإختيار،وقد تبدو تلك التقاليد سخيفة أحياننا ومقيدة لحرية الفكر،ولكن ماذا يحصل عندما تتسع الخيارات ولا يجد الشخص حقاً دعماً تؤمنه العادات والتقاليد في تحديد اختياراته فهو في الحقيقة يصبح عاجزاً عن تحديد ما يريده وما يحبه،كما أن هذا التقدم الهائل في التكنولوجيا خلق وقت فراغ هائل جعل العديد من الأفراد لا يعرفون بالفعل كيف يستغلّون كل ذلك الوقت ،يترجم الأمر بالملل أو الضجر أحياننا ،الأخطر بالفعل هو نقله على شكل نوع من العنف اتجاه المجتمع لحرمان الآخرين الذين يجدون معنى للوجود من الاستمتاع بحياتهم.

تحقيق معنى الوجود

إن السقوط في دائرة الفراغ الوجودي ليست النهاية بالتأكيد ،ربما هي مفيدة بالفعل إن أحسنا استخدامها كنوع من التحول أو التغير في الحياة،يترجم الأمر عادة بشعور غير مفهوم للملل و الضجر ناهيك عن غياب السعادة،يحصل ذلك عندما نفقد المعاني في حياتنا،الموت والمعاناة هي عادة ما ينزع المعنى من الحياة،هناك عوامل آخرى أقل تأثيراً كنمط الحياة أو طريقة التفكير،ضرر الفراغ الوجودي هائل بالفعل،إنه مضيعة كبيرة للوقت ناهيك عن الخسائر الناتجة عن غياب الدافعية في الإنتاج،في المجتمعات الصناعية تحول تفريغ الفراغ الوجودي إلى تجارة مربحة،الشخص الذي يصاب بالفراغ الوجودي عادة ما يلجأ إلى تبذير المال أو الجنس أو المغامرة في سبيل ملىء هذا الفراغ،الشركات الكبرى تعلم أن هذا بالتأكيد مفيد لزيادة أرباحها ،لذلك نرى أن الإنتباه في تلك المجتمعات منصب على علاج الفراغ الوجودي بعد الإصابة به بدلا من معالجة أسبابه،وهذا منهج التحليل النفسي الحالي ،أي وضع المشكلة الأساسية تحت كم هائل من المسكنات و تجاهل الجوهر،كما أن إنفاق الناس أموالهم عند شعورهم بالملل هو أمر جيد للاقتصاد الرأسمالي،لذا لا يبدو قادة تلك المجتمعات مهتمين فعلياً بعلاج مجتمعاتهم روحياً،لذا تبقى تلك المسؤولية"الخروج من الفراغ الوجودي،مسألة فردية ، وعلى الأفراد معالجة أنفسهم بأنفسهم،وإذا كان الأفراد في المجتمعات المتقدمة يمتلكون ما يكفي من الموارد المالية لتبذيرها عند الشعور بالملل والفراغ الروحي،فالأفراد في المجتمعات النامية لا يمتلكون تلك الرفاهية بل الإنفاق غير المدروس سيخلق لهم المزيد من المعاناة والتي تنتزع المزيد من المعنى من حياتهم بالتالي المزيد من الإنفاق و الدائرة قد لا تنتهي إلا بالانتحار،لذا بدلاً من غمر الأمر بالمسكنات علينا معالجة الأصول الأساسية للفراغ ذاته،اعتقد أن البرمجة العصبية والتنويم المغناطيسي الذاتي تنجح عادة في إزالة العوارض الناتجة عن المرض ذاته ولكنها وبشكل سخيف تبقيه موجوداً لأنها غير قادرة على إزالته نهائية،فلو أن الشخص فقد عزيزاً ولم يستطع أن يجد معنى لهذه المعاناة فإن كل ما يقوم به العلاج النفسي والتنويم المغناطيسي هو محاولة جعله ينسى قصرياً تلك المعاناة والتي ستعاود الظهور عند تذكرها مجدداً،لكن لو بالفعل عثر على المعنى من تلك المعاناة فإنه ليس بحاجة إلى العلاج،فالمعيار المهم هنا ليس الاتزان الداخلي بقدر التطور والنضج في الحياة.

المعنى النهائي

علينا في البداية الإيمان بوجود المعنى النهائي لكل شيء،كافتراض ضروري لوجودنا،علينا الإيمان بأن كل شيء في هذا الوجود له معنى ما حتى وإن لم ندركه،و هذه فكرة مضادة لمفهوم **العدمية الوجودية** والتي تستند على الاعتقاد بأن هذا الوجود لا يمتلك فكرة حقيقية أو معنى لوجوده،كبداية عليك أن تدرك الأمر اعتقادياً،كمسلمة أو افتراض مسبق،إن سبب افتراضه مهم

للغاية،إنه ضروري للحياة،تخيل أن طفلاً امتنع عن استنشاق الهواء حتى يفهم ما جوهر ومعنى هذا الهواء ،فإنه بالفعل سوف يهلك قبل أن يدرك الحقيقة،السبب في الافتراض ليس ضعف المعرفة أو عدمها بقدر ما هو حاجة للبقاء والتطور إلى أن يتم فهمها(أي الحقائق) بشكل واضح،حالياً نحن لا نمتلك الوسائل المناسبة والتكنولوجيا للبحث في المضمون الخاص بمعنى الوجود كمعنى مجرد لكن نحن كأفراد بحاجة إلى ذلك المعنى، ،**الطاعة والعبادة**،كل المخلوقات لا يمكنها العيش دون أن تخضع أو تطيع شيء ما، ومعنى ذلك أن المخلوقات ناقصة في جوهرها أي أنها غير قادرة على البقاء بمفردها دون عون خارجي لإعطائها معنى لوجودها ودعم هذا المعنى،وهي تعبر عن هذا الضعف أو النقص عن طريق الطاعة والعبادة،لذلك يبحث الناس دائماً عن شخص أو قوة لتترأسهم، فالأفراد العاديون يتجمعون نحو القادة والحكماء ليتمكنوا من التخلص من هذا الضغط الداخلي،دائماً نبحث عن مرشد أو ملهم أو قيم ومعاني لتقودنا خلال هذه الحياة وتمنحنا تلك القوة الكافية لتحقيق أهدافنا،شخص ما أو شيء يجب أن يكون أفضل منهم دائماً،المخلوقات كلها تبحث عما هو أقوى منها لتؤمن به،وهكذا ولدت كل الحقائق في هذا الكون،القوة تسود فوق الآخرى ، كدوامة عميقة لها مركز واحد تستمد منه كل قوتها وتدور حوله،القلب هو جوهر الإنسان،وجوهر الإنسان هو الضعف والموت،السبب في ذلك أن البشر ليسوا آلهة،بل هم محدودون وضعفاء للغاية،هل الاعتراف بالنقص والتوجه بطلب العون مما هو أقوى شيء محبط؟ لدرجة تدفع المخلوق للسؤال عن سبب وجوده وضعفه؟،لو إمتنع مخلوق ما عن العبادة والطاعة فهو فالحقيقية يدعي انه مساوي لخالقه في المقدار وليس بحاجة إلى اللجوء إليه أو طلب العون منه،ولو كانت الملائكة قد بدأت تأملاً أبدياً في عظمة الله اللانهائية، فإن البشر قد بدؤوا شقائاً لانهائياً لإدراك مفهوم الوجود المنتهي وبطريقة يائسة،إن علينا بدلاً من محاولة بحث قضية الإيمان بشكل منطقي أن نحاول فهم المعنى الحقيقي من الإيمان بحد ذاته،فالإيمان وسيلة لتحقيق الأهداف،إذاً يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحاً الآن،الإيمان هو سبب للبقاء،إذا كان علينا في البداية أن نؤمن بوجود المعنى النهائي (كضرورة عقلية)،فإن علينا في المرحلة التالية أن نحدد ما نؤمن به حقاً ،ولسنا في هذه الحالة مضطرين إلى تفسيره تفسيراً منطقياً بل علينا النظر إليه كمصدر للقوة نتداعى إليه خلال هذه الحياة،وسيلة لبلوغ الأهداف،إن المبادئ الدينية هي فالحقيقة ما يشكل هذا الجزء من التطور الذاتي وهي ما يعطينا المعنى الحقيقي الذي نستخدمه خلال حياتنا،كما أنها تسلحنا بالهدف النهائي والأهداف المرحلية كخطوة ثانية،لا بأس بالتأكيد أن نمتلك أهدافنا المرحلية الخاصة بنا،والتي تتماشى مع ما تقرره العقيدة التي نؤمن بها،أعتقد أن هذا هو المعنى الحقيقي للدين،حيث يكمن في الإرشاد ومنح البشر ما يمكنهم الاستناد عليه كنقطة مركزية،عندها يمكن أن يسيروا في هذه الحياة مطمئنين،لأنهم أصبحوا ببساطة يعرفون لماذا يسيرون على الأرض يومياً ولماذا هم موجودون،وما هي رسالتهم في الحياة،إن العودة في الماضي أمر مهم،لأنه يساعدنا في البحث عن الأشياء التي نعتبرها مهمة لنا،وعندما نعثر على تلك الأشياء المهمة فإنها تعطينا القوة اللازمة للحياة في الحاضر،علينا وبشكل جدي البحث عن الأشياء الغالية على قلوبنا،يمكن أن تكون مبادئ وقيم أو أشخاص عزيزين أو غايات وطموحات ،طالما أننا مستعدون للموت لأجلها تحقيقها،فهي أهداف حقيقية،هل تبدو تلك العبارة السابقة واضحة؟ أن نكون مستعدين للموت لأجل شيء ما ،يعني أننا في الحقيقة نرى الحياة دون تحقيقه أشبه بالموت،بينما نرى أن تحقيقه هو الحياة ذاتها،من السهل في الحقيقة التحدث عن المبادئ والأهداف بالكلمات لكن في الحقيقة من المستحيل أن تخدع قلبك،إن لم تكن تشعر بالهدف

الذي وضعته فهو غير موجود في الحقيقة،وإن لم يدفعك للعمل والتطور ويعطيك المعنى لحياتك ومعاناتك فأنت في الحقيقة لست بحاجة إليه،لذا فعلى الهدف أن يكون شيئاً تستميت بالفعل للدفاع عنه،وتتخيل أنه لا يمكنك بالفعل الحياة دونه.

في الحقيقة هناك حيلة صغيرة و لكن فعّالة لمساعدة أولئك الذين يجدون صعوبة كبيرة في الحصول على أهداف للوجود،وهي تتمثل بتمثيل الخروج من الوجود ذاته،أي تمثيلية للموت،في اللحظة التي تشعر فيها بأنك غير قادر على إيجاد هدف حقيقي لوجودك يمكنك إدعاء الموت،يمكنك الجلوس على أريكة أو سرير والشعور بالاحتضار وكأنك بالفعل ستخرج من هذا العالم خلال الدقائق العشر القادمة،يمكنك خلال هذه الدقائق والتي من المهم أن تصدّق أنها حقيقية بالفعل أن تستدعي بعض المشاهد أو الشخصيات من حياتك،وكأنها جاءت لتوديعك،ويمكنك أن تتخيل أن الأشخاص الأعزاء على قلبك يبكون أمام سريرك وهم يودعونك،يقولون انه عند الاقتراب من الموت فالشخص يرى صوراً متسلسلة لحياته من الميلاد إلى الوفاة على شكل لحظة خاطفة ،يمكنك استعراض صور كهذه طالما أنها تساعد على تجسيد واقعية الأمر،في الحقيقة يمكنك استعراض أي ميتة تريدها،لقد لاحظت أن هذا الأمر لا يؤثر كثيراً على فاعلية التجربة،بالطبع إذا كنت تعيش الأمر بكل جوارحك،لقد كانت هذه الحيلة قوية بالفعل لدرجة أنني حتى الآن لم أرى شخصاً قام بها دون أن يبكي أو أن يذرف الدموع وأن يصل إلى حالة غريبة من الضيق أو انفطار القلب،وعندها من الصعب القول بالفعل أن هؤلاء لم يكونوا قبل بضع دقائق يرون أي معنى لوجودهم،البكاء ليس دليلاً للضعف أو خطأ يجب الندم عليه،إنه يعني ببساطة أننا بشر نمتلك مشاعر وأحاسيس،وليس من الخطأ إظهارها إن كان ذلك كفيلاً بإيقاظ أهداف وجودنا،عندها ندرك أن أهداف وجودنا كانت موجودة بالفعل طوال هذا الوقت ولكننا فقط كنا ننظر إليها كلوحات معلقة على الحائط يسأم المرء من النظر إليها حتى لو كانت جميلة،وبدلاً من ذلك علينا أن نجعلها تجارب حية وواقعية نعيشها بكامل جوارحنا وأحاسيسنا عندها تصبح وقود لإشعال حماسنا وقدرتنا على الإنجاز، وفي بلادنا يتفاخر البعض أن أعلى معدلات الإنتحار هي متركزة في بلدان مثل السويد والنرويج رغم ثرائها المادي الكبير،ولكننا ننسى أن معظم حالات الإنتحار في بلداننا تتم لأسباب مادية كفقدان الوظيفة أو الثروة،وإذا كان السويديون ينتحرون بسبب الفقدان الروحي والوجداني فنحن ننتحر بسبب الفقدان المادي.

الالتزام بالمسؤولية

النظر إلى الإنسان كشخص مسؤول أمام ضميره وأمام المجتمع،هي من أولى القيم التي يجب أن يكتشفها الفرد،وهو أمر "أي المسؤولية" نابع تماماً من الداخل ولا يمكن لأي إملاء خارجي أن يفرضه على أي شخص،عندما تحدد الهدف الحقيقي لوجودك فإن ما يجب عليك فعله فوراً هو التحلي بالمسؤولية إتجاه ذلك الهدف وإتجاه نفسك وإتجاه الآخرين،في الحقيقة هذه ليست رفاهية فكرية،بل هذا ما يميز الشخص الناضج حقاً عن الأطفال ،من الأمور السيئة ما تجده في عقول الآخرين عندما ينظرون إلى التنوير ك"تخلي عن المسؤولية العقلية"إتجاه الأفكار والرؤى السابقة

والتحرر نحو اللامسؤولية واللاتحديدية،المتنور الحقيقي دائماً سيلفت النظر والإهتمام إتجاهه وإتجاه أفكاره الجديدة،فهو يصنع نظرة جديدة للحياة يتبعها الآخرون،لذا عليه أن يتحلى بالمسؤولية إتجاه تبنيه لأفكاره وإتجاه رغبته في التعبير عنها على شكل تغيير حقيقي ومؤثر،وتحمّل المسؤولية ليس بالأمر الهيّن،و خاصة المسؤولية إتجاه الله،نذكر أن السماوات والأرض رفضت تلك المسؤولية،هؤلاء الذين يحبون العيش على أقل قدر ممكن من المسؤوليات هم أشخاص محاصرون من قبل الفراغ الوجودي،وهم فارغون من الداخل أيضاً،أعتقد أن الحديث عن المسؤولية هو حيث عن مفهوم جوهر الإنسان بحد ذاته،والتساؤل عن معنى الوجود نابع من شعور البشر بمسؤولية ما إتجاه الوجود حتى يتساءلوا عن معنى له ،بينما الحيوانات الأخرى لا تبالي حقاً بذلك،**فالمسؤولية والشعور بها جوهر إنساني**،ماذا يعني أننا مسئولون حقاً؟ لا أعتقد أن العقل يمكن أن يستيقظ تمام اليقظة دون تحمل المسؤولية إتجاه ما يحمله من معرفة ورؤية،أن تعقد العزم على أن تستيقظ وتحيا ،أن توسع أفقك وتبحث...تتأمل وتتعلم المزيد عن العالم فهذا كله لا يعبر سوى عن شعور صادق بالمسؤولية إتجاه جوهر الذات والكون،دائماً ما تتحدث مذاهب علم النفس عن إحتياجات الإنسان وإشباعها ولكن نادراً ما تتحدث حقاً عن واجباته وإلتزاماته إتجاه الآخرين وإتجاه كل شيء آخر،في الحقيقة هذه ليست مسألة نطالب بها علم النفس بقدر ما نطالب بها الفلسفة أو الدين،ولست هنا واعظاً دينياً،لكن لا أعتقد حقاً أن محاولة إبعاد البشر عن القيم الدينية التي تحمل معاني الإخاء والمحبة الإنسانية وتحمل المسؤولية هي فعل سديد حقاً،قيم الديمقراطية والعلمانية أسهمت في منح حريات كثيرة للشعوب ولكنها خلقت بالمقابل فراغاً وجودياً مقيتاً،السير في الشوارع هكذا وكأننا مجموعة من الآلات حيث لا يشعر الفرد بالفعل أنه يحيا ضمن مجموعة ينتمي إليها وتهتم بالفعل لأمره،و الناس بالفعل أصبحوا لا يعرفون ماذا يريدون،**النفس اللوامة** أو الضمير المسؤول أو حتى الشعور بأن شيء ما خاطيء أو لا يسير كما يرام هي أشياء مهمة لا يمكن للبشر أن يحيوا بتجاهلها،تحمل المسؤولية يتناسب مع القوة والمعرفة التي تمتلكها،المسؤولية إتجاه النفس والخلاص الذاتي والتطور خلال الزمن هي البداية، فنحن لا نعيش إلى الأبد،ما الفائدة من أن نحيا إذا كنا نظن أنفسنا أجسام كربونية متهالكة مع الزمن لا تحمل أي مسؤولية أو معنى،تحمل المسؤولية إتجاه النفس بأن ندرك الحقائق البسيطة والواضحة تماماً والتي تقف أمام أعيننا مباشرةً،وهي أننا كبشر مخلوقات محدودة تماماً زمنياً،وإن حياتنا خلال هذه الفترة الزمنية البسيطة ما هي إلا تعبير عما نريد أن نوصله من رسالة كمن يطلب أن يعرّف عن نفسه بكلمة واحدة،فمن المفترض أن تكون تلك الصورة أفضل ما تكون عليه،كما علينا أن نتحلى بالشجاعة،بأن نعيد النظر إلى أنفسنا وأن نعقد العزم أن نحيا بأفضل شكل ممكن،وأن ننظر إلى حياتنا هذه وكأننا نحياها للمرة الثانية ،وأننا نفسد الأمور الآن كما أفسدناها في المرة السابقة،لذا علينا بذل جهد أكبر لكي نحيا أفضل مما كنا سنحيا في كل مرة،إنها الشجاعة ثم الإرادة،بالفعل يمكنها أن تصنع المستحيل بشكل نظري،لكن لابد لكل إنجاز عظيم من بداية،ومن يقرر متى تبدأ تلك البداية هو حتماً أنت،يمكن أن تأتي تلك اللحظة الآن،ويمكن أن تأتي غداً أو بعد أسبوع أو بعد شهر،كما يمكن أن تبقى خائفاً لا تشهدها خلال حياتك ،ويا لها من حياة بائسة تلك التي تحياها دون إرادة،لا بأس من إستخدام أساليب التنويم المغناطيسي لدعم عملية التغيير لكن لازلت أصر بشدة أن منبع التغير وبدايته كامنة في إتخاذ القرار الحاسم ،بتحمل المسؤولية عن الذات،و بالرغبة بالحياة بشكل أفضل و ترك بصمة معبرة عمن نكون بالفعل،وتلك هي البداية الحقيقية،أما المسؤولية إتجاه الله فتكون بتحمل الأمانة التي

أودعها في أنفسنا،أمانة الإستخلاف في الأرض و العبادة وبإدراك المعنى الحقيقي للإثنين،عندما ننظر إلى أنفسنا كخلفاء لله على هذه المعمورة فنحن بذلك نحاول فهم الطبيعة الحقيقية للكون و حقيقة الإتساع للمملكة الطبيعة،كم تصبح الأمور واضحة عندما نتناول الأمور ببساطة ضمن مسلمات واضحة،وكم تصبح الصورة قاتمة و يائسة عندما نتناول الأمور من منظور فكري ضيق،فهم علاقة الله بالإنسانية وفهم علاقة البشر ببعضهم و فهم حقيقة الأديان والتسامح بين الأمم هي حسب رأي المفتاح الحقيقي لحل أزمات هذا الكوكب،و رغم بساطة تلك الكلمات فإن صاحب الفكر الضيق لا يرى سوى التعقيد و الغموض والإستحالة واليأس.

التحدي والاختبار

إن الطبيعة الباعثة على التحدي والدافعية في الحياة مرتبطة بشكل كبير بنظرة الإنسان إلى ذاته،وهذا يعني باختصار أن ما نقوم به في حياتنا اليومية لا يعد سوى تعبير عن الذات،إن غياب التحدي والتطور والألم في الحياة ليس شيئاً جدًا لذواتنا وتطورها،فنحن نحتاج أن نتألم وأن نفهم ذلك الألم و نحتاج إلى التحديات والصعاب حتى نجد المعنى في حياتنا مستمراً،والراحة لا تكون إلا باستمرار العمل والتحدي بشكل ما،لهذا يضع الناس أنفسهم في تحديات مستمرة على الدوام،لأن ذلك فعلاً ما ينشأ الاتزان الداخلي وهو الوضع الحقيقي التي يجب أن نكون عليه وليس أن نختبئ مرتاحين في مكان ما وننتظر أن يحسدنا الآخرون،وقد ننظر إلى الأفراد الذين يعملون بجهد كبير وتحدي مستمر كأشخاص غير محظوظين ولا يمتلكون وقتاً كافياً لتمتع بالحياة بينما نحن في الحقيقة لا نجد بالفعل ما يمكن القيام به خلال كل ذلك الوقت الطويل الذي نقضيه في الإجازة الصيفية أو حتى في إجازة نهاية الأسبوع،ماذا يعنيه تحقيق الذات حقاً؟،الجلوس والسكون والتأمل الطويل؟،إن جزء كبير من تحقيق الذات إن لم يكن كله يقع في الأساس في العالم الخارجي لأن أفعالنا الخارجية هي التي تقرر بالفعل تصورنا لجوهرنا الداخلي،فلماذا لا يكون المظهر كالجوهر،وما الفائدة أن تكون شخصاُ محباً للعمل والنشاط من الداخل و كسولاً من الخارج،لذا فالتفاعل مع العالم الخارجي الحقيقي ضروري لتطوير الجوهر الداخلي وإلا فإننا سوف نبقى حبيسي عالم افتراضي لا نعلم بالفعل مدى حقيقته،لذا إبقاء أنفسنا مشغولين بالتحديات والتطور الذاتي هو أمر شديد الأهمية لإبقاء الفراغ الوجدي بعيداً قدر الإمكان ولمساعدتنا على فهم العالم،لا يعني ذلك إنهاك أنفسنا والإصابة بالقلق والتوتر المزمن والأرق،بل تطوير قدراتنا الذاتية والنضج المثمر مع الزمن،وتحقيق معنى مستمر في الحياة،نحن نتقدم خلال الزمن،ويكون ذلك التقدم سواء بعمل أو علم،وإذا لم نعمل شيئاً أو نتعلم شيئاً خلال اليوم فكيف نكون قد تقدمنا؟،إن التحدي والإختبار أساسي لبناء دافعية وهدف للحياة،وحالة التوتر والقلق التي نشعر بها قبل الإمتحان والتحدي ضرورية تماماً لأنها تعبر عن مسؤولية إتجاه تطوير حالتنا الحالية إلى حالة آخرى أكثر تطوراً،إن التخلص من التوتر باللامبالاة ليس شيئاً صحياً،لقد بالغنا حقاً بالرغبة في قتل التوتر والقلق،مع ان غيابهما من حياتنا يجعلنا غافلين وكسالى،ونكون أقرب إلى الموت منا إلى الحياة.

الحب

أعتقد (بشكل شخصي) أن معنى وجودنا متصل عادة في الأشياء التي نحبها،دائما وبشكل تقليدي نتصور أن معنى وجودنا يمكن في مكان ما بين النجوم أو في أعماق الفضاء الذري،وخلال العصر الحديث أثبتت تلك النظرية فشلها لأن كل ما نكتسبه هنالك لا يخبرنا حقاً من نحن بقدر ما يخبرنا عن ماهية تلك الكيانات،إن الحقيقة أبسط من ذلك بكثير،عندما تجد شخصاً تتعرض إرادة "معنى الحياة" لديه لانتكاسة ليس حقا بحاجة لمعرفة ما يوجد في قلب النجوم بقدر ما يحتاج لمعرفة ما يوجد بقلبه،إن الأمر أشبه بالوعظ و الإرشاد الاجتماعي،عليك أن تساعد الآخرين على فهم هدفهم والسبب في وجودهم،إن أسباب الوجود لا تُصنع صنعاً،الإنسان لا يستطيع في الحقيقة بناء جوهره الداخلي بل يكتشفه وبالتالي يكتشف سبب وجوده،الأمر بأكمله خارج نطلق الوعي،إنه في أعماق اللاوعي حيث تتشكل الحقائق ببطيء،وهذا أمر لا يعلمه العديد من الأفراد،حيث أنهم يتصورون أن سبب أو هدف وجودهم يصاغ بعبارة من خمس أو ست كلمات واضحة ويمكن إدراكها بسهولة وكأنها "كلمة السر" التي ستمنحهم السعادة والدافعية في الحياة إلى الأبد،مع أن الأمر بأكمله مختزن في ذواتهم اللاواعية والتي يتوجب عليهم اكتشافها بأنفسهم،إن كانت أسباب الحياة أشياء تؤذي قلوب البشر فليس البشر في حاجة إليها،الأسباب الخاصة بالوجود هي أمور تمنحنا الدافعية والرغبة في الحياة والتمسك بها إلى أقصى حد ممكن،معاني الوجود هي أمور تساعدنا للبقاء أحياء عندما يفترض أن نكون أمواتاً،هي ما تجعلنا نفعل المستحيل للدفاع عنها،لذا عندما لا نمتلك في قلوبنا أشياءً ثمينة ندافع عنها فما الذي يبقى لنا؟،لوهلة تبدو تلك العبارات فضفاضة المعاني ولا تشير إلى شيء محدد أو ذو أهمية كبير،لذا أعتقد أنه من المفيد حقاً استعمال الأمر في الحياة العملية لإدراك حقيقته،علماء الفلك والفيزيائيون ليسوا مخطئين،هم يعتقدون أن البحث في أسرار الكون يختزل أسباب الوجود لأن ذلك ما يحبون القيام به بالفعل،وبالنسبة إلى عامل كادح فالذهاب صباحاً إلى العمل لتأمين لقمة العيش للأبناء هو الهدف الحقيقي لوجوده،وهو لا يعتبر الأمر حملاً ثقيلاً كان يمكن تفاديه ،بل يعتبر أنه من المستحيل حقاً تصور نفسه دون ذلك العمل "هدف وجوده"،عندما يبدأ بعض الآباء بفقدان إرادة المعنى تلك،يبدؤون في تعيير أبناءهم وتذكيرهم المتكرر بفضلهم عليهم،وهذا ما يحصل للجميع طوال الوقت،عندما تبدو الحياة قاتمة ومملة حقاً وخالياً من الدافعية فهذا يعني ببساطة أننا لم نعد نحب ما نفعله،وإذا لم نفكر أو نفعل شيء نحبه فالأغلب أن تلك الحالة ستستمر ،الإيمان و الحب،تبدو عبارات مفهومة تماماً للوهلة الأولى مع أنها في الحقيقية ألغاز شديدة التعقيد، والحياة البشرية بدونها تبدو مستحيلة،لسبب ما لا نعرفه حتى الآن الإنسان لا يمكنه أن يحيا دون أن يؤمن بشيء ما أو أن يحب شخصاً ما. **فسبب وجودك ليس شيئاً يمكنك أن تراه بكلتا عينيك أو أن تصفه بالكلمات بل هو شيء عليك أن تشعر به**،فهو ليس شيئاً مرتبطاً بالمنطق و العقل بقدر ارتباطه بالمشاعر والقلب، إن الأمر مثير للإهتمام ،إنها مشابه للحيرة التي اتسمت بها حياة النبي إبراهيم عليه السلام،عندما أخذ يراقب تقلب الظواهر الطبيعية بحثاً عن سر الوجود،وفي حين أن تلك الحيرة هي أسباب للفوضى العقلية والاضطراب إلا أنها خلفت شخصاً طيب القلب و حساساً جداً كسيدنا إبراهيم يقول تعالى(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) ١٤٤ سورة التوبة.

سبب تعاسة البشر في هذا العصر أننا اعتقدنا بأن مليء حياتنا بالأشياء "ذات القيمة المادية

العالية" وحتى وإن لم نحبها أفضل من ملئها بالأشياء التي نحبها حقاً،كأن يتم إجبار الشخص على دراسة الهندسة أو الطب مثلاً لأن ذلك من المفترض أن يجعل حياته أكثر راحة من الناحية المادية بدلاً من التأليف أو الفنون لأنها أمور لا تطعمنا الخبز اليومي،وصحيح أن بعض الأشياء التي نحبها قد لا تستطيع أن تساعدنا على العيش بمستوى مادي عالي ولكنها في الحقيقة تمنحنا ما هو أهم من ذلك،هي تساعدنا على النضج و التقدم في الحياة وتساعدنا كي نحيا،وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان!،هناك يكمن ذلك الشيء الباطني،والذي من المهم حقاً إدراكه،إن فعل الأشياء التي لا نحبها هي وسائل للبقاء فقط وليست نمط للحياة،نحن مثلاً قد لا نحب الإبر ولكننا بالتأكيد لا نحب الإصابة بالأمراض المعدية،أما إذا استمررت في فعل الأشياء التي لا تحبها فقط لأنها ضرورية للبقاء ضمن مستوى معيشي معين أو مكانة اجتماعية أو ما شابه،فأنت في الحقيقة لست سوى أداة في أيدي الآخرين،ومن الصعب عنها أن تعكس جوهرك الداخلي الخاص،وعندها ستفقد بالتأكيد المعنى الحقيقي لوجودك.

الدّين

للمتديّنين.. الدين يصنع إدراك المرىء ...أو على الأقل يشكّل قسم كبير منه ...أمّا بالنسبة للذين لا يشكّل الدين لديهم طريقه في الحياة أو لا يؤمنون بوجود إله فإن حياتهم تكون مبنية على أسس آخرى بديلة ...قد تكون نظرة إجتماعية أو مذهب فكري...وقد لا تحوي حياتهم أي فكرة أو مغزى ...كأن تكون مجرّد إستجابات لما يصادفونه في حياتهم اليومية.

لصناعة الطريقة المثلى في الحياة هل يجب أن تكون النظرة الدينية هي الأساسية؟ ...ولكن ما هي النظرية الدينية؟؟؟

هل النظرة الدينية للحياة تعني الإيمان بوجود الله؟ ٨٠% من البشر في العالم يؤمنون بشكل أو بآخر بوجود قوة عليا تدير الكون...

أم أنها تعني تطبيق المفاهيم الدينية على طريقة العيش؟ .،

هل هي...الأخلاق...المبادىء...العلم......؟

أم تمثّل ببساطة السبب الرئيسي للبقاء...؟

كيف تبني نظرة دينية سليمة...كيف يصبح الدين عاملاً مؤثراً وصانعاً لحياتك...ولماذا يعزف أغلب الناس في عصرنا عن الإلتزام بالنظرة الدينية...؟

وقد يختلف معي البعض في تلك الفكرة ...فقد لا يجدون أن المشكلة في الفكرة الدينية بل يلقون بالآئمة على ملايين البشر الذين لسبب ما أصبحت عقولهم منتفضة على الأفكار الدينية.

هل هي المؤامرة؟؟؟ الغرب وثقافته...فساد انفس الناس؟؟ أم ماذا؟؟

لماذا نجد صعوبة بلبقاء ملتزمين لفترة طويلة؟؟ هل هي المغريات الدنيوية...ضعف الإيمان؟..

اعتبر أن أعظم إنجاز يمكن أن يفعله أي الإنسان هو ان يعيد صياغة نظرة الدينية ...بحيث تصبح

صلبة ...قوية...وقادرة على مواجهة رياح الزمن....

بناء المعرفة الدينية الصحيحة هي التي تبقى..أما الإنجراف وراء أي فكرة أو جماعة فقوتها تستمد من تلك الفكر أو الجماعة فتزول زوالها....

كل شخص لابد أن يحصل على ما يسمى "بالمراجعة الذاتيه".المراجعة الذاتيه تعني أن ترسم حياتك كلها كخط يبدأ بنقطة هي لحظة وجودك في هذا العالم.وهو يوم ميلادك ومكانه...وله رقم محدد تكتبه..يسير الخط بشكل مستقيم..وتمثل الأحداث التي مررت بها طوا حياتك..تنتهي إلى نقطة لا تعلم أرقامها..ويمكن أن تُعد جدولين أحدهما تضع فيه ما أنجزته خلال طول الخط..والآخر تملؤه بما تريد فعله ولم تفعله حتى الآن...فتضع نسبة مئوية للنجاح ..كم حققت حتى الآن وكم لم تحقق؟؟

أو يمكن أن تتخيل نفسك في لحظة الموت...قد تكون في حادث ..أو من أثر إعتداء أو تجد نفسك محاصراً وسط حريق أو ببساطة على فراش الموت الطبيعي..بماذا تفكر..هل تستطيع إستحضار هذه اللحظة؟

لكل إنسان مراجعته الذاتيه الخاصة ولا يمكن أن يخبرك أي إنسان ماذا عليك أن تفعل لتقيّم نفسك ولا أستطيع أن أخبرك من أنت ؟وأين أنت؟..ولكن أستطيع أن أشاركك بتجربتي الخاصة لعلها تساعدك على الوصول إلى أقرب منطقة من الحقيقة التي تخفيها بداخلك...

توقف عن محاولة تغير الآخرين...غيّر نفسك...

منذ عدة سنوات عندما بدأت في محاولة تغير نفسي للأفضل ..أجد نفسي دائماً ملتصقاً بشخصيتي السابقة...ولا يهم كم المدة التي أقضيها في الصورة الجديدة التي أردتها ...فإني في النهاية أعود إلى النقطة التي أردت التغيير منها...مما أصابني بالإحباط..

كانت مسيرتي الدينية حالها حال معظم الشباب الأمة في هذا العصر....(مسيرة غير مثالية) إذا جاز التعبير ...فلم أحفظ القرآن..ولم أدرك الكثير من الأحكام الشرعية سوى التي ترد في المقررات التعليمية...أو من خلال البرامج التلفازية التي تناقش بعض المشكلات الفقهيه......فالإسلام في هذا العصر لم يعد التيار الشامل والوحيد في الحياة اليومية كما كان قبل ١٠٠٠ عام بل أصبح "تيار" مع العديد من التيارات والأفكار الأخرى..كاللبرالية والعلمانية والحداثة وغيرها...

والحقيقة أن الصحوة الإسلامية ..أو الحركة الإسلامية السياسية والتي ظهرت...في شكل حركات جديدة طفت على السطح في فترات السبعينات والثمانينات....مثل الإخوان المسلمين...وحزب التحرير...والقاعدة...وغيرها ..أضافت زخماً للحياة العامة في المجتماعت الإسلامية...وجميع تلك الحركات على خلاف توجهاتها الفكرية وأولوياتها...وطرق تنفيذ تلك الأولويات وهي كلها تجمع على فكرة واحدة فقط ومشتركة...وهي..

إعادة الإسلام...

وإعادته هنا تعني إعادة إحيائه ...فكرياً ...عقائدياً...سياسياً ..إجتماعياً...وثقافياً...وكل مناحي الحياة الآخرى...وذلك يشمل إحياء خلافة إسلامية شاملة أيضاً...

البعض منهم رآى ضرورة التدرج بالتربية ..كما فعل الإخوان المسلمون...البعض الآخر رآى

الكفاح المسلح "الجهاد"هو الوسيلة الوحيدة ...بعضهم وجهوها للأنظمة الحاكمة والمتهمة بإقصاء الإسلام عن الحياة العملية...والبعض الآخر وجهوها نحو العدو التقليدي..الإتحاد السوفيتي..ثم أمريكا وإسرائيل ..أحياننا أوروبا ولا نعلم ماذا بعد ذلك...

والبعض الآخر رآى أن العالم الآخر بأجمعه كافر..كونه غير مسلم...والبعض كفّر بعض المسلمين لأنهم إما مقصرون ومشاركون في الحملة لإقصاء الإسلام أو لأنهم موالون للغرب بشكل أو آخر......

والحقيقة أن مشكلة كل هؤلاء بدأت عند إنهيار الخلافة في إستطنبول...عام ١٩١٨ حسب ما أذكر...

وخلال مراهقتي كنت منجذباً للأفكار المعادية للغرب...والتي ترى أن تفجير قنبلة هيدروجينية عملاقة في نصف الكرة الأرضية الغربي كفيل بإنهاء عذاب البشرية...وإعادة الإسلام قوة لإدارة العالم...

وكانت تلك المرحلة مصاحبة لأحداث مهمة مثل أحداث سيبتمبر وإنهيار البرجين وغزو أفغانستان والعراق...والإنتفاضة...وغيرها...من الأحداث التي ولابد أثرت على حياة كل شخص بشكل أو بآخر في الشرق الأوسط وربما...وصنعت جيلاً جديداً من الشباب...بدأ ينظر نضرة جديدة لهذا الصراع بإعتباره أصبح الآن شيئاً واقعاً....ويجب الإستعداد لحرب متوقعه مع طرف ما قد يكون إسرائيل أو الغرب أو أمريكا.....

والبعض الآخر لم يكترث إطلاقاً للأمر وإختار ما يسمى بالطريق "المعتدل" وهو ببساطة سلخ الإسلام من الحياة العملية وإستبداله بمفاهيم الحداثة والثقافة العالمية...وغيرها كثير...

ولا فائدة من التحدث في هذا الامر بعمل تصنيفات هنا أو هناك...فالجميع سيبدأ بإتهامك إما بالتطرف وإمّا بالتفريط...الكل مقتنع بوجهت نظره...ويرفض الآخر...فالأمر إّما معنا أوضدنا....

وأصبح سؤال الشخص عن توجهاته الدينية أو نظرة إلى الدين كافياً لتصنفه...إلى متشدد..أو علماني..أو كافر أو منافق أو ماشابه...وفي الحقيقة كلها حالات متطرفة...

بالنسبة لي إستدعت مرحلة "التشدد" إطالة اللحية..قرآءة القرآن ...الصوم...قرآة الكتب الدينية والفقهية..والتخلص من "إستطوانات الأغاني الماجنة" في الحقيقة لم أكن معجباً بها على أي حال...ولم آسى على التخلص منها...وغيرها من طرق المعروفة...والبعض إستطاع نقل الامر إلى أبعد من ذلك مثل..الإنخراط في عمل مسلح...ونقل المشكلة إلى أرض الواقع...إلى الأرض المحروقة..ورائحة الجثث...الطلقات الصدئة..المتفجرات والألغام...رائحة اللحم المحترق وصوت الصراخ والألم هنا وهناك...هل في تلك المنطقة عثروا على الحقيقة؟.....أردت فقط أن أعرف..هل وجدوا الله وسط ذلك الركام؟...

ولم يكن السؤال بهذه القوة في البداية....كل ما أردته أن أشعر بالدفىء الروحي والراحة الداخلية....أردت أن يسمع ندائي و أن أشعر بأنه قريب مني ..يساعدني في تخطي الصعاب في حياتي...وأردت أن أعرف ماذا يعني أن تؤمن بالله حقيقة..ماذا يعني أن تشعر بقرب الله منك...ولم أبالي بالجنة أو النار...أردت فقط أن أستشعر عظمته وقوته...وأردت أن يريحني من حيرتي ...ويجيب على تساؤلاتي...ويرشدني...أردت ان أسخر كل طاقاتي...لأعرف الطريق أن يريدني أن أسلكها..كنت أحتاج إلى إشارات....تلك هي حقيقة كل إنسان ...يخاطب الله...وذلك

هو الحوار الذي يدور بين المخلوق والخالق......لا أتصور أن أي إنسان يطمع بأكثر من أن يرى الله...فتلك هي النعمة الحقيقية...هي السبب الذي يجب ان نعيش لأجله...هي اهم من التعلم...الإستثمار المالي...الإنجاز الحضاري أو الفكري...المال أو الجنس..القوة أو الذكاء...هي أهم من الحياة...

ولأصل إلى ذلك الهدف...كان هناك العديد من المشاكل والمعضلات التي كان يوجب حلها...

لوضع الأساس في علاقة صحيحة "فكرياً " مع الله يجب أن تصل إلى القناعة الكاملة التي لا يشوبها شك ...يجب أن تصل إلى الإيمان الكامل...يجب أن تعرف ..لماذا أنت موجود...وماذا يجب ان تفعل...وماذا ستجد في طريقك إلى النهاية...وذلك هو الأساس والقاعدة الصلبة التي يمكن أن تتدرج منها...

ماذا يعني الله لك؟؟ في حياتك...في تعاملك مع الآخرين...في خلوتك...وكم مرة ناجيته مخلصاً له؟؟...كم بقيت من الوقت دون الحديث له...كم من الوقت بقيت دون ان تتوسل له وترجوه الرحمة...؟؟؟..

لا تعتقد أنه بإمكانك...الفرار من الإجابه على تلك الأسئلة...لأنها ببساطة ستلاحقك أينما ذهبت...فهي محفورة عميقاً داخل نفسك...وهي تعبّر بيأس في هذا العالم...عن مدى المأساة التي وصلت إليها في حياتك الحالية....

لن تعثر على الإجابة من تأمّلات أو أفكار شخص آخر...فأنت أدرى الناس بنفسك...

يولد الناس في هذا العالم...ويقابلون ديناً ما يوالونه طول حياتهم...وتأتي لحظة الموت ..فلا يدرون هل أحسنوا أم أخطؤا؟

إن كانت هناك ولادة مادية واحدة خلال حياتك ...فيجب أن تكون هناك عدّة ولادات روحية.تجدد روحك مرة بعد الآخرى.

لماذا خلق الله الإنسان

أسرّ لي أحد الأشخاص مرّةً...بعد أن طلب مني التكتم على ما سيسره لي...أنه يجد صعوبه في التصديق بأننا كبشر خُلقنا كتجربة أخلاقية من قبل قوة عليا...فالبشر بالمليارات أشبه بالنمل...من يكثر بأخلاقيات النمل ..وبما يفعل؟؟؟...هل وُجد الإنسان لإتباع "مجموعة من القيم والأخلاق "..؟؟!! وما حاجة الله إلى ذلك؟؟

وكنت وقتها أتناول قدح من القهوة...ليستوقفني السؤال وألمح الرجل بنظرة فاحصة ...وأدرك مدى خطورة السؤال الذي يطرحه...والحقيقة أن الرجل ما كان ليطرح علي هكذا سؤال لولا إدراكه أنني قد أحاوره في أمر هكذا...وأجبته أنني لا لم انظر في حياتي إلى قضية الخلق على أنه أمر يمكننا ان نحاسب الله عليها...فهي نعمة تتوجب الشكر على أي حال...

ويبدو أن جوابي لم يقنع الرجل....وبقيت أنا مصدوماً كيف لم أتمكن من الرد على هكذا سؤال؟؟...

فحتى لو أجبته ان البشر خلقوا لعبادة الله فسيأسل ...لماذا؟؟ ولقد سألت الملائكة ذلك السؤال عندما أعلمهم الله بأنه سيخلق خلقاً جديداً على الأرض...

(وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠)البقرة الآية ٣٠)

أي أنهم سألوه ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أنَّ من شأنهم الإفساد في الأرض واراقة الدماء ظلما وعدوانًا ونحن طوع أمرك، ننزّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجّدك بكل صفات الكمال والجلال؟؟؟

فعبادة الملائكة أفضل ..وأكمل...فلماذا خلق الإنسان؟؟؟؟

(قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ).

من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم. ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة، والله أعلم.

قال قتادة فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة.

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١))

أنا أرى أن الآية السابقة تحمل الجواب اليقيني والنهائي لهذه المسألة....ولكن هناك خلاف بين المفسرين على معني"الأسماء" التي علمها الله لآدم...ماهي تلك الأسماء...أين كانت يجب أن نتفق بأنها كانت من الأهمية بحيث أن تستحق تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات بما فيها الملائكة أنفسهم...البعض رآى أن الأسماء:

هي أسماء الدواب والحيوانات...

أسماء أشخاص...

أسماء الملائكة...

أسماء النجوم..

اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء...

أسماء الأشياء كلها بما فيها...

وأنا أميل إلى الأخيرة...حيث أنها تعطي الأهمية الكبيرة ..والتفضيلية على الملائكة...فمن العلم ...ما أطلع الله به الملائكة...ومن العلم ما أخفاه عنهم...ومن بين ذلك العلم الذي أطلع آدم عليه..فما فضل بني آدم على سائر المخلوقات هو ذلك العلم....

وأميل إلى الإعتقاد أن علم جميع البشر ...بما فيه علم اليوم...هو جزء من ذلك العلم..الذي أطلع الله آدم عليه.....إذ لا يعقل أن يعلم أحدنا أكثر من مما علم آدم حول أسماء كل شيء...وأفضل من علم الملائكة...ولا يمكن أن يكون تعليم الجامعات والكليات الحديثة اليوم أفضل من تعليم الله لخليفته في الأرض...فقد أودع الله كل المعرفة اللازمة والمقدرة للإنسان في آدم عليه السلام...وكل ما نفعله في عصرنا الحديث هو إسترجاع بعض ذلك العلم...وهذا يؤكد...مصدرية العلم كعلم واحد عبر كل العصور والأزمنة...وأنه مدفون داخل كل النفوس البشرية كون أصلها واحد...ولكن تختلف في مقدار ما يمكن إسترجاعه....وهذا يؤكد على أهمية العلم كونه هو مقياس

التفضيل على سائر المخلوقات...وأن هذه (المكتبة المعرفية البشرية) هي الأوسع في الكون ..فلا الملائكة ولا حتى الجن...يمتلكون علماً مماثلاً...ولذلك إستحق الإنسان شرف عمارة الكون و الحضارة.

مقدمة عن الطريق الجديد والإسقاط النجمي[٣]:

مبدأ تعددية الوجود:أريد منك بالفعل تصور أشكال وجودك غير المادية وهذا أساسي للغاية،أنت لست العقل فقط وأنت لست بالتأكيد الجسد فقط،يمكننا تصنيف الوجود إلى قسمين،ويمكن أن تتصور نفسك كشخصين يعيشان معاً،الجسم الفيزيائي المرئي والجسم الأثيري،وهذا حقيقي تماماً،في بداية كتاب الرؤية عندما أردت البحث عن معنى الطبيعة الفيزيائية كما يتصورها العلم أصبت بنوع من الصدمة،ما يطلقون عليه "الأساسيات العلمية" ليست سوى مجموعة من الفرضيات،عندما تدرس الهندسة الإقليدية أو مبدأ العد دائماً تبدأ تلك العلوم بالفرضيات،فرضية واحد... فرضية ٢ وهكذا،وما هو المعيار الذي يستخدم في بناء الفرضية؟،المنطق؟!،في مبدأ ثنائية الإدراك البشري الذي ذكرته في البداية لا يمكن بناء العالم فقط بالمنظور المنطقي،لأن المنطق هو فقط جزء من الإدراك وليس كامل الإدراك،لقد أمضيت وقت طويل في الاتطلاع على الفيزياء النظرية وفيزياء الكم وماذا وجدت في النهاية؟،العالم هناك أشبه بالخيال العلمي،وأؤكد لك أن العلم متداعي إلى أقصى الحدود في تلك المناطق،والعلماء لم يعودوا قادرين على استيعاب الأساسيات التي نعتبرها اليوم أشياء بديهية،معنى الصفر و المالانهاية،المكونات الفيزيائية الأساسية وطبيعة الزمن والمكان والأكوان المتوازية؟،كلها مجالات أصبحت تتحدى العلم المادي،مبدأ فصل الوعي عن الجسد هو الامتداد الفلسفي للإسقاط النجمي في الحياة المادية،وهو مبدأ أروّجه منذ فترة في مقالاتي وكتاباتي،الطريق الجديد ليس هو العصر الجديد وليس امتداد له إذا كنت بدأت في التفكير من منظور نظريات المؤامرة،عندما نتعامل مع أجسادنا فقط كأدوات أي أننا نعتبر أنفسنا أو ذاتنا العليا خارج الجسد فإننا نتحرر من الألم والكراهية والخوف،نكتسب باستمرار الكثير من الحكمة والمحبة والسعادة،أنا شخص أكره المادية بصورتها الحالية،واعتقد أنها سبب جميع المشكلات في هذا العصر ،البشر ببساطة تحول وعيهم بأكمله إلى عقولهم،الواقع بأكمله يتمركز في عقولهم وهناك من يتمركز واقعهم في أجسادهم وهم أسوأ،بوذا اخطأ عندما طلب من الأفراد الذين يرغبون بالتنوير أن يعتزلوا الناس،لا يجب لكي تجد السعادة وتحقق روحية في حياتك أن تعتزل الآخرين،فقط أنظر إلى نفسك كما تنظر إليها من الخارج خلال تقنيات بسيطة يمكنك تحويل الإسقاط النجمي إلى فلسفة في الحياة،تجعلك قادر على محاربة القلق والتوتر وتحقيق معنى أعمق للذات والوجود،لقد أطلقت على هذا النمط من الحياة والتفكير "الطريق الجديد" وهي ليست مذهب ديني أو فكري.

نوع من الالتزام الديني ضروري:

---

[٣] الإسقاط النجمي :رياضة روحية يتمكن فيها الشخص من مغادرة الجسد المادي في صورة روحية وإستقبال معرفة من العالم المادي أو خارجه،عرفت خلال العصور القديمة و اليوم إنتشرت بكثرة كجزء من علوم الطاقة.

إن التنوير والتحرر الفكري ليس بديل عن امتلاك عقيدة صحيحة وقوية،لماذا يجب أن تمتلك التزام ديني معين؟،وما علاقة ذلك بالإسقاط النجمي،الإسقاط النجمي ليس مجرد ترفيه،بل هو تجربة روحية عميقة ظلت حبيسة بعض التيارات الدينية السرية،الإسقاط النجمي هو أداة مهمة للتغير النفسي والروحي،لماذا البشر دائماً يتغيرون بعد خوض تجربة الاقتراب من الموت؟،لأنهم بالفعل يخرجون من أجسادهم ومن العالم ويشعرون بالحرية للمرة الأولى تدفعهم لإدراك أهمية الحياة وقيمتها،قد لا يتذكرون كامل التجربة ولكن الأثر الإيجابي اللاواعي يبقى،لذا فالإسقاط النجمي من أهم الوسائل للتغير و الحياة بإيجابية،التأمل والإسقاط النجمي والممارسات الآخرى كلها تهدف إلى تعميق التجربة الروحية في الإنسان،ولكن الإسقاط النجمي مختلف،المستويات النجمية مأهولة بكائنات آخرى،معظمها بدائي وغير مضر،ولكن هناك أعداد قليلة منها تمتلك ذكاء وطاقة أكثر كثافة،وهذه الكائنات وعلى قلتها قادرة على إيذائك بشكل ما،عندما تقوم بالإسقاط النجمي في غرفتك فهذا لا يعني المعنى الحرفي للمكان لأن غرفتك في العالم الحقيقي قد تكون جزء من غابة في المستويات النجمية أو قاع لمحيط أو حتى منزل لأحد الكيانات النجمية،فأنت بالفعل تنتقل بالكامل إلى مستوى وجود مختلف،هذا ما لا تركز عليه مذاهب الإسقاط النجمي الحديثة،لا يتحدثون كثيراً عن المخلوقات التي تعيش هناك،لأن معظم الناس عندما يقومون بالإسقاط النجمي يبقون ضمن المستويات السطحية القريبة من العالم الحقيقي،التصادم مع الكيانات النجمية وخاصة الذكية منها أمر ممكن،وبالتأكيد فالموت ليس أحد الاحتمالات الناتجة لكن لا احد بالفعل يرغب بأن يعلق داخل كابوس حقيقي،لكن عندما ترى ما يخيفك بالفعل ترغب بأن يكون لديك شيء قوي يمكن لك التمسك به للخروج من ذلك الموقف،في الغرب يتخيلون هالات من الضوء حولهم،من المهم أن تمتلك أشياء إيجابية في حياتك تساعدك في حماية نفسك من أي أخطار ممكنة خارج الجسد،البعض مشكوراً قام بعمل ما يشبه "الدعاء" أو ذكر معين قبل ممارسة الإسقاط النجمي طالما أن الأمر يمنحك الطمأنينة ويبعد الخوف عنك فأنا أؤيده بشده،وهذا اختبار جميل يريك بالفعل إن كان إيمانك حقيقي إن كان قادر على منحك السلام والطمأنينة عند الخوف أو أنه مجرد بناء من الورق ولدي شعور أن هذا هو الأغلب.

إحداث نوع من التغير في الحياة والسلوك من خلال الطريق الجديد هو الهدف الأساسي الذي أرغب بنقله إليك بصدق ومجاناً،لأنك تكتسب الحكمة خلال التجربة سواء أردت ذلك أما لا،لذا أرغب أن توظف تلك الحكمة في جعل حياتك أفضل وأجمل وأن تمنح الآخرين أكثر مما تأخذ،وعندها يصبح هذا العالم مكان أفضل وهذا ما أريده،ولنا وقفات أخرى في هذا المجال لاحقاً.

الاستيقاظ

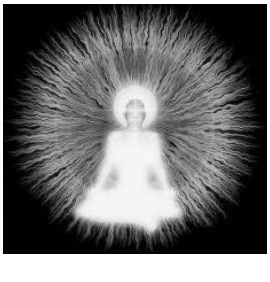

لدي فكرة بسيطة جداً لهذا العالم ولكنها قادرة على تغيير كل شيء تعرفه،الطريق الجديد أشبه بصوفيّة علميّة حيث نقدّر أهمية العلم والمعرفة للعالم المادي الخارجي بقدر أهمية المعرفة الداخلية اللامادية،والتغير لن يبدأ إطلاقاً من الداخل إن لم نعي ما بداخلنا،فهو

وسيلة لمعرفة أنفسنا ومحاولة للاقتراب منها أكثر بشيء من الحكمة والمتعة في نفس الوقت.

في طفولتي رأيت مشهداً مثيراً للاهتمام،فقد أقام المخزن الرئيسي في المدينة حملة تنزيلات على جميع بضائعه،وقد وصل الأمر بالناس إلى الوقوف في طوابير طويلة منذ ساعات الصباح الباكر فقط للحصول على منتجات ذات أسعار مخفضة،عند فتح الأبواب تدافع الناس بقوة خلالها،ولقد علق احد الأشخاص بطريقة ما عند فتح الباب الكهربائي وحاول بيأس أن يخلص نفسه،استمر الجميع بالتدافع غير مبالين بذلك الرجل فقط للحصول على منتجات هم في الأساس ليسوا في حاجة ماسة لها،وانتظر العاملون في المخزن حتى يدخل الجميع قبل أن يخلصوا ذلك الرجل الذي هو الآخر كان ينظر بحسرة إلى الجميع و قد سبقوه غير مبالي بحاله، بالنسبة إليّ تعبّر هذه التجربة عن مشكلة عميقة في الوعي تتجاوز فكرة علق أحد الأشخاص خلال باب متحرك،أو تهافت الناس للحصول على قيمة مخفضة لمنتج ما غير مبالين بما يحصل لبعضهم البعض،في الحقيقة الأمر يرتبط بأعماق تفكيرنا حول من نحن وحول الأشياء التي يجب أن تكون في صلب اهتماماتنا،الناس بالفعل لا يملأهم سوى التفكير المادي وحتى لو حاولوا إقناع أنفسهم بأنهم ليسوا كذلك،و سواء ألاحظت ذلك أم لا فحياة البشر في هذا العصر عديمة الفائدة،لأنهم يعيشون فقط داخل أجسادهم،ويتركز تفكيرهم دائماً نحو احتياجات تلك الأجساد،وهذه الأجساد في النهاية سوف تتفتت وتتلاشى، ما هي أكثر حاجات البشر أهمية في هذا العصر؟،الطعام؟ الهواء؟ هذه ضروريات للبقاء ولا تحمل أي أهداف أو معاني وحتى أشكال الحياة البدائية تمتلكها ،الشيء الحقيقي الذي يحتاجه البشر الآن إلى أقصى حد ممكن هو القدرة على الحياة وليس البقاء.

ألا تستطيع أن ترى الأمر؟،العالم بأكمله يعيش داخل حلم محدود،أنت تستيقظ كل يوم تحاول شراء منتج ما لان الجميع يريد شراءه،تقوم بفعل أشياء لا لشيء سوى لأنه يجب عليك فعلها،تعتقد وتتصور ما يتوقع الآخرون منك تصوره واعتقاده،أنت تعيش حياتك بأكملها داخل صندوق صغير يقرر ما تستطيع القيام به وما لا تستطيع،ما يجب أن تعتقده وما لا يجب،الطريق الجديد ثورة على هذا الحصار الفكري،التنوير والخروج من هذا الصندوق الضيق،نحو الفضاء الإنساني الرحب،كل البشر لديهم إمكانات ولكن ليس كل البشر يحقق ويصل إلى تلك الإمكانات،تحقيق الإمكانات الحقيقية التي بداخلك لا يمكن أن يتم دون تحرر عقلي كامل،العقل يصنع الواقع والحواجز،والواقع موجود داخل عقولنا،وخلال التأمل يمكننا تغير الواقع داخل العقل و الانطلاق إلى المستويات الأخرى الأعلى من الوجود بعد أن نفهم مستوياتنا الداخلية، ويمكن أن يلتقي وعينا في مستوى ما عندها سيفهم أحدنا الآخر،التأمل يصنع عالم جديد ولكن حقيقي ويمكنك العيش ضمنه بسعادة تامة وباتصال تام مع الجميع في نفس الوقت،الأمر بهذه البساطة فليس علينا تغير الواقع الخارجي بقدر ما علينا تغير الواقع الموجود داخل عقولنا،ولأن كل شيء متصل فإن التغير الداخلي لدينا سيجد طريقه بالتأكيد نحو الخارج.عندما تستطيع رؤية هذه الفكرة البسيطة كما أراها،تشعر بها كما أشعر ،وتسعى إليها كما أسعى عندها تصبح هذه الفكرة الصغيرة هي الحقيقة ذاتها،وعندها بالفعل يمكنك الاستيقاظ والخروج من الصندوق الذي يحصر واقعك.

مبدأ فصل الوعي عن الجسد

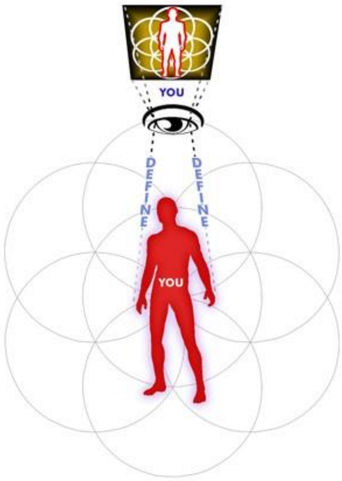

إن هذا المبدأ هو الامتداد الفلسفي و الطبيعي لممارسة الإسقاط النجمي في الحياة العملية،عندما ننظر إلى أجسادنا وكأنها بالفعل مجرد أدوات لا تمثل وعينا أو ذاتنا العليا بل يجب أن تكون وسائل تأثير لها على هذا العالم الفيزيائي عندها نتحرر من المخاوف المادية الأساسية الخاصة بالبقاء كالموت والجوع والألم،عندما نمتلك يقين ما بأن أعراض هذا العالم لا يمكن أن تنال من أرواحنا مهما حاولت يمكن لنا عندها أن نحيا حقاً وللمرة الأولى،لأننا نجد في النهاية ما يمكننا أن نحيا لأجله ولأجل حمايته ويبقى الأمل حياً ليس بالتمني بل بالمعرفة واليقين،نحن لا نموت حقاً عندما نفنى جسدياً بل نموت عندما نفقد أرواحنا ونعيش بماديّة تامة،نموت عندما ننظر إلى المرآة ونظن حقاً بأننا الصورة المنعكسة عليها،الصورة المتغيرة والمتقلبة مع الزمن،الجوهر الإنساني أعمق من ذلك بكثير ولكن نحن ببساطة لا ندركه،نحن ندرك تلك الصورة الظاهرية فقط ونستمر بالعيش داخلها و نهمل أشكال وجودنا غير المرئية،لذا يبدو الإسقاط النجمي للمرة الأولى غريباً جداً لأننا في الحقيقة غير معتادين على العيش والوعي بهذا النطاق من وجودنا ولكن ذلك لا يعني أنه لم يكن موجود طوال الوقت،لو نظرنا إلى أنفسنا وكأننا ننظر إليها من الأعلى ونرى كيف نسير في الشارع أو كيف نتحدث وكيف نتعامل مع الأشكال الحية وغير الحية من حولنا،لو استطعنا تخيّل أنفسنا خارج أجسادنا نراقبها طوال الوقت وليس فقط خلال الإسقاط النجمي فستصبح الأشياء عندها واضحة للغاية والأسئلة الأكثر صعوبة تصبح سهلة،مراقبة الذات مصطلح معروف لدى المسلمين ولكنهم نسوه في هذا العصر كما نسوا المعنى الحقيقي له،كيف يمكن لك أن تراقب شيء ما إن كنت بالفعل داخله؟،وهل ترتبط مراقبة الذات بتقليل الأخطاء الصادرة منها فقط أم بإدراك حقيقة أكثر عمقاً؟،وهي أننا لسنا هذه الأجساد بل نحن فقط نسكنها لفترة ثم ستزول،هذا الحديث ليس فلسفياً بشكل كامل بل يمتلك جزء كبير من الحقيقة،دائماً يصفون سبعة مراكز للطاقة في الجسد وهي الشاكرات المعروفة ولكن الرقم الحقيقي أكثر من ذلك،الشاكرات الخمس الإضافية تقع خارج الجسد،هذا يعني ببساطة بأن جزء منا بالفعل يبقى خارج أجسادنا طوال الوقت ولكننا لا نشعر به.

لا يعني هذا المبدأ أن نشعر بالهلوسة و بأننا مراقبون طوال الوقت،بل أن ننقل بالفعل جزء من وعينا ووجودنا نحو تلك المراكز الخارجية،وهنا ببساطة يبدأ التنوير لأننا عندها لا نعود مجرد أدوات تعبث بها الأزمان والأفعال بل نصبح مراقبين لها و لما يجري من حولنا وبذلك نكتسب الحكمة والمعرفة التي لا يدري الآخرون بها،هل ترغب حقاً أن تعيش كما يعيش الآخرون،تمضي الوقت و لا تدري ما الذي تريده بالفعل،أم تريد تجاوز هذا الحد و الانطلاق نحو معنى أعمق لطبيعة وجودك وإدراك ذلك المعنى ،أؤمن بأن هناك نقطة ما أساسية تلتقي خلالها جميع مستويات الوعي،عندها لن يكون لعرقك أو لونك أو لغتك أي أهمية لأنك عندها ستفهم كل ما أحاول قوله،إذا أردت بالفعل أن تبدأ من مكان ما أو أن تفعل شيء ما قد يصنع تغير مهم في حياتك فابدأ بالتصميم على الحياة بشكل أفضل مهما كانت الطريقة،إن مبدأ فصل الوعي عن

الجسد يساعد في إحداث هذا التغيير الإيجابي لذا يتغير الناس دائماً عن الاقتراب من الموت لأنه يبدءون في إدراك مكوّناتِهم المنفصلة،يبدؤون في إدراك الطبيعة الحقيقية لوجودهم ويختبرونها، ولأنه عند الفصل يمكن العثور على كل جزء على حده،فالوعي نعثر عليه خلال التأمل والجسد نعثر عليه خلال الرياضة الجسدية فهي طريقة متكاملة للتغيير، وأريد منك أن تمنحها ما يكفي من الوقت والجهد لتثبت لك مدى فاعليتها،في المرة القادمة عندما تسير على الطريق حاول تذكر ما قلته وابدأ بدلاً من التفكير العشوائي بالماضي أو المستقبل بمحاولة النظر إلى نفسك من الأعلى (نحو نصف متر من أعلى رأسك)،وحاول دراسة ما تفعله و تتفاعل معه خلال يومك من الصباح وحتى اللحظة التي تخلد فيها إلى الفراش،إذا غضبت فلاحظ غضبك و إذا شعرت بالسعادة فلاحظ و تذكر هذا الشعور،إذا شعرت بالخوف انظر إلى نفسك وافهم هذا الخوف وحقيقته،عندها لا تصبح حياتك مجرد مشاهد منفصلة و ناقصة ومشوهة بل سلسلة واحدة متواصلة.

التحرر من الموت

إذا أردنا أن نعرف كيف نتخلص من مشاعر الخوف اتجاه الموت فيجب أن نعرف ما هي المشاعر حقاً،كل شيء في هذا العالم هو شكل من أشكال الطاقة،لذا فالمشاعر هي طاقة نولدها من أنفسنا في حالات وأوقات معينة،عندما يشعر شخص بالمحبة اتجاه شخص آخر فهو يقوم فعلياً بإنتاج تلك الطاقة التي تجذبه إلى محبوبه،والعكس صحيح في حالة الكراهية حيث نوّلد طاقة تنافر اتجاه العدو تترجم إلى أحاسيس الحقد والبغض..إلخ،لذا فالأحاسيس والمشاعر لا تأتينا من الخارج،بل تتولد داخلنا كطاقة داخلية وتؤثر علينا،لذا إذا رأيت حيواناً مفترساً يتوجه إليك فليس مصدر الخوف الحقيقي هو الحيوان ذاته بل أنت هو مصدر الخوف،ولو جعلنا نفس الحيوان يقترب من طفل لما أدرك أي مشاعر للخوف،إذاً مشاعر الخوف اتجاه الموت تقبع في أعماقنا و نحن الذين نولدها،فليس الموت مخيفاً على الإطلاق بل نحن من نجعله كذلك.ماذا يحصل بالفعل عندما نموت في الأحلام؟،في الأغلب نستيقظ،كحال البعض مررت في الماضي بشيء من تلك الكوابيس،عندما نموت في نهاية الحلم نرى فقط تلك الظلمة ثم نستيقظ،ولكن ماذا يحدث عندما نقترب من الموت في الحياة الحقيقية؟سواء بالمرض أو بحادث مروري أو عند الغرق،إذا اقتربت بما يكفي من الموت فستدرك الحقيقية،نحن لا نموت في هذا العالم سوى لمرة واحدة،في بداية تعرفي على الأحلام الواضحة أردت إجراء بعض الاختبارات لمعرفة الحد الأقصى الذي قد يذهب إليه العقل في مفهوم الواقعية،عند استيقاظي في أحد الأحلام الواضحة تخيلت بأنني ألقي بنفسي من أعلى مجمع سكني كنت أقطنه في الماضي وكان من نحو عشرين طابقاً،العقل يدرك بأن السقوط من هذا الارتفاع مهلك تماماً ويجب أن ينتهي الحلم و سأستيقظ وهذا ما توقعته،ما حصل بالفعل انه لحظة ارتطامي بالأرض لم أستيقظ بل عدت مرة أخرى إلى بداية الحلم وإلى أعلى المبنى السكني مرة أخرى،لا يهم حقاً كم أعيد المحاولة،الحلم فقط يبدأ من جديد ولمرات

عديدة قبل أن يتمزق في النهاية وأستيقظ، كيف يبدأ العقل في اعتبار أن الموت ليس النهاية الطبيعية حتى في هذه الدرجة العميقة من اللاوعي،الجواب بسيط، نحن جميعاً نموت لمرة واحدة فقط في حياتنا،وهي اللحظة التي نواجه مخاوفنا ونستسلم إلى حقيقية الموت،في البداية عندما واجهت خطر الغرق حاولت المقاومة بشراسة ولكن في النهاية اضطررت للتسليم بحقيقة أن الموت هو المصير المحتوم وأن المقاومة هنا ليست سوى إطالة للمعاناة والألم،كان عليّ في النهاية أن أتوقف وأتقبل الحقيقية كما هي لأنها حقيقة أزلية،هناك مات العقل الذي يؤمن بأن الموت هو النهاية المنطقية وولد آخر جديد،وفي لحظات استطعت أن أرى أشياء لم أكن قادر على رؤيتها طوال حياتي،فهم معنى الموت وبالتالي فهم معنى الحياة،كل شيء في هذا العالم متصل ونحن جميعاً متصلون ببعضنا البعض كما أننا متصلون بهذا الكون ولا أحد يستحق الحياة أكثر من الآخر كما أنه لا أحد يموت بالفعل،وكلما أدركت هذه الحقيقة البسيطة بسرعة أكبر كلما كان ذلك أفضل.

إذا عانى الشخص من مرض خطير وشفي أو نجا من حادث مروّع يمكن له أن يولد من جديد، ويمكن عندها أن نقول بأنه صنع واقع جديد داخل الواقع الحقيقي،الواقع الجديد هو القناعة بأن الموت أو الاقتراب منه ليس النهاية والواقع الحقيقي الذي يعيش فيه بقية البشر هو أن الموت هو النهاية لكل شيء، فالموت الحقيقي هو مواجه مخاوفنا اتجاهه والتسليم له،إذا بقينا أحياء بعد تجربة اقتراب من الموت نكون بالفعل قد متنا في ذلك الوقت إذا تقبلنا ذلك الموت وتخلصنا من مشاعر الخوف اتجاهه، وعندها لا يصبح الموت الحقيقي موتاً بل بوابة إلى مستوى آخر من الوجود،أي ما يجعل الموت موتاً هو الخوف منه وليس الموت بحد ذاته لأنه ليس شيئاً بل حد بين مرحلتين،و لكن لو أبقينا على مشاعر الخوف في عقولنا فسنموت مرات عديدة في هذه الحياة.

تذكر هذا جيداً **الحياة الحقيقية هي التحرر من الموت والموت الحقيقي هو التعلّق بالحياة**،إذا استطعت فهم هذه العبارة فلن يصل الخوف مجدداً إلى قلبك،الحياة ليست البقاء،الحياة هي شيء تكتسبه ولا تمتلكه،والموت هو شيء تمتلكه ولا تكتسبه،فلا فائدة من الخوف والقلق حيال الموت،فهو أكثر التصاقاً بك من نفسك،كل ما تفعله بالخوف هو فقط أن تقترب إليه وتجعله أكثر وضوحاً وتأثيراً، أخطا بوذا عندما اعتبر "الألم" القضية الأساسية في الحياة،بينما الحقيقة أن قضية الحياة تتمحور حول الموت،من يمتلك مفهوم واضح وصريح عن الموت يستطيع أن يحيا ،ومن لا يمتلكه يتخبط في حياته إلى أن يموت في النهاية،تقبّل حقيقة الموت كما هي، وبدلاً من التفكير في طريقة للخلاص منه ابدأ في التفكير بطريقة للحياة والإنتاج بشكل أفضل وكأنك ستعيش إلى الأبد،عندها يمكن أن تتحرر من الموت و تحيى.

تم بعون الله.